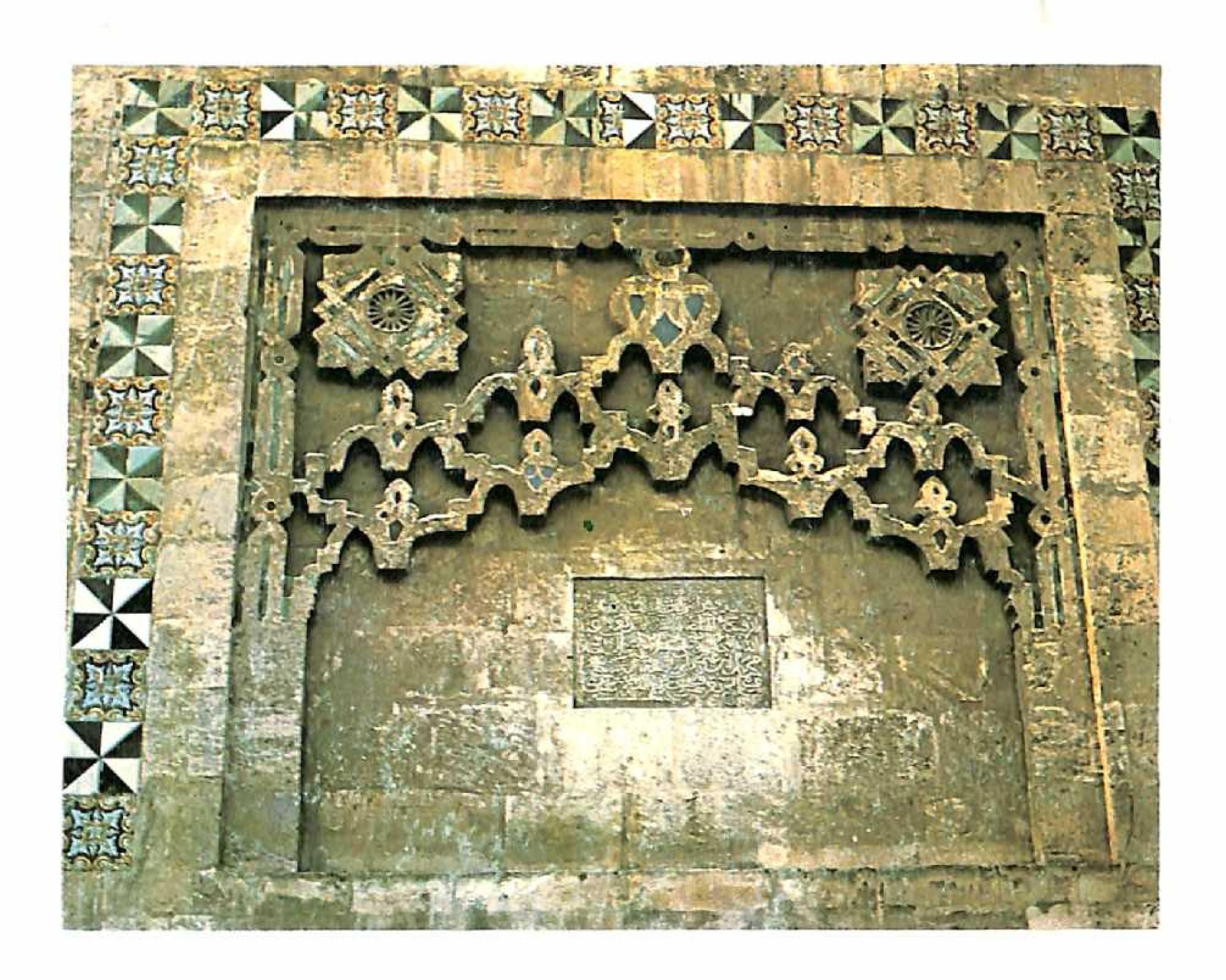
رشيد بورويبة



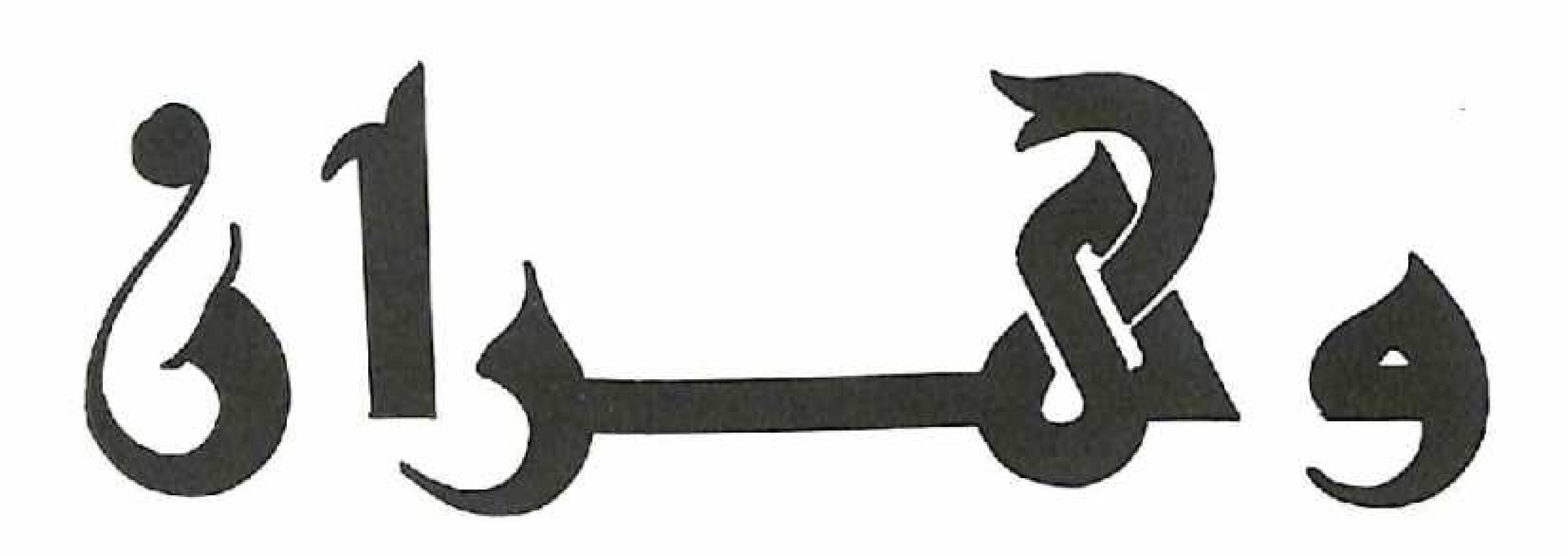
# وهران

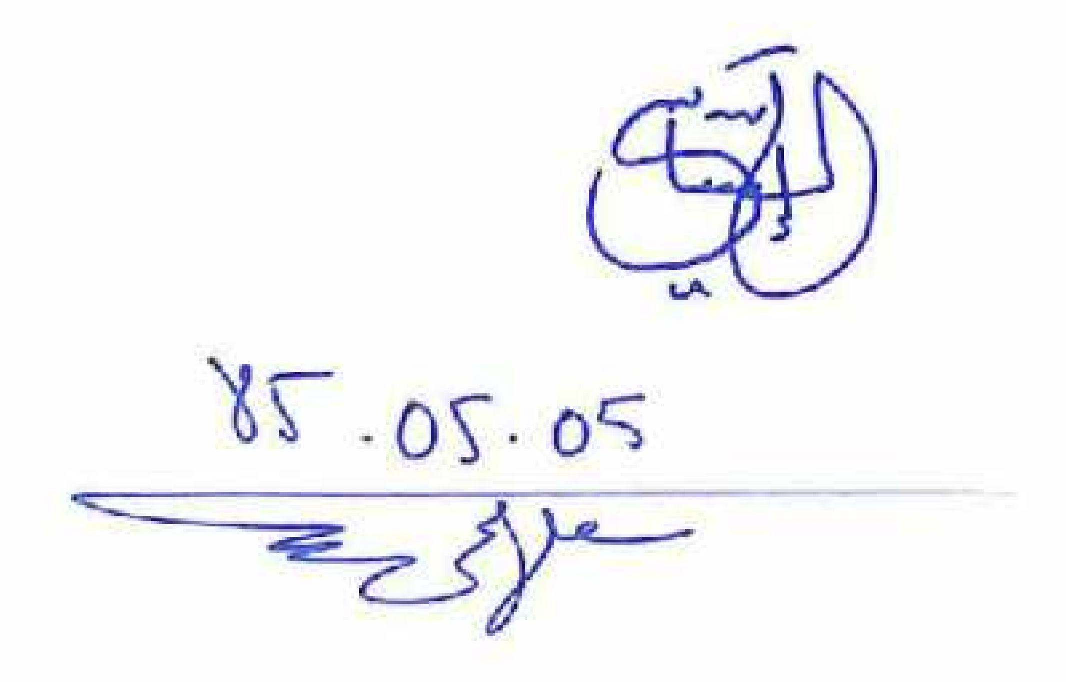
## فن وثقافة

وزارة الإعلام - الجزائر

# وهــــران

رشيد بورويبة



فن وثقافة

وزارة الإعلام - الجزائر

# مقدّمة

من بين المدن التي لعبت دورا هاما في تاريخ بلادنا وفي حضارتها ، تحتل وهران مكانة رفيعة . بحيث أن جبل هيدور الموجود في نهاية جبل مرجاجو ، يحميها من الجهة الجنوبية الغربية وأنها تقع في قعر خليج يبلغ عرضه 28 كلم وعمقه 11 كلم يحدده الرأس أبوجا شرقيا والرأس فالكون غربيا ، وبالقرب من شيرم المرسى الكبير الذي يعتبر شيرما مأمونا جدا ، تتمتع وهران بموقع ممتاز سكنه البشر من قديم الزمان .

فعلا ، تبّين الهياكل العظمية البشرية والعظام الحيوانية والآلات التي عثر عليها في عدد كبير من المغاور وبعض المواقد الموجودة في العراء ، بمدينة وهران وضواحيها ، ان هذه المنطقة كانت عامرة منذ فترة ما قبل التاريخ وبعدما أهملت في العصور القديمة ، عمرت المدينة من جديد في بداية القرن العاشر الميلادي في حوالي سنة 903/290 ، بحيث ان أندلسيين استقروا بها تحت قيادة إبن أبي عون ، ومحمد ابن عبدون ، بموافقة سكان المنطقة .



جبل مرجاجو

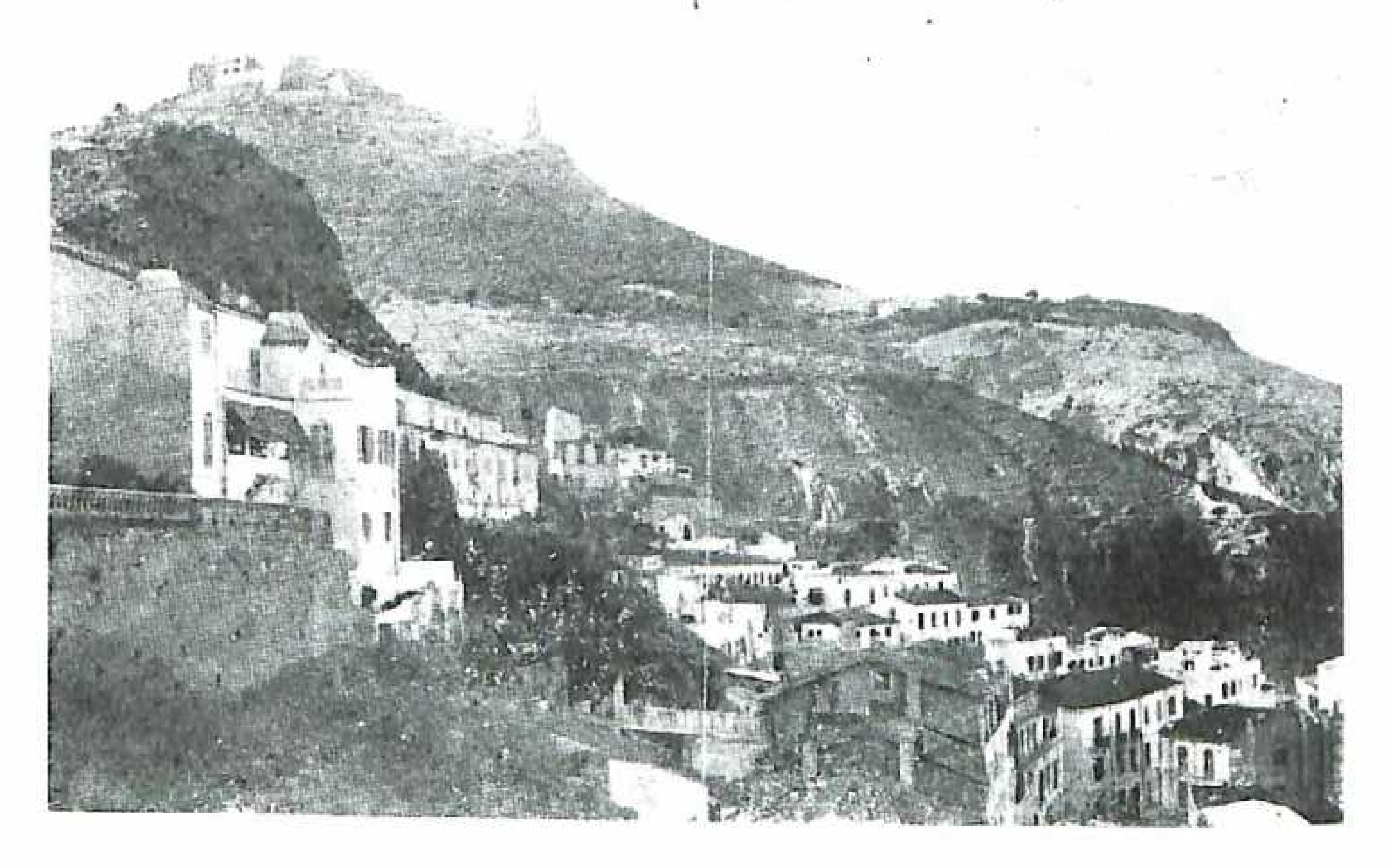
فحرقت المدينة ونهبت سبع سنين بعد ذلك ثم بنيت من جديد . ولكن من حيث أنها كانت مطمح انظار فاطميي القيروان وأمويي الأندلس ، أصبحت هاتان الدولتان تراقبها بالتناوب .

و في القرن الحادي عشر ، عرفت وهران الهدوء مدة طويلة في عهد بني خزر ، ثم في عصر المرابطين الذين احتلوها في سنة 1081/473 ـ 1082 ، واستقروا بها الى سنة 1145/539 حيث طردهم منها الموحدون فنمت المدينة في عهد هذه الدولة الأخيرة وازدهرت تجارتها ازدهارا كبيرا .

وبعد سقوط الموحدين ، احتل يغمراسن ، قائد بني عبد الوادي ، مدينة وهران في سنة 1238/626 . فأصبحت حينئذ أهم ميناء لتلمسان ، عاصمة مملكته .

وخضعت المدينة بعد ذلك ، سنين قليلة للسلطان الحفصي أبي زكرياء ثم للسلطان المريني أبي الحسن . فاستقر بها هذا الاخير أياما استقبل أثناءها أمراء أفريقية الذين جاؤوا يقدمون له الولاء .

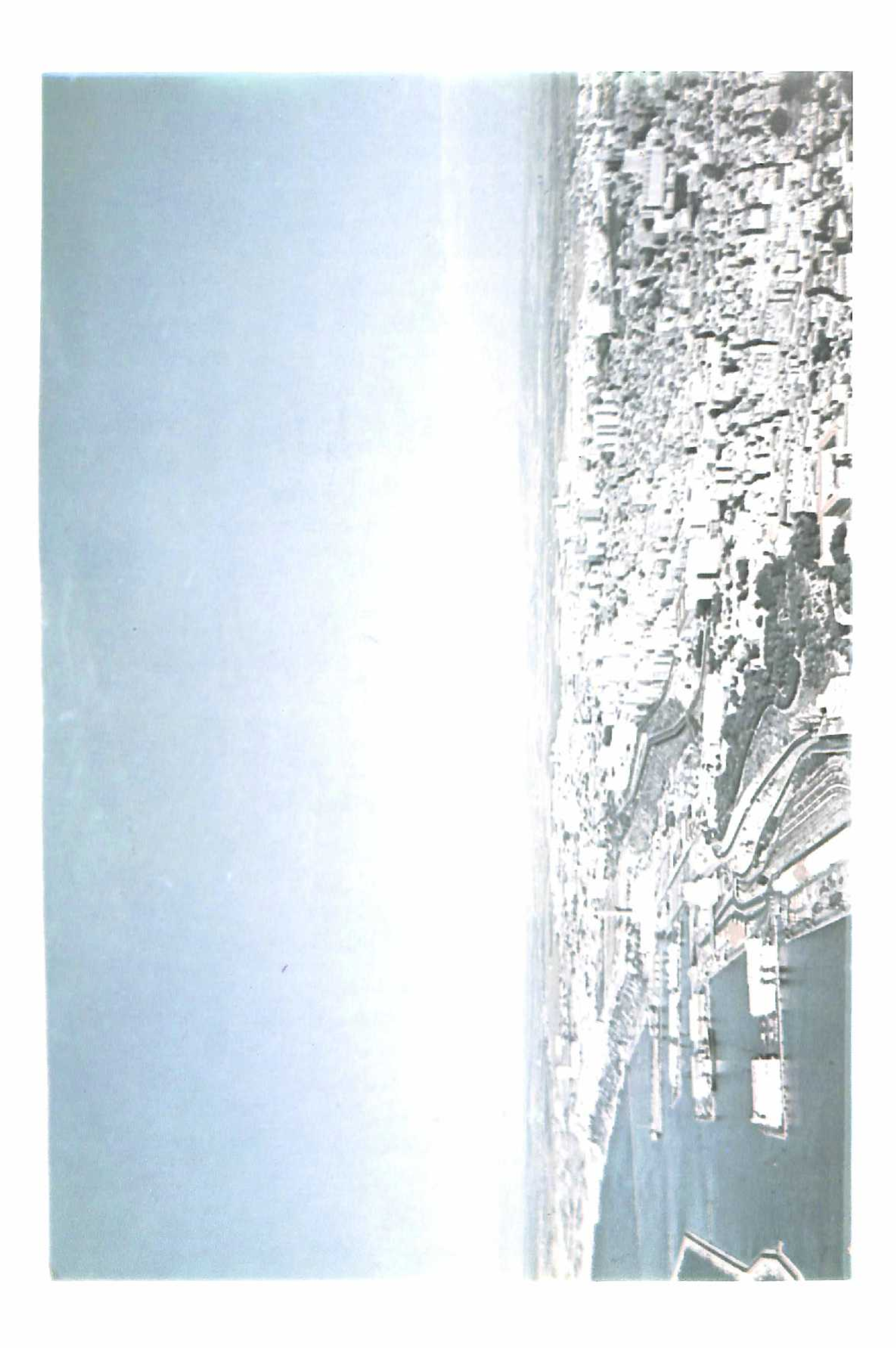
وفي سنة 1360/762 ، خضعت وهران من جديد لدولة بني عبد الوادي ، وعرفت ازدهارا لم تشهده من قبل . ثم بعد وفاة أبي حمو الثاني وانحطاط



جبل ايدور



منظر عام لمدينة وهران



الدولة الزيانية ، حصلت على استقلال يكاد يكون كاملا ، احتفظت به ما يقرب من قرن ، كما عانت من الهجومات الاسبانية الأولى . وهنا لابد من الإشارة إلى حقيقة تاريخية هامة وهي انه أثناء هذه الفترة . كان رجال الدين مثل سيدي محمد الهواري ، وسيدي ابراهيم التازي ، يحتلون مكانة أرفع من مكانة ملوك تلمسان وولاتهم لدى سكان وهران .

وفي سنة 1509/915 ، فتح الاسبانيون المدينة واستقروا بها ما يقرب من قرنين . ولكن ابتداء من منتصف القرن السادس عشر . أصبحوا يعانون باستمرار من هجومات الأتراك الذين اضطروهم الى بناء حصون عديدة . ففقدت وهران ، اذ ذاك أهميتها التجارية التي كانت تتمتع بها في العصور الوسطى وعرفت حياة مضطربة كما بيّنه سرفانتيس ، الذي زارها في سنة 1581/989 ، في روايته « الاسباني الشجاع » .

وفي سنة 1708/1120 ، في عهد بكداش ، داي الجزائر ، فتح خليفته ازن حسن – وهران ووضع حدا للإحتلال الاسباني .

فتولى الباي بوشلاغم الأمر بها أثناءها أربع وعشرين سنة ، ثم سقطت من جديد بين أيدي الاسبانيين . فاستقروا بها الى سنة 1792/1207 ، حيث اضطروا الى الاستسلام اثر الهجومات المستمرة التي قام بها محمد الكبير ، باي الغرب الجزائري ، الذي ولي على وهران واتخذها كعاصمة له . فأصبحت المدينة مسيرة تسييرا جيدا وعرفت ازدهارا جديدا .

وبعد وفاته التي وقعت بعد أربع سنين ، تعاقب البايات . فنجد من بينهم ابني محمد الكبير واحد اخوته وأحد أصهاره ، وحسن باي آخر والي تركي لوهران الذي سلم المدينة الى الفرنسيين في سنة 1831/1247 .

ومن هنا قسمنا كتابنا الى خمسة أقسام . يشمل القسم الأول فترة ما قبل التاريخ الى أواخر القرن الثاني عشر ، ويحتوي على فصلين ، يحمل أولهما عنوان « وهران في فترة ما قبل التاريخ والعصور القديمة » ، والثاني ، « وهران من تأسيسها الى أواخر القرن الثاني عشر » .

وتحمل الأقسام الثلاثة التي تلي القسم الأول العناوين التالية : «وهران من القرن الثالث عشر الى الاحتلال الاسباني الأول » و « الاحتلال الاسباني الأول» و «الحكم العثماني الأول والاحتلال الاسباني الثاني» . فقسمنا كل قسم منها إلى فصلين ، يخص الأول التاريخ السياسي ، والثاني ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والنشاط المعماري . أما القسم الخامس والأخير ، الذي يحمل عنوان «الحكم العثماني الثاني» ، فقسمناه إلى ثلاثة فصول .

خصصنا الأول ، للتاريخ السياسي ، والثاني ، للحياة الاجتماعية والاقتصادية وللنظام الإداري والعسكري . والثالث ، للحياة الدينية والعلمية وللنشاط المعماري .

# القسم الاول

## فترة ما قبل التاريخ إلى أواخر القرن الثاني عشر

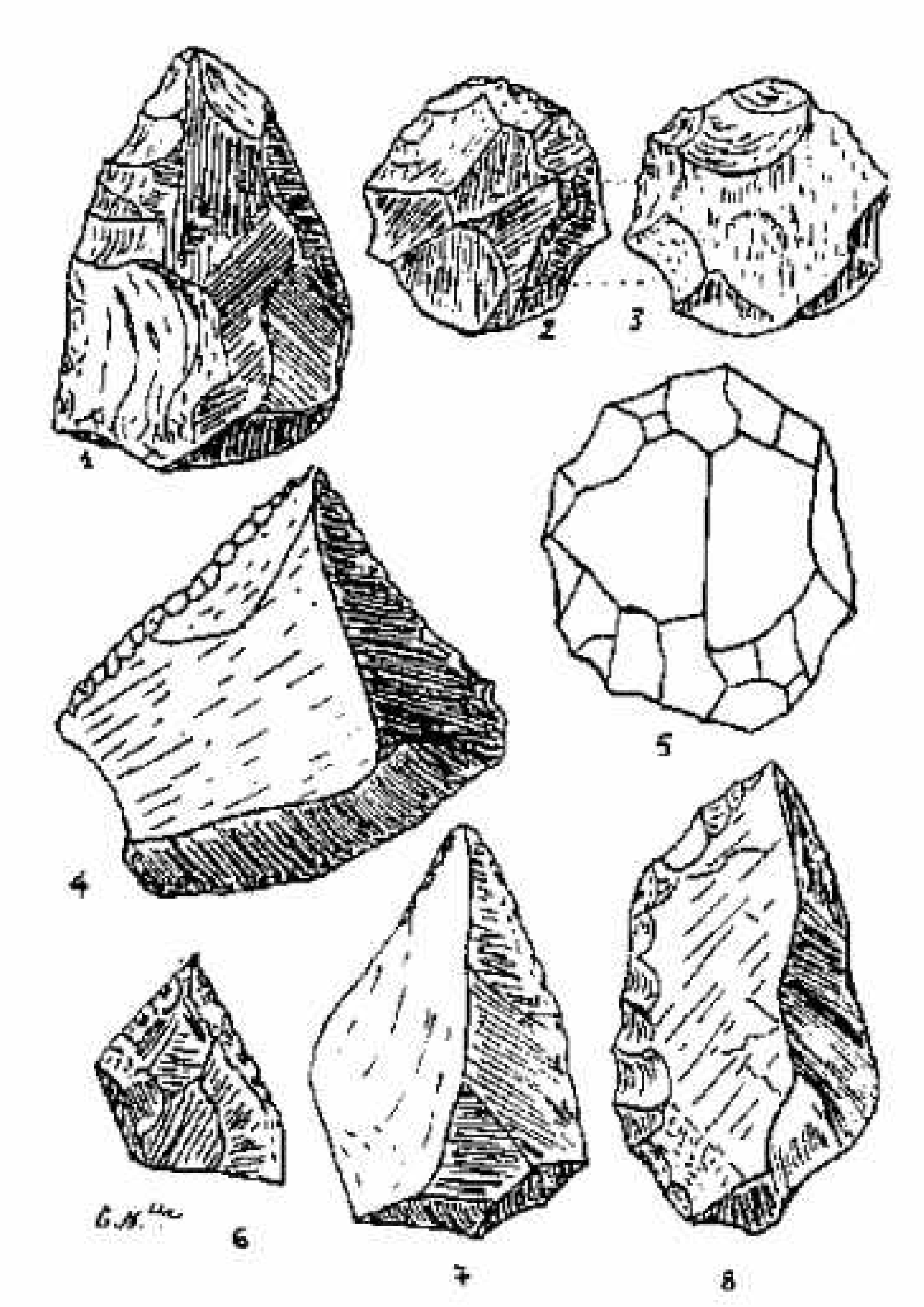
# وهران في فترة ما قبل التاريخ والعصور القديمة

إن البحوث التي أجريت في ميدان ما قبل التاريخ اسفرت عن اكتشاف عدد كبير من المغارات وبعض المواقد الموجودة في الهواء الطلق بمدينة وهران وضواحيها .

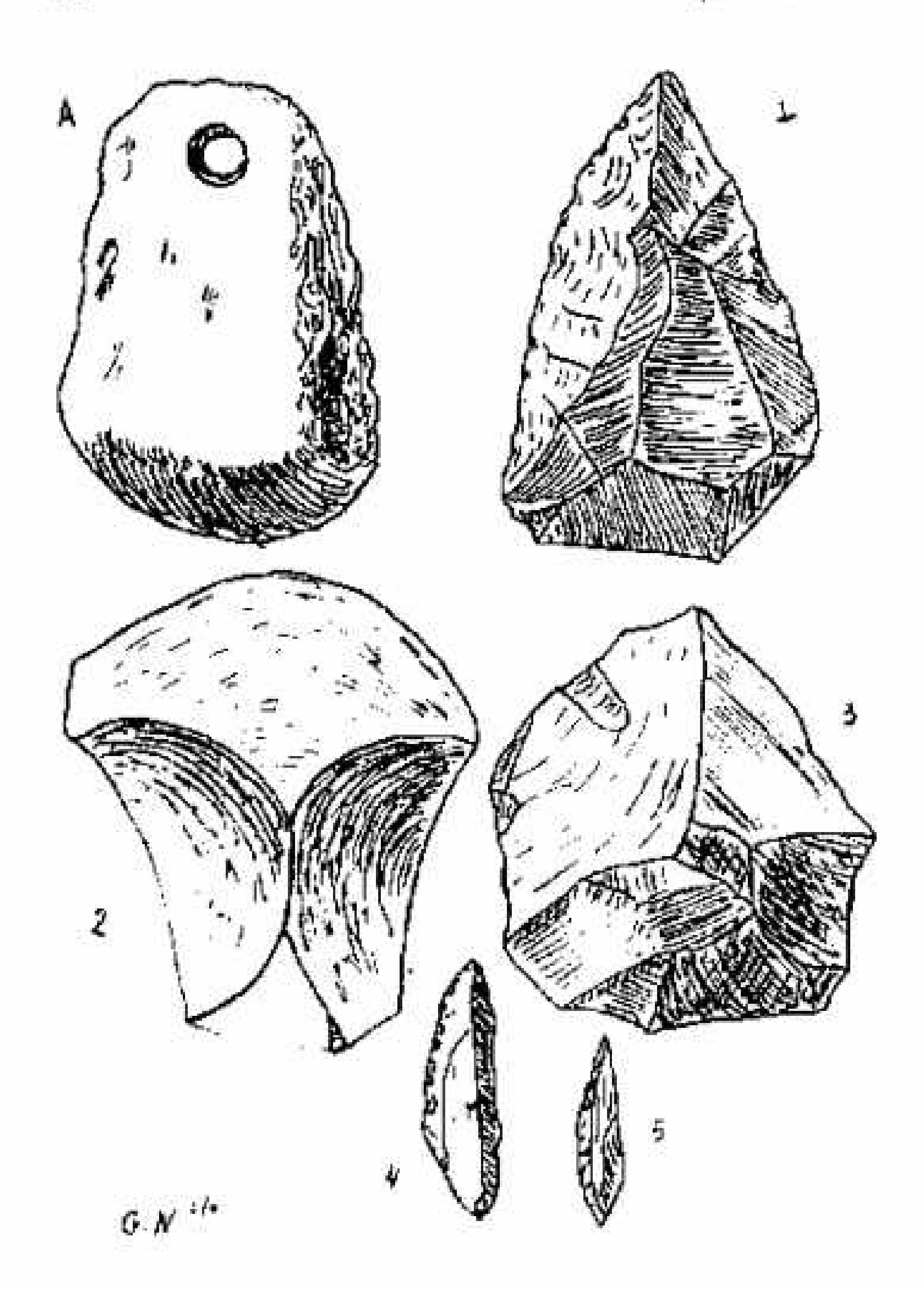
تقع جميع المغارات بالسفح الجنوبي الشرقي لجبل مرجاجو الذي يحتوي على سلسلة من هضاب وتلل تقطعها الأودية . وأهم هذه المغارات هي : مغارة « ميدان التمرن على اطلاق المدافع » و« مغارة الثكنة » و« مغارة سكان الكهوف » و« مغارة الهواء الطلق » .

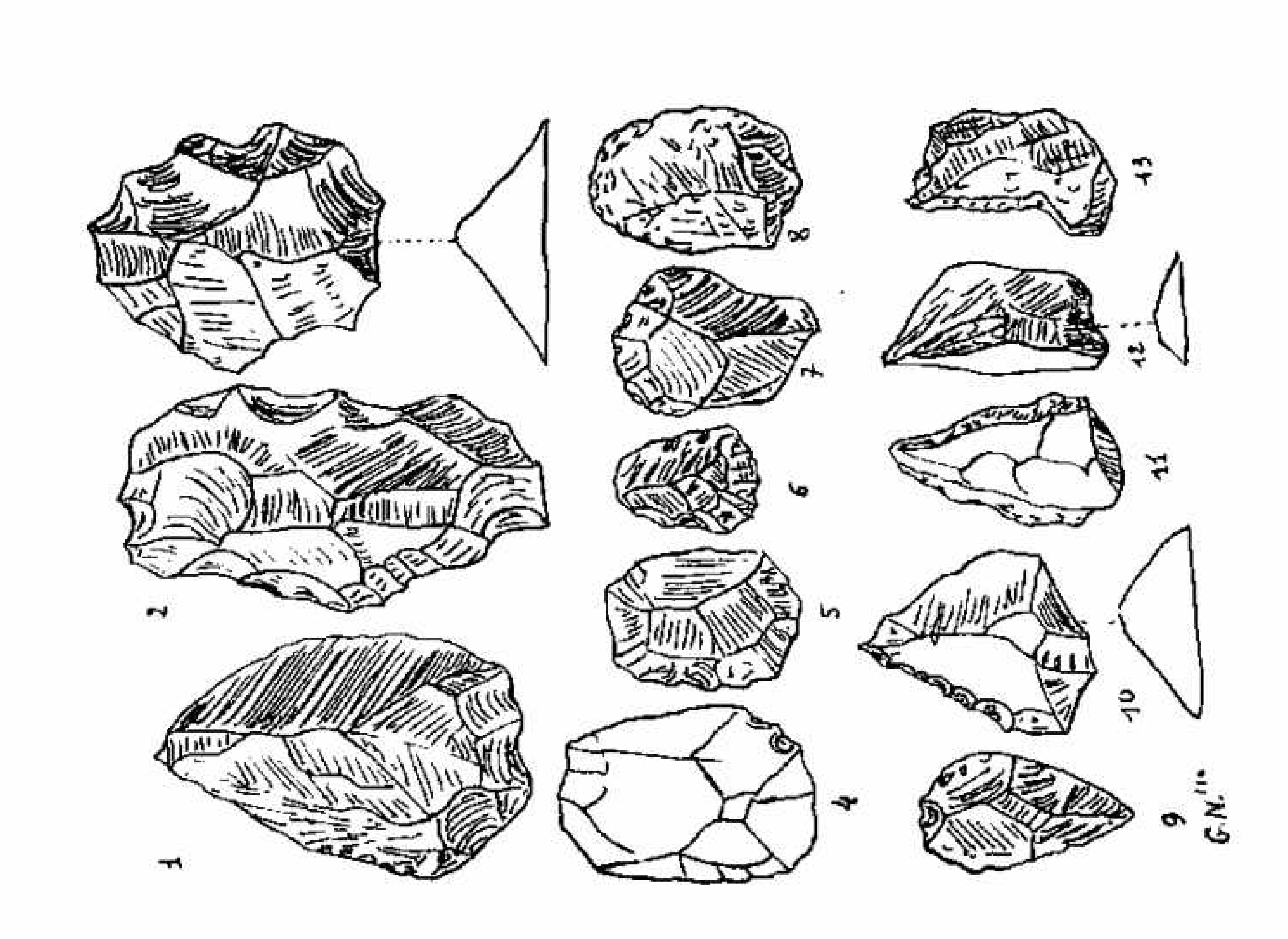
تقع مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع بجبل يفري وبالقرب من ميدان التمرن على اطلاق المدافع . وأكدت البحوث التي قام بها بالاري ودومرق بين سنة 1889 وسنة 1891 باكتشاف ثلاث طبقات مركبة . في هذه المنطقة .

في الطبقة السفلى أو الطبقة الصفراء وجدت بقايا فقريات ( مثل الخنزير والكركدن والحمار والظبي والغزال والاروية ) ، وأحجار منحوتة نذكر من بينها : رأس سهم مصنوع من صوانة ( لوحة 1 ، شكل 1 ) وقرصا صغيرا في غاية الانتظام (ل . 1 . ش . 2 و3 ) وحدا مثلثا جميلا (ل . 1 . ش . 4) وقطعة من حد مثلث ( ل . 1 ، ش . 5 ) وحدا مثلثا من الصوان البني اللون ( ل . 1 . ش . 6 ) وحدا جميلا جدا من الصوان الأسمر يستعمل كمنشار ( ل . 1 ، ش . 7 )



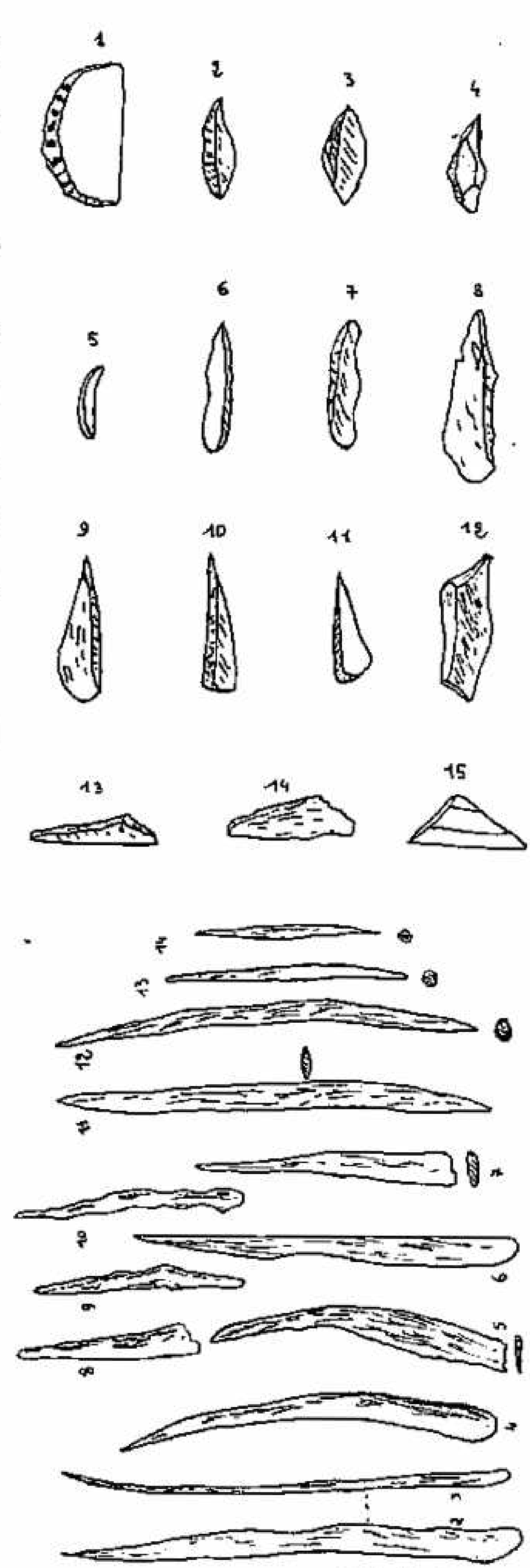
( رسوم ) مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع



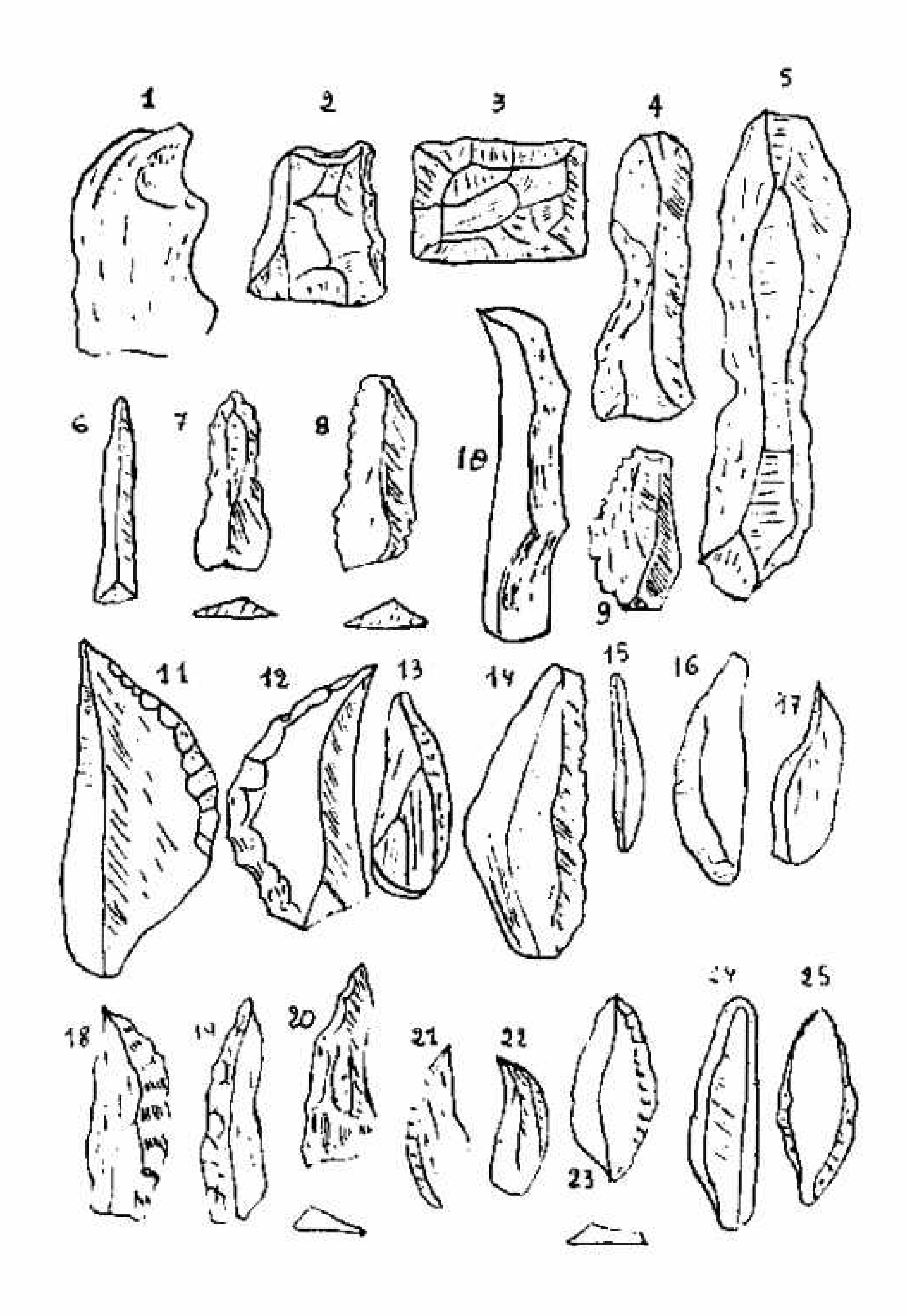


ومحكا ضاربا الى الشقرة ( ل . 1 ، ش . 8 ) . ولم يوجد بهذه الطبقة الاحصاة وحيدة وقطعة وحيدة من قطع الزينة على شكل قرط كبير ( ل . 2 ، ش . 1 ) .

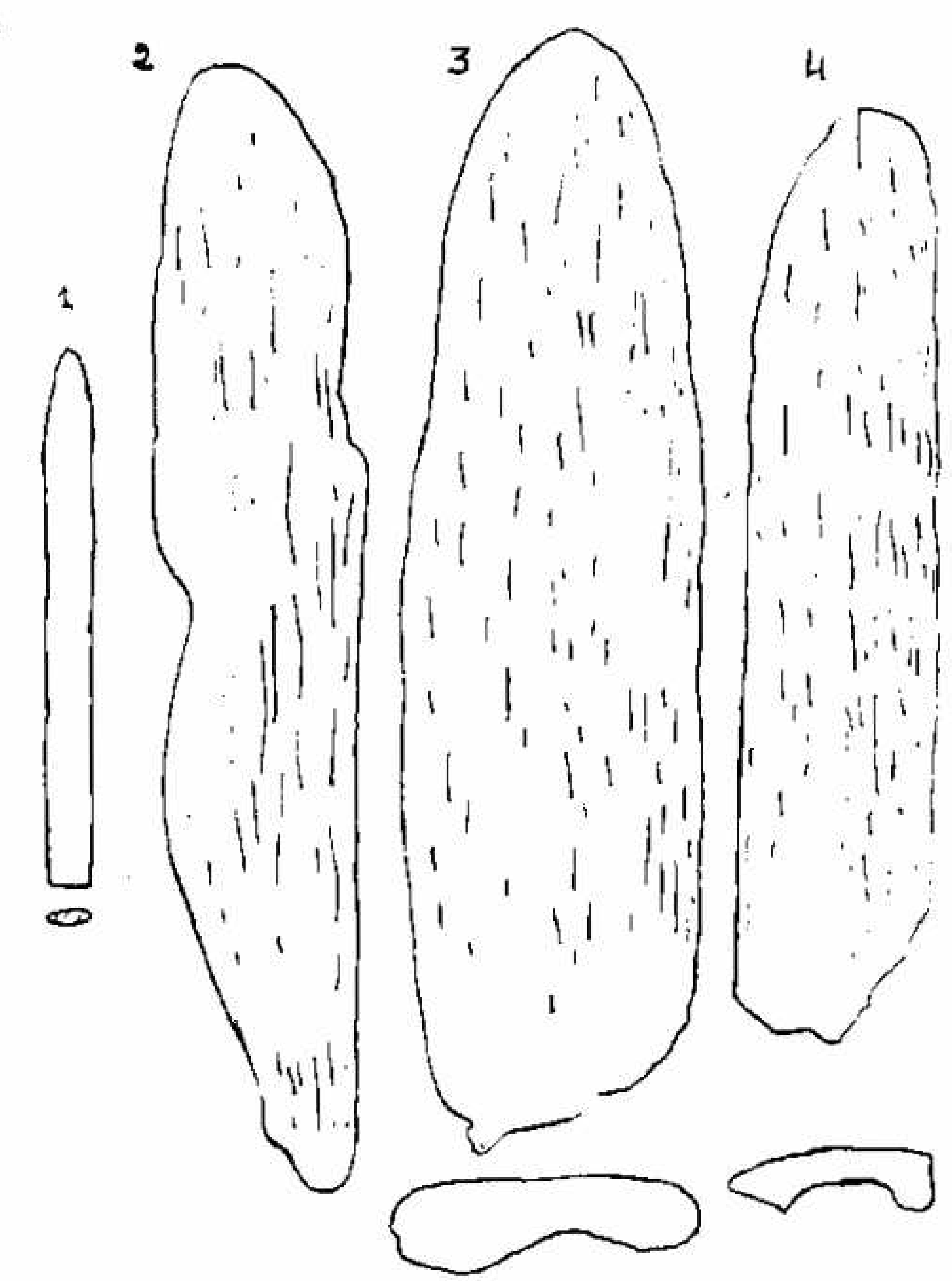
وفي الطبقة المتوسطة أو الطبقة الشهباء ، عثر على عظام رجل كهل وشاب كما عثر على بقايا فقريات ( مثل الخنزير والحمار والظبي والغزال الأحمر ) ورخويات ( مثل الميدية ونوع آخر من الصدفيات ) . كما عثر على أحجار منحوتة منها حد جميل من صوانة ( ل . 2 ، ش . 1 ) ومحك كبير منحوت بايجاز ( ل . 2 ، ش . 2 ) وأداة كبيرة من الكلس وهي عبارة عن محك كبير منحوت بايجاز ( ل . 2 ، ش . 3 ) ونصلين من مبراة منحوتة بصورة جيدة وبايجاز ( ل . 2 ، ش . 4 و5 ) .


(رسوم) مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع

أما في الطبقة العليا ، فاكتشف جمجمة عجوز وهيكلها العظمي ، كما اكتشفت هياكل عظمية لرجال كهول وشبان واطفال . وكانت قامة سكان الكهوف تتراوح بين 1,52 م و 1,79 م . وبجانب الهياكل العظمية البشرية ، عثر على بقايا فقريات مثل البقرة الكبيرة والظبي والاروية والكبش وأحجار منحوتة وتحف من العظم المصقول وتحف منقوشة وتحف للزينة وقطع من الفخار . من بين التحف الحجرية المنحوتة ينبغي أن نذكر حدا كبيرا بيضي الشكل ( ل . 3 ، ش . 1 ) وأداة كبيرة من صوانة سوداء ( ل . 3 ، ش . 2 ) وقرصا هرمي الشكل يستعمل كمحك ( ل . 3 ، ش . 3 ) ومحكين مستطيلين ( ل . 3 ، ش . 4 و 5) ومحكا صغيرا ذا شكل بيضة وشبه منحرف (ل . 3 ، ش . 6) وثلاثة

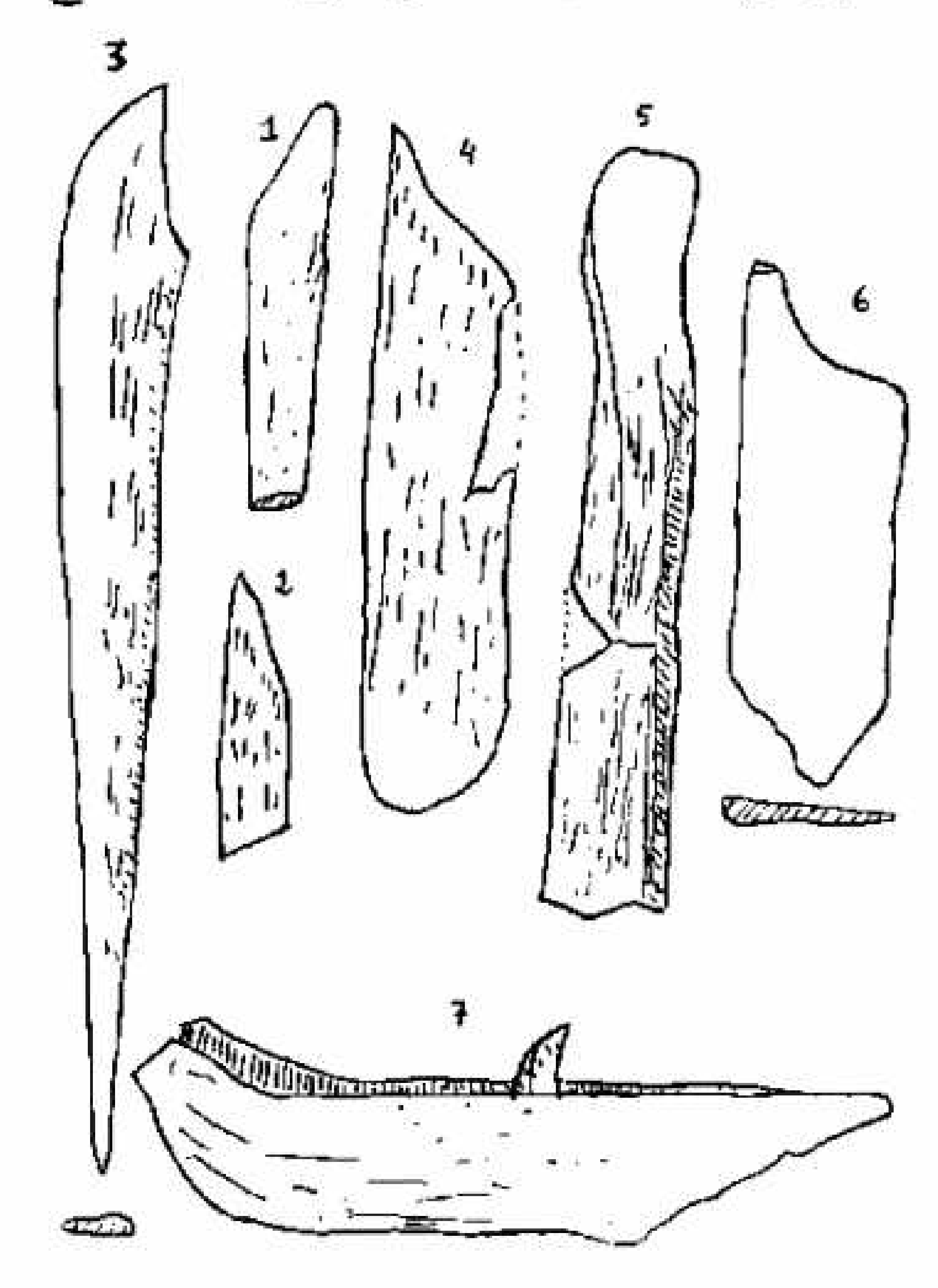


( رسوم ) مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع

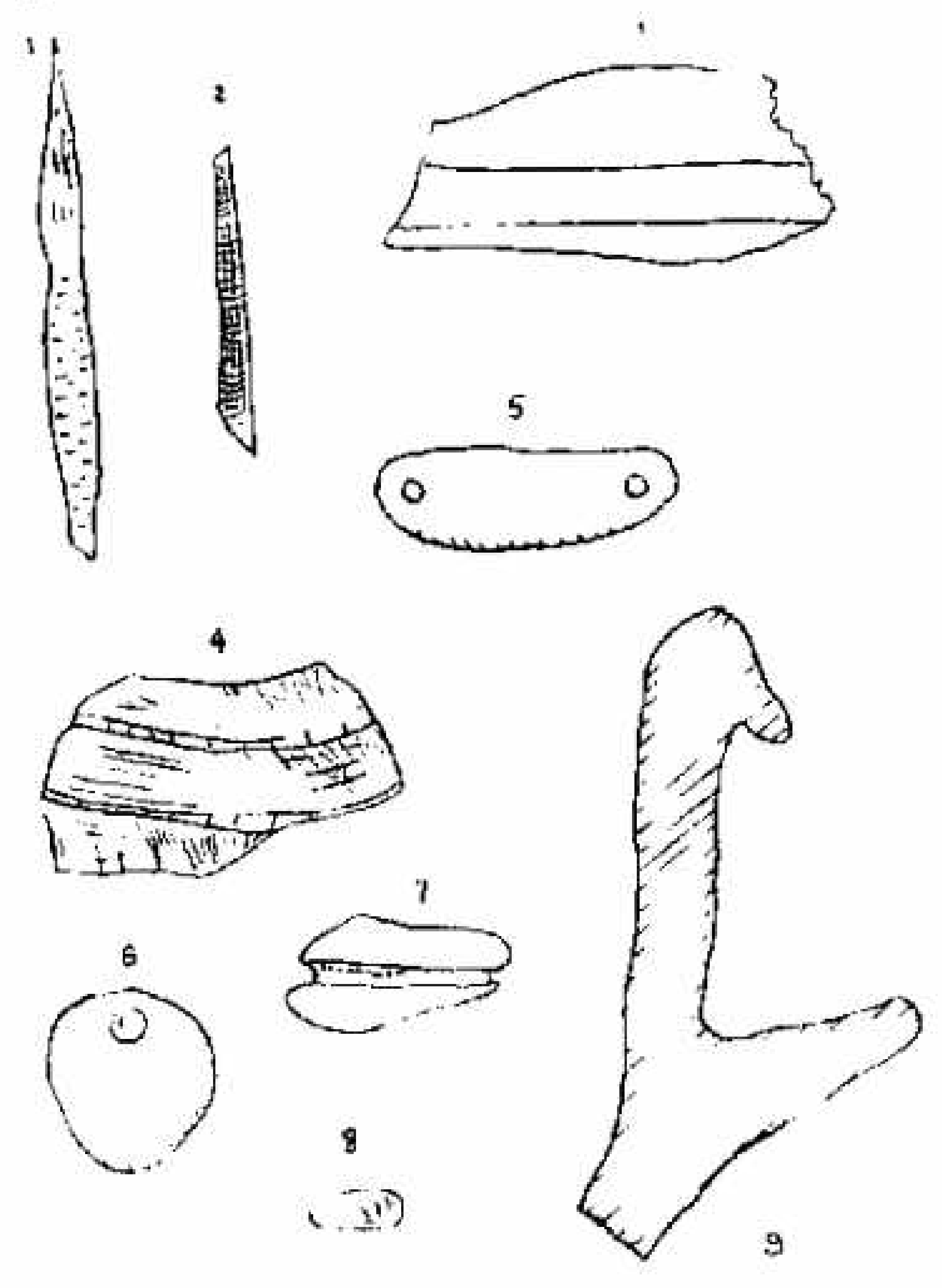





( رسوم ) مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع

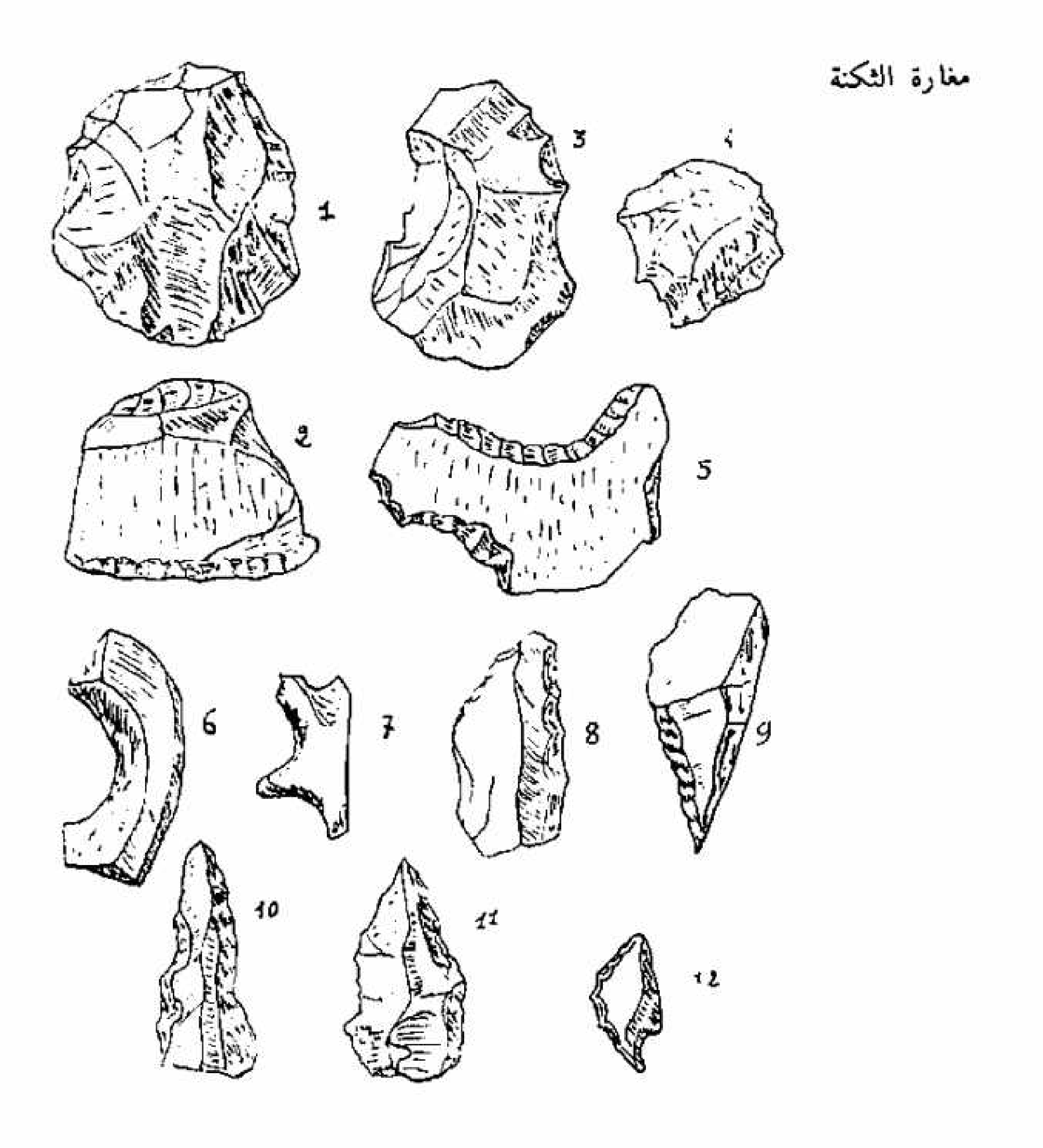


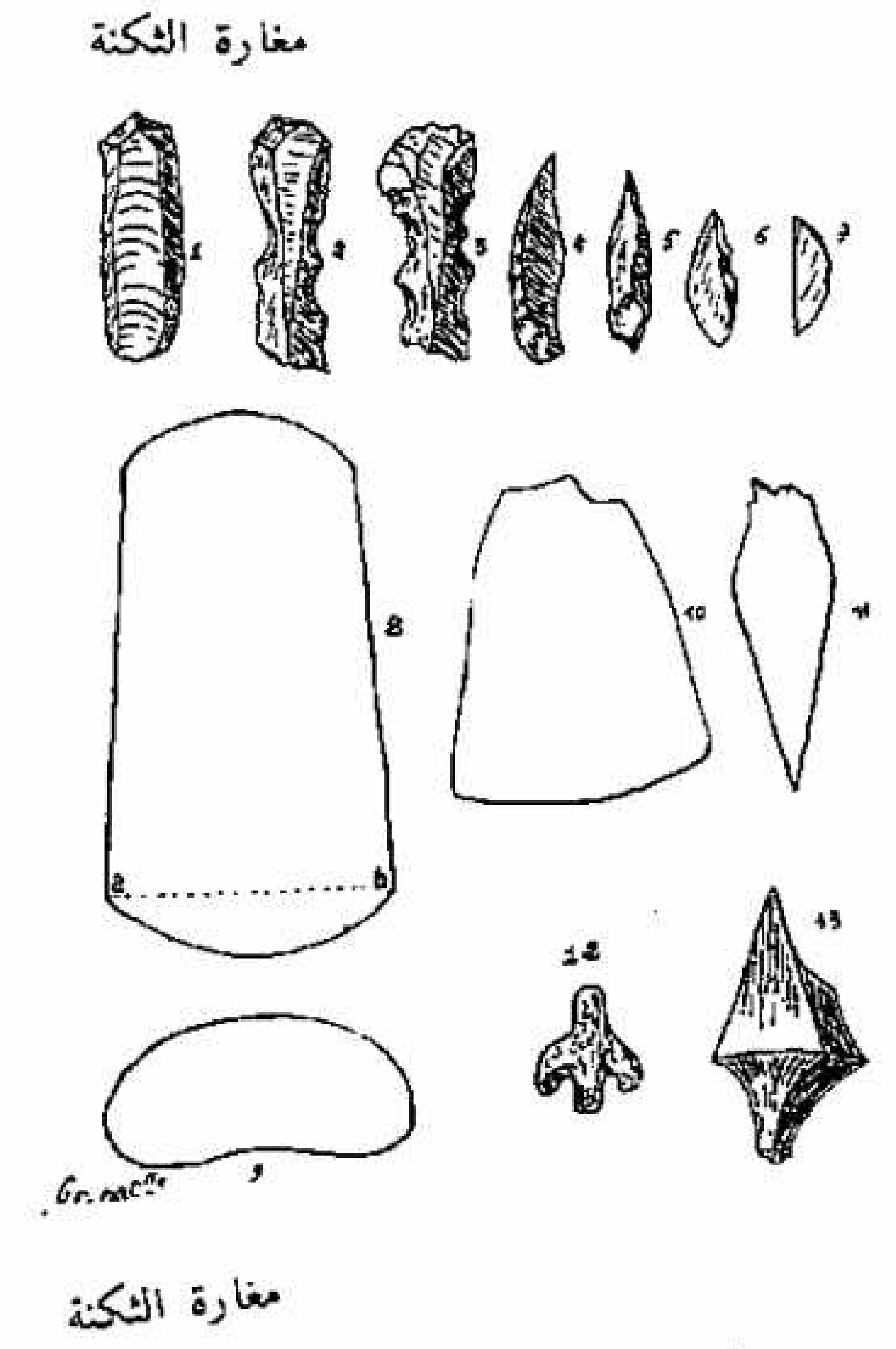

( رسوم ) مغارة ميدان التمرن على اطلاق المدافع

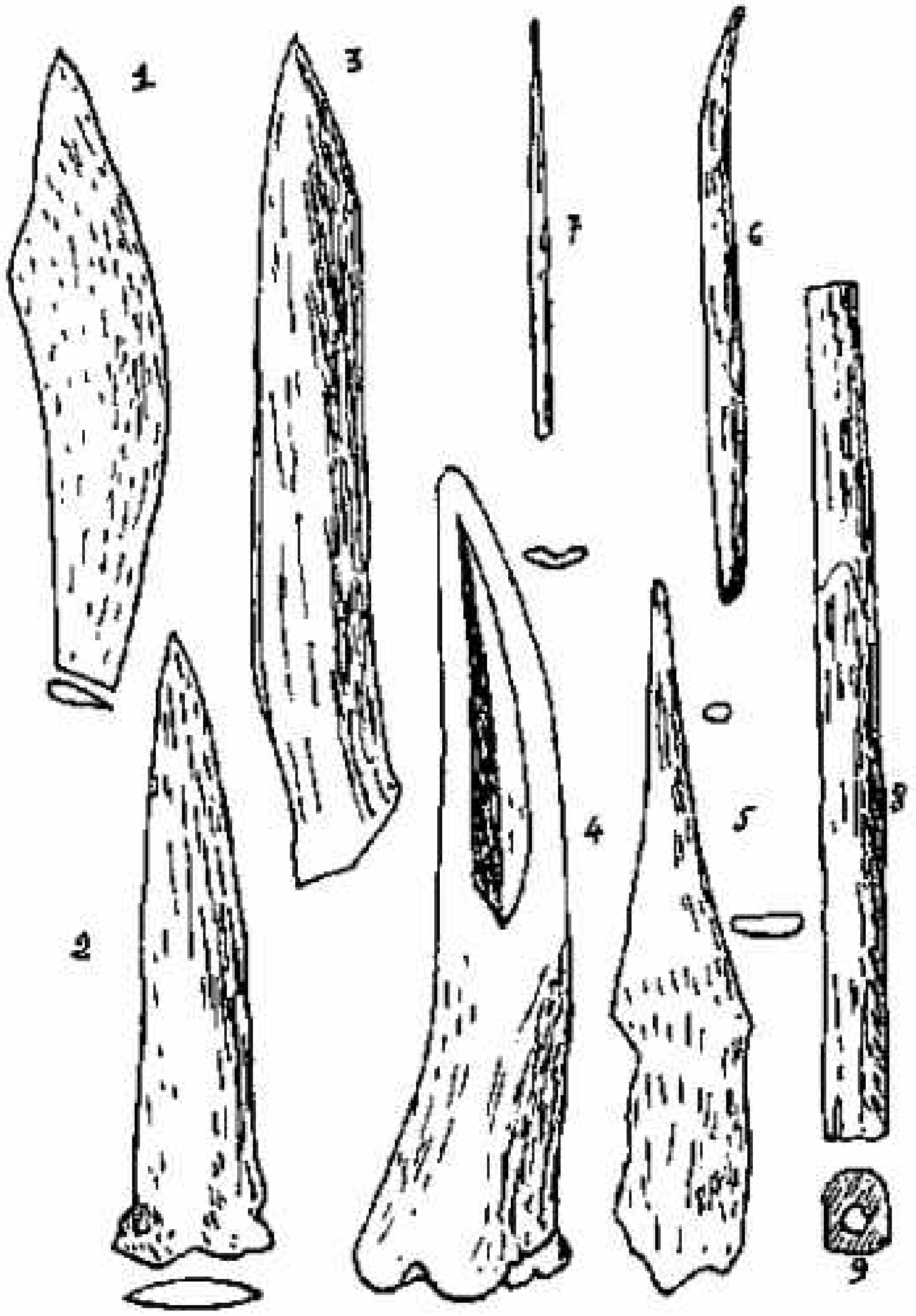


محاك أخرى ( ل . 3 ، ش . 7 ، 8 ، و 9 ) أحدها ( ل . 3 ، ش . 9 ) ينتهي بحد منقاش ، وحدا مثلثا ( ل . ع ، ش . 10 ) وحد منقاش ( ل . 3 ، ش . 11 ) ومنقاشين من أنواع مختلفة ( ل . 3 ، ش . 12 و 13 ) وشظية تحمل تحزيزتين ( ل . 4 ، ش . 1 ) وشظية على شكل أزميل عادي ( ل . 4 ، ش . 2 ) وصوانة مستطيلة أعيد نحتها بصورة جيدة ( ل . 4 ، ش . 3 ) وشظايا على شكل صفيحات ( ل . 4 ، ش . 4 ـ 20 ) وصوان حجرية دقيقة جدا على شكل قطع دائرية واهلة ونصل مبراة ومثلثات وأشكال هندسية أخرى ( ل . 4 ، ش . 21 ـ 25 و ل . 5 ، ش . 1 ـ 15 ) .

ومن بين التحف العظمية المصقولة ينبغي أن نشير الى حد حربة أو خنجر ( ل . 6 . ش . 1) ذا حد نحيل مصنوع من ضلع منحن طولا انحناء قليلا (ل . 6 . ش . 2 ـ 3) ومثقب يستعمل أيضا كمصقل (ل . 6 . ش . 4) ومثاقب بسيطة (ل . 6 . ش . 4 ـ 10 ) ومصاقل مزدوجة ( ل . 6 . ش . 11 ـ 14 ) ومصاقل مختلفة الابعاد




(ل . 7 ، ش . 1 ــ 7) وحدود حراب على شكل نصل مبراة (ل . 8 ، ش . 1 و 2) التي تظهر غير كاملة إن قارناها بالحد الذي اكتشف بمغارة سكان الكهوف (ل . 8 ، ش . 3 ) ومصقل ( ل . 8 ، ش . 4 ) ونصل أرق طرفه حتى أصبح على شكل مسوط ( ل . 8 ، ش . 5 ) ونصل مستطيل ذي حد مجوف وقاطع ( ل . 8 ، ش . 6) وآلة مكونة من قاعدة عظمية وصوانة (ل . 8 ، ش . 7) إن التحف المنقوشة التي وجدت هي: مثقب مزين بخطوط صغيرة أفقية ( ل . 9 ، ش . 1 ) وقطعة على شكل جذع مخروط مؤثثة بخطوط موازية ( ل . 9 ، ش . 2 ) وصفيحة من قشرة سلحفاء مزخرفة بخطين رقيقين موازيين (ل . 9 ، ش . 3) وقسم صدف كبير سميك جدا ، مزين بأربعة خطوط منحنية ( ل . 9 ، ش . 4 ) .

تحتوي تحف الزينة التي اكتشفت على قرط ثقبت فيه ثقبتان للتعليق ( ل . 9 ، ش . 5 ) وقطعة صدف قلبية الشكل ثقبت فيها ثقبة للتعليق ( ل . 9 ، ش . 5 ) وصحيفة اهليجية الشكل مزينة بتجويف في طرفيها ( ل . 9 ، ش . 7 ) وحصى صغيرة مستعملة كخرزات عقد( ل . 9 ، ش . 8 ) أما القطعة الفخارية فلها شفة على شكل كلاب صغير بارز( ل . 9 ، ش . 9 ) .

تقع مغارة الشكنة على حوالي 1200 م من طرف ربض ايكمول وتطل على الجانب الايسر لواد ينحدر من جبل مرجاجو. وهي أجمل مغارات وهران، وأكثرها انتظاما، فتحتوي على قسمين مختلفين: حجرة، ومعبر.

إن الحجرة ذات شكل اهليجي يبلغ طولها 60 ، 13 م وعرضها 60 ، 12 م وارتفاعها الأكبر 4 م. لها فتحة نصف اهليجية الشكل يبلغ ارتفاعها 7 م وارتفاع قوسها 80 ، 2 م. ونجد داخل المغارة، على اليسار وعلى مسافة 2 م من العتبة ممرا محفورا في الصخرة يتراوح طوله وقطره بين 2 م و 3 م، موجها نحو سافلة الوادي، يؤدي الى فتحة ثانية تطل على الخارج.

يقع المعبر على يمين الحجرة وهو مفصول عنها بواسطة جدار سميك ولا يؤدي إليها الا من قعره. ويوجد المعبر على ثلاثة أو أربعة أمتار من الفتحة الثانية للحجرة ويبلغ قطره 30 ، 1م. في بدايته يكون المعبر وطيئا نسبيا ثم، على مسافة 60 ، 3م نستطيع أن نقف فيه، وعلى مسافة 6م، ترتفع قاعدته الصخرية حتى لانستطيع أن نذهب من قعر المعبر الى الحجرة إلامنبطحين.

إن الحفريات التي أجراها بالارتي ودومرق في السنتين 1892 و 1893 سمحت لهما باكتشاف عظام بشرية وبقايا فقريات ورخويات وأسلحة وآلات حجرية مصقولة وعظامية مصقولة وقطع فخارية ترجع الى العهد الحجري الجديد.

تحتوي العظام البشرية التي وجدت على جمجمة رجل كهل وجزء من قمة جمجمة طفل وفك علوي لرجل كهل وفك سفلي لطفل.

واكتشفت بقايا الفقريات التالية: البقرة والخنزير الوحشي والدلدل والغزال والاروية ومن بين الرخويات التي عثر عليها نذكر الحلزون البري وصدفات ميديات محطمة وصدفيات من ثلاثة أنواع أخرى منها الصدفة التي يستخرج منها الأرجوان.

إن الأسلحة والآلات الحجرية المنحوتة التي عثر عليها هي: ثلاثة أحجار قرصية الشكل من صوانة صفراء، اثنتان منها تمثلان حجري الرمي (ل. 10. ش. 1) أو شظايا من الصوان مستعملة كازميل ومحك (ل. 10. ش. 2)، أو كمحك (ل. 10، ش. 4) ومكاشط بسيطة أو مزدوجة أو ثلاثية (ل. 10، ش. 5 _ 7)، وحدود ذربت قليلا أو كثيرا (ل. 10، ش. 9 _ 11) وحد صغير ذو تجويف ومنقاش في القاعدة (ل. 10. ش. 12) وأسلحة وأدوات دقيقة جدا مثل نصال مبراة (ل. 11. ش. 6 و 7) ورأس حربة هرمي الشكل (ل. 11. ش. 13).

من بين التحف الحجرية المصقولة التي اكتشفت نذكر فاسا منقطة على شكل مدق مزدوج (ل. 11. ش. 10 و 11) ورأس سهم (ل. 11. ش. 12) ومطارق.

أما الأسلحة والآلات العظمية المصقولة فتمثلها الحدود (ل . 12 ، ش . 1 ـ 3 ) ونوع من المدك ( ل . 12 ، ش . 4 ) ومثقبان ( ل . 12 ، ش . 5 و 6 ) ، ومثقب يستعمل أيضا كابرة ( ل . 12 ، ش . 7 ) وأداة يمكن أنها استعملت كأنبوب لتوقيد النار بسرعة ( ل . 12 ، ش . 8 و9 ) .

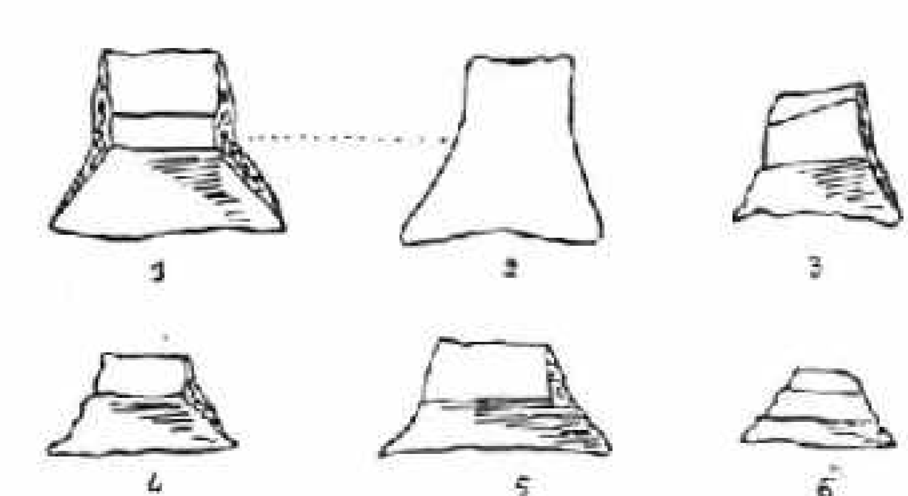
وتشتمل القطع الفخارية التي اكتشفت على قطعة من صحن وقطعة من إناء وقطعتين لهما بروز افقي ، واثني عشر قطعة مزخرفة بنقوش على شكل حبوب البطيخ مفترقة ومتوازية .

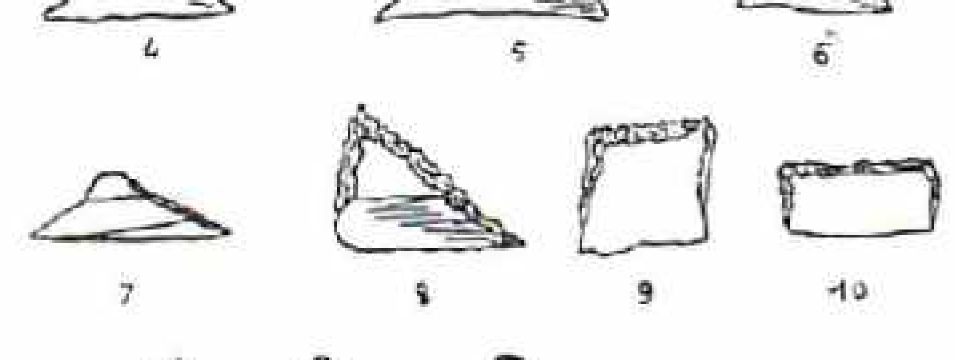
ومن بين تحف الزينة التي وجدت ينبغي أن نذكر أقراطا استعملت كاحراز ، وخمسة انصاف من الصدفيات مثقوبة ، وقطعة من صفيحة سلحفاء ، وقطعا من بيض النعام .

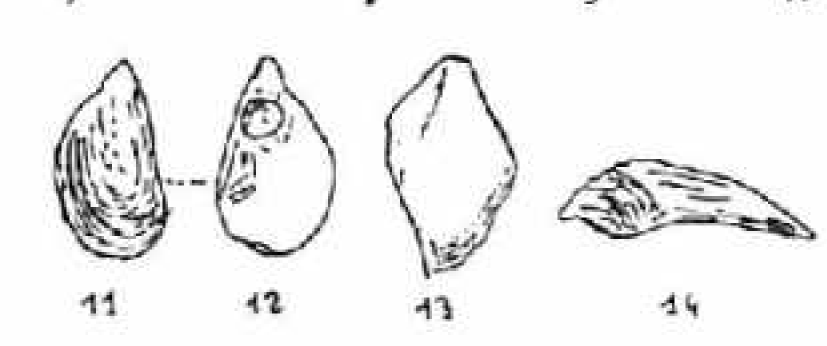
تقع مغارة سكان الكهوف التي قام بالاري وتومازيني بالتنقيب عنها سنة 1881 ، في أول واد موجود على يمين الطريق التي تربط ما بين وهران وتلمسان ، بعد ميدان التمرن على اطلاق المدافع بايكمول . يبلغ طولها 8م وارتفاعها وعرضها 3 م .

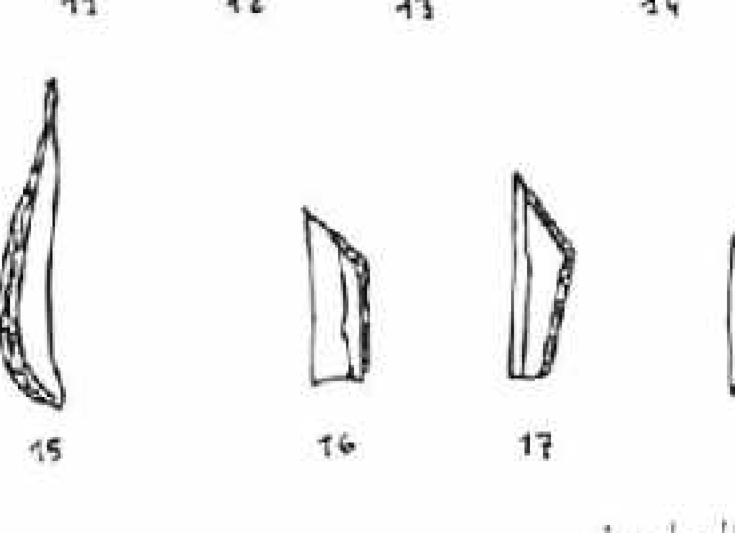
وجد في الطبقة السفلى منها حدود ومكاشط راجعة الى الفترة الموستيرية وفي الطبقة العليا ، بقايا بشرية وعظام حيوانات منقرضة غير موجودة الآن وكسر رخويات برية ، وعدد كبير من النصال ذات حافة مموجة أو ذات تجويفات أعيد نحتها بصورة جيدة ، كلها من الصوان أوكادت . كما عثر على تحف من الفخار مزينة بزخرفة هندسية منقوشة .

حفرت مغارة الغابة ، التي اكتشفت سنة 1894 ، في الكلس الطباشيري الراجع الى العهد الساحلي الأعلى . يبلغ طولها 8م . إ فغير البشر أو الحيوانات النباشة ، ترتيب طبقتها العليا . إ ! واكتشفت في طبقتها السفلى التي ترجع الى العهد الحجري الجديد ، عظام بشرية وحيوانية وأحجار منحوتة ، وأحجار

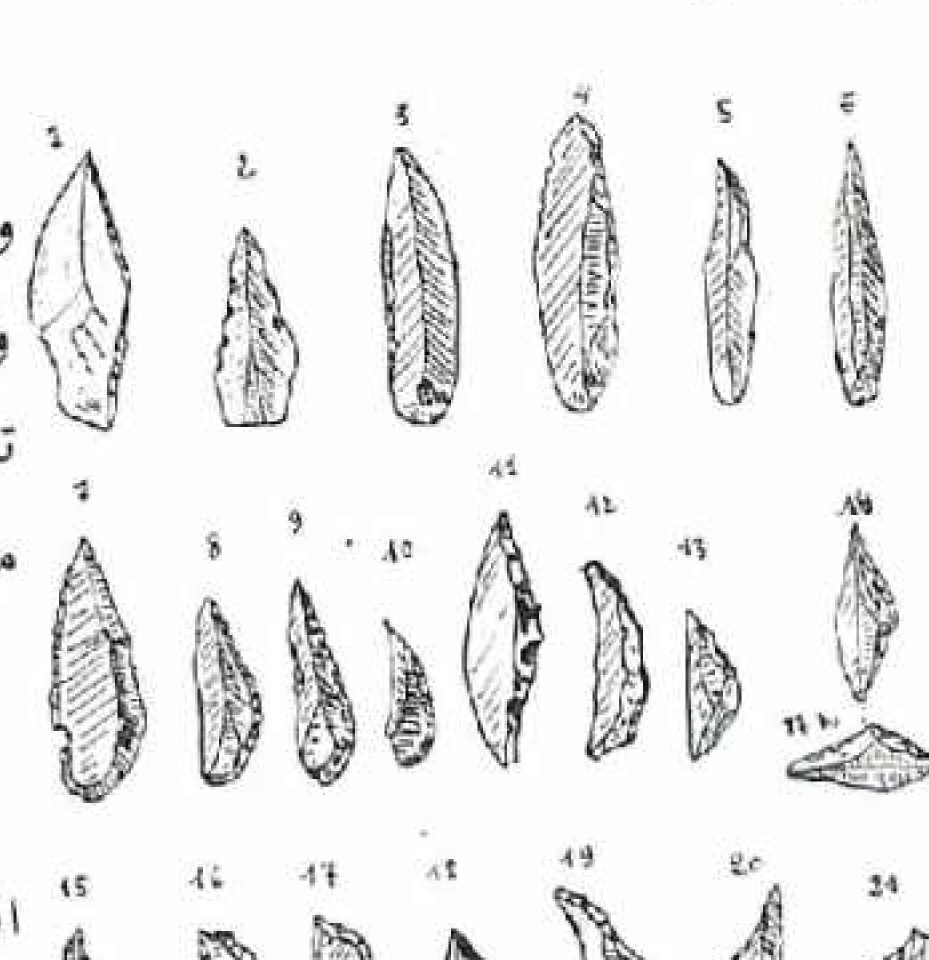








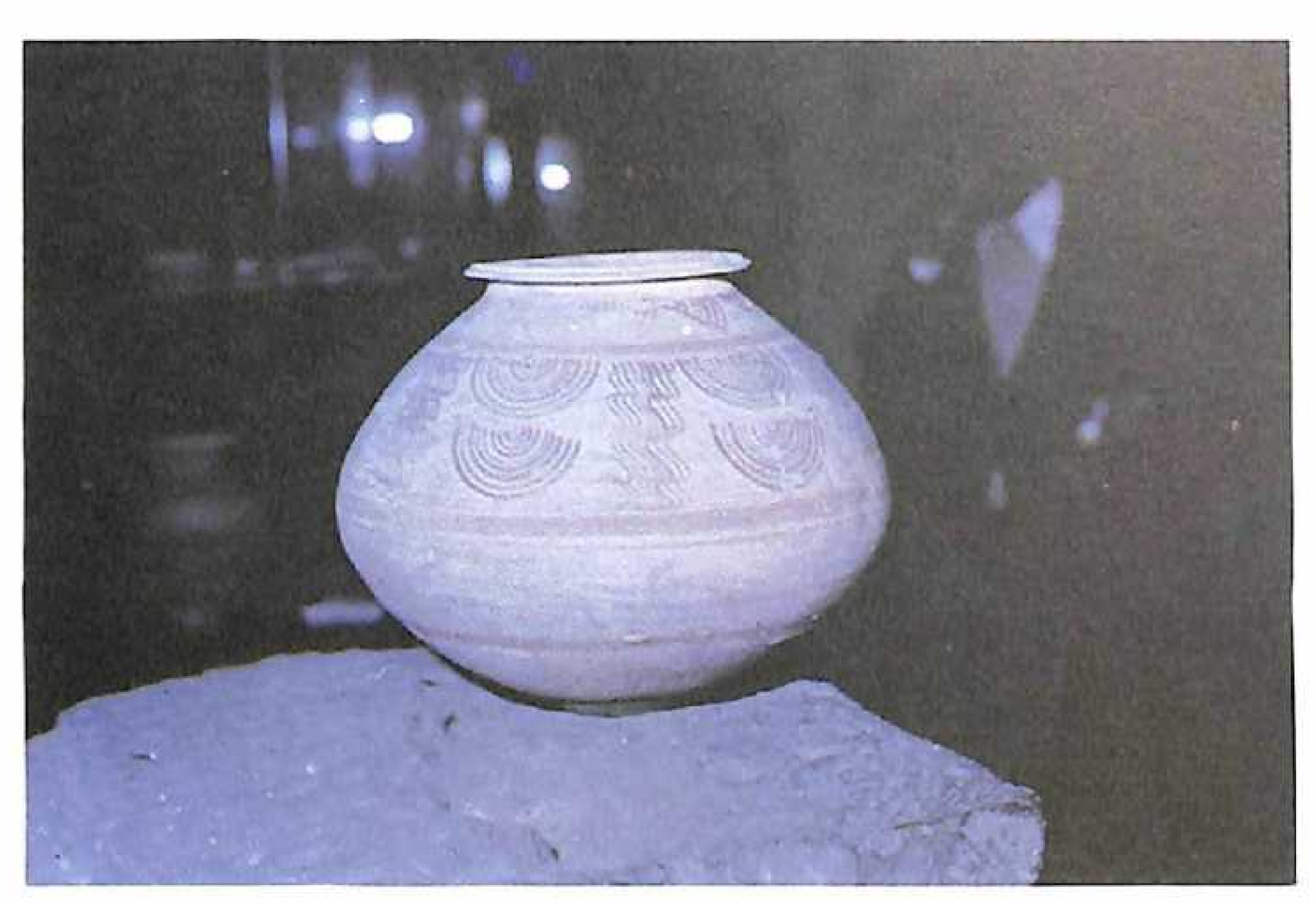
مقبرة الحلزون



البطرية الاسبانية القديمة



كبش بونيقي



خزف بونيقي

مصقولة . وتحف من الفخار ، منها طس ذو بروز أفقي يقوم مقام عروة وثقبه تستعمل للتعليق ومزينة من الخارج بخطوط صغيرة محفورة تشكل مستطيلات موازية .

اكتشف في المغارة الجميلة التي التي عليها اسم مغارة الهواء الطلق ، عظام وفأسان مصقولان وقطع من بيض النعام .

وبجانب المغاور التي سبق ذكرها نجد بوهران وضواحيها مواقد في العراء ترجع هي الأخرى الى ما قبل التاريخ . وأشهر هذه المواقد : مقبرة الحلزون ومحطة المدفعية الاسبانية ، ومحطة المدفعية الاسبانية القديمة .

تقع مقبرة الحلزون جنوبي رأس كورالس وبالقرب منه ، في نواحي الشريم حيث يبدأ الشط الذي يمتد من جهة الغرب الى الأندلسيات .

أطلق عليها هذا الاسم لوجود عدد كبير من صدفات الحلزون في موقعها . وتشتمل على حوالي ثلاثين موقدا عادية مكونة من احجار يبلغ حجمها جمع الكف ، مرتبة على طبقة أو طبقتين لتكوّن دائرة يتراوح قطرها بين 40 و 50 سم ، وعلى بقايا مواقد كبيرة تمتاز بالمساحة الواسعة التي تحتلها الأحجار المبعثرة .

بجانب صدفات الحلزون ، عثر على بقايا فقريات ورخويات بحرية وقشريات وأسلحة وآلات حجرية منحوتة مصقولة وقطع فخارية وتحف الزينة .
إن العدد القليل من العظام التي وجدت بمقبرة الحلزون هي : عظام الظبي وغزال الجبل والكبش .

وأوفر الرخويات البحرية التي اكتشفت هي : الميدية والصدفة التي يستخرج منها الأرجوان . بينما نرى القشريات يمثلها بالأخص السرطان .

ينبغي أن نذكر من بين الأسلحة والآلات الحجرية المنحوتة : صوانة على شكل نصل مبراة ( ل . 13 . ش . 15 ) ، وسبعة منحرفات جميلة ( ل . 13 . ش . 1 ــ 7 ) ، وصوانة مثلثة ( ل . 13 . ش . 10 ) ، وثلاثة مثاقب احدها مصنوع من نصل رقيق ( ل . 13 . ش . 18 ) .

كما نذكر قطعة من فاس مصقولة وكسر الفخار . أما تحف الزينة فتمثلها قطع من بيض النعام وانصاف صدفات ( ل . 13 . ش . 12 ـ 14 ) .

اكتشفت بمحطة المدفعية الاسبانية قطعتان من فاس مصقولة . وحصاة تكاد تكون أسطوانية الشكل . .

من بين التحف التي وجدت بمحطة المدفعية القديمة أو الميناء القديم . تحتل الصوان المرتبة الأولى . فنذكر منها : حدودا ( ل . 14 . ش . 1 ـ 7 و 9 و 10 ) ونصال مبراة ( ل . 14 . ش . 8 ) وقطعا دائرية واهلّة ( ل . 14 . ش . 14 و 14مكرر ) ومناقيش جانبية ( ل . 14 . ش . 18 ) واشكالا تشبه منقار الببغاء ( ل . 14 . ش . 19 ) ومثاقب مائلة ( ش . 20 و 21 ) . يبدو أن وهران نسيت أثناء العصور القديمة ولم يعثر بها على أي شيء يرجع تاريخه الى هذه الفترة . فنجهل ما إذا كان القرطاجنيون أحتلوا وهران : ولكن نعرف أنهم أسسوا مدينة بموقع « الأندلسيات » بحيث أن الأثريين وجدوا بها مقبرة بونية يرجع تاريخها الى القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد . كانت قبورها تحتوي على اثاث جنائزي هام معروض بمتحف وهران .

كما لا نعرف اذا كان الرومان اهتموا بوهران التي كانت مذكورة في دليل المسافر لأنطونيوس تحت إسم بورتوس ديفيني ( ميناء الآلهة ) غير أنهم احتلوا موقع الأندلسيات واربال وبطيوة . ( سان القديمة ) .

عثر الأثريون على كتابة لاتينية بموقع الاندلسيات يرجع تاريخها الى 250 . ق . م . ومن بين التحف التي وجدت باربال ، ريجيا الرومانية ، نذكر تمثالا مكسورا معروض بمتحف وهران . كانت بطيوة الحالية تحمل إسم بورتوس ماقنوس ( الميناء الكبير ) في العهد الروماني . فكانت أهم مدن الناحية . وفي سنة 1862 ، اكتشفت بها فسيفسائين نقلتا الى متحف وهـران . إن الفسيفساء الأولى ، تحتوي على أربع لوحات تمثل منظرا من مناظر الأسطورة الكبيرية ، و« ابولون المتغلب على مارسياس » و « لاطون المنقولة الى ديلوس » و «هرقل يلقي القبض على أسد» . أما الفسيفساء الثانية فتمثل «انتصار باخوس» .

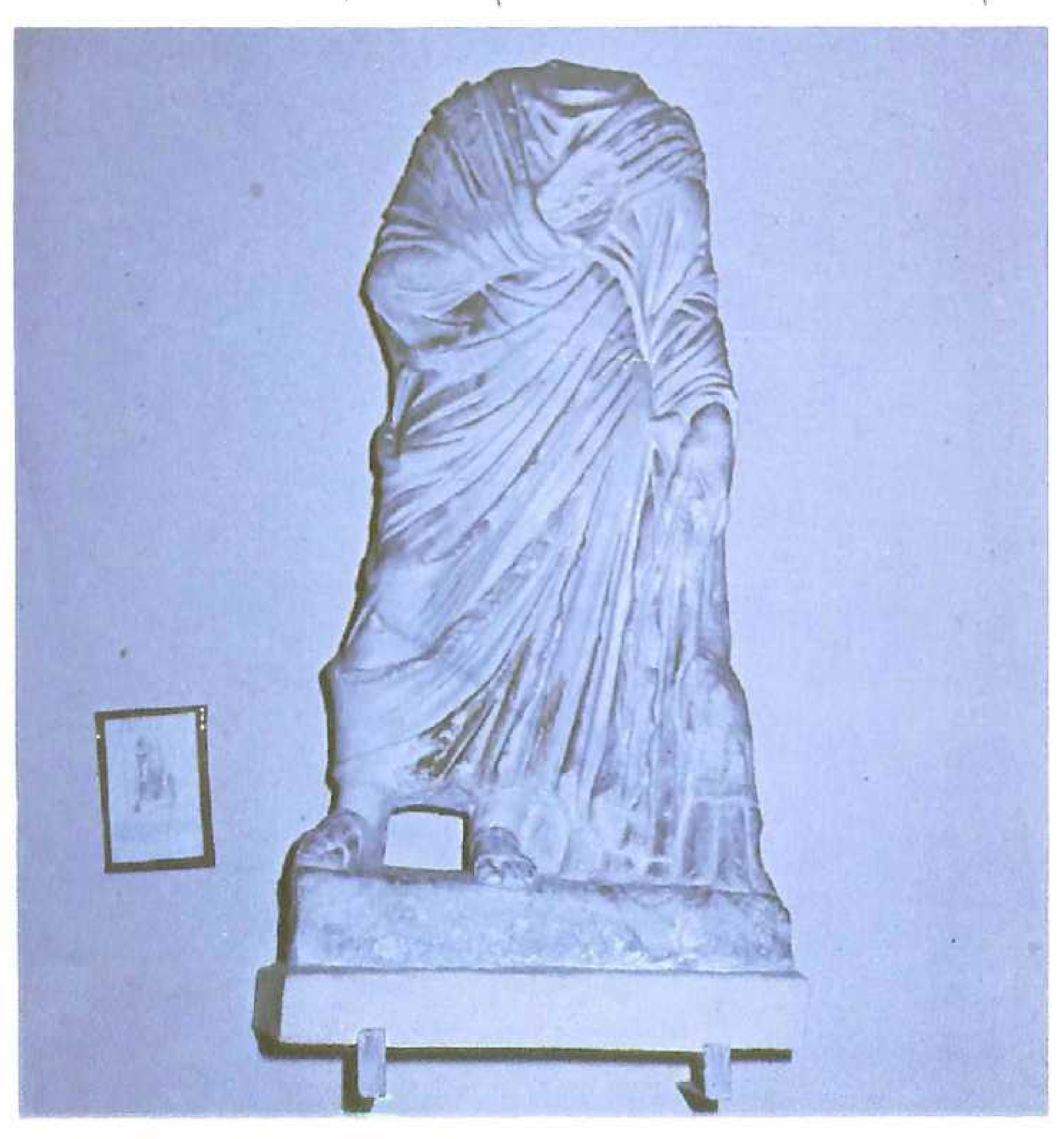
وبجانب الفسيفسائين عثر الأثريون ببورتوس ماقنوس على تيجان أعمدة ومصابيح وكتابات لاتينية وميل ورأس فتاة من الرخام .

# وهران من تأسيسها إلى أواخر القرن الثاني عشر

أسس محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون مدينة وهران بمساعدة ملاحين أندلسيين وبموافقة فرقتين من قبيلة ازداجة كانتا تسكنان المنطقة وهما : نفزة وبنومسقن .

وقع اختيارهم على هذا الموقع لوجود شريم أمام المدينة يسمح لهم بتحميل وانزال بضائعهم ، وبوجود خليج صغير بالقرب منه ، حيث كانت مراكبهم مأمونة من الرياح والعاصفة هو : المرسى الكبير .

وبعد سبع سنين ، زحفت زناتة الى وهران مطالبة اهلها بتسليم بني مسقن الذين كانوا قد استقروا بالمدينة فرفض طلبهم . فحاصروا المدينة واستطاع بنو مسقن ان يغادروها سرا ، وان يضعوا أنفسهم تحت حماية ازداجة بينما أضطر الوهرانيون الى التسليم نظرا لكثرة اعدائهم ، فنجوا من التهلكة وفرضت عليهم زناتة مغادرة المدينة تاركين اموالهم وذخائرهم . وقصد سكانها تاهرت



تمثال من الرخام ( متحف وهران )

تحت قيادة محمد بن أبي عون ، ووضعوا أنفسهم تحت حماية دواس الذي كان يخضع لفاطمي أفريقية . بعد أن احتلت وهران ونهبت وحرقت في السنة التالية ، جمع دواس جيشا مكونا من جنود تاهرت وسكان وهران ، واستطاع أن يفتح المدينة واعيد بناؤها ووضعت تحت إمرته .

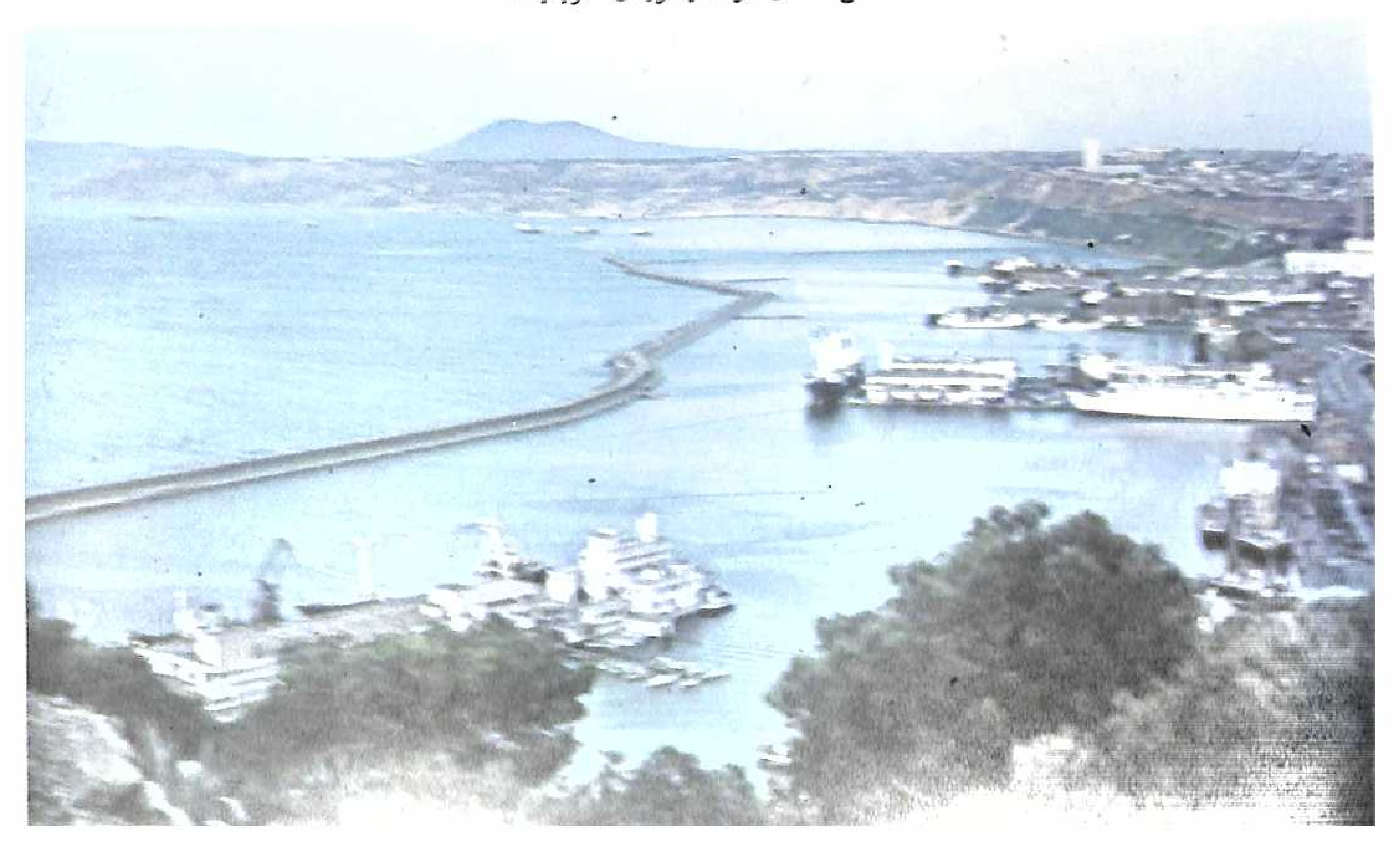
كانت وهران مدينة محصنة من الدرجة الأولى ، نظرا لموقعها الممتاز . ونتيجة لذلك عرفت فترة طويلة من الاضطرابات ، حيث أن فاطمي القيروان وأمويي قرطبة الذين كانوا يتنافسون في المغرب الأقصى وفي المغرب الأوسط تحاربوا باستمرار لاحتلالها .

وهكذا ، في سنة 928/316 ـ 929 ، احتلها محمد بن خزر ، قائد قبيلة مغراوة الزناتية ، وحليف عبد الرحمن الثاني الناصر ، الخليفة الأموي بقرطبة ، بعدما تغلب على دواس والى تاهرت وقتله . فولى ، إذ ذاك ، ابنه الخير على المدينة .

وبعد ،سنتين ، سقطت وهران بين أيدي الفاطميين الذين ولوا محمد بن أبي عون عليها . فلم يخدمهم هذا الأخير باخلاص وخضع للخليفة الأموي ، لأن المدينة التي كان على رأسها كانت تمارس تجارة مربحة مع الأندلس . ولكن عندما سمع بوصول جيش هام تحت أمر القائد ميسور ، بعث له رسلا يقدمون له خضوعه . فابقاه ميسور في منصبه .

ولم يبق محمد وافيا للفاطميين مدة طويلة بحيث أنه خضع لأمويي الأندلس عند وصول ميسور الى أفريقية .

ميناء وهران







في 15 جمادى الأولى /17 سبتمبر 954 ، تغلب يعلى بن محمد ، قائد قبيلة بني يفرن ، على ازداجة ، بالقرب من وهران وفتح المدينة ونهبها وأحرقها . وبعد سبعة أشهر ، أصبح يعلى الممثل الرسمي لأمويي الأندلس .

ونقل الوهرانيين الى فكان ، التي توجد على مسافة 22 كلم جنوبي غربي معسكر ، على وادي فكان ، وخرب وهران .

وفي سنة 958/347 ـ 959 ، أستطاع جوهر ، القائد الفاطمي أن يتغلب على يعلى بمساعدة مغراوة ويفتح تاهرت وفكان ووهران . فعين الفاطميون ، إذ ذاك ، محمد بن الخير واليا على وهران فسمي نهر وهران ، وادي بن الخير ، باسمه .

وما لبث محمد ان خضع لأمويي قرطبة . فعوقب عقابا شديداً ، حيث أرسل له الفاطميون زيري بن مناد الذي هزمه هزيمة شنيعة بالبطحاء ، المدينة الهامة على الضفة اليمنى لوادي مينة وها هو نص رواية المؤرخ أبي رأس لهذا الحدث :

« ونهض ،محمد بن الخير من وهران يجر الأمم بحذافرها . فلما سمع بذلك زيري بن مناد ، جمع الجموع التي لم يعهد مثلها الدهر الا قليلا . فلما اجتمعت عليه بدار ملكه اشير عقد عليهم ابنه بلكين . فالتقى الجمعاني بالبطحاء . فدارت بينهم حروب لم يعد الدهر بمثلها يوما . ثم انحل مصاف مغراوة وجموعهم ولما أيقن محمد بن الخير بهلاكه وعلم أنه أحيط به مال الى ناحية من عسكره وذبح نفسه ، وانهزم قومه سائر يومهم ، وبقيت عظامهم ماثلة بمصارعهم عصرا ، فهلك من مغراوة بضعة عشر أميرا . فأخذ بلكين رؤوسهم وانقلب بها الى أبيه ظافرا ثم بعثها زيري الى افريقية للعزيز فامتلأ العزيز سرورا ، وغم لها المنتصر الأموي بقرطبة . فعلا بسبب ذلك زيري على سائر عمال المغرب » .

وتولى فتوح أخو محمد بن الخير الأمر بوهران وبمساعدة ابني أخيه ونظم من جديد جيش مغراوة واستطاع أن يقتل زيري بن مناد .

فأخذ بلكين بثار أبيه واستطاع أن يفتح المغرب كله ما عدا سبتة . فأصبحت وهران تحت مراقبة الزيريين الذين كانوا يحكمون بافريقية والمغرب باسم الفاطميين ، وبقيت هكذا الى سنة 987/377 _ 988 ، حيث ثار أبو البهار بن زيري بن مناد على ابن أخيه المنصور واحتل المدينة وخضع لخليفة قرطبة غير أنه ما لبث ان خضع من جديد للزيريين .

فأصبحت ، وهران ، اذ ذاك ، مباشرة تحت سلطة والي تاهرت ولكن بعدما خضع خلوف بن أبي بكر ، والي هذه المدينة للامويين ، خضعت وهران من جديد لخليفة قرطبة .

في سنة 991/381 ، أحتل زيري بن عطية ، قائد مغراوة ، الذي كان على رأس مملكة فاس باسم الأمويين ، وهران وبعث الى خليفته هدايا كثيرة منها مئتي حصان نفيسة ، وخمسين جملا مهريا ، وألف ترس من جلد اللمط ( نوع من البقر الوحشي ) وألف حملة من نسيج الصوف الرقيق وزرافة . وسمي واليا ، على المغرب. ولكن أغتنم زيري بن عطية فرصة عزل الحاكم الثاني ، خليفة قرطبة ، من طرف المنصور بن أبي عامر ، الوزير القوي ، وأعلن استقلاله . فارسل المنصور جيشا تحت قيادة واضح يضم في صفوفه خزرون بن محمد أحد رجال قبيلة ازداجه ، لمحاربته فانهزم زيري بن عطية وعين واضح واليا على المغرب . فسمى خزرون بن محمد على رأس ناحية وهران . فرجع إليها ازداجة الذين كانوا ساهموا في بنائها أفواجا أفواجا .

وفي بداية القرن الحادي عشر ، نظم زيري بن عطية جيشه من جديد وتوجه نحو المغرب الأوسط وفتح وهران التي كان غادرها ازداجة بسرعة عند قدومه . فطلب حماية الفاطميين وحصل عليها في سنة 1005/406 _ 1016 ، أستطاع ازداجة أن يتولوا الأمر بوهران ولكن مالبث المعز ابن زيري بن عطية ، الذي خلف اباه بعد موته ، أن يطردهم منها وعين على رأسها ابناء خزر الزناتي الذين استمروا في الحكم سنين عديدة .

عرفت وهران ، اذ ذاك ، فترة هدوء طويلة ، بحيث أن المؤرخين لا يشيرون الى أي حدث وقع بين سقوط المدينة بين أيدي بني خزر ، وفتحها من طرف المرابطين تحت قيادة يوسف بن تاشفين في سنة 473/1081 _ 1082 .

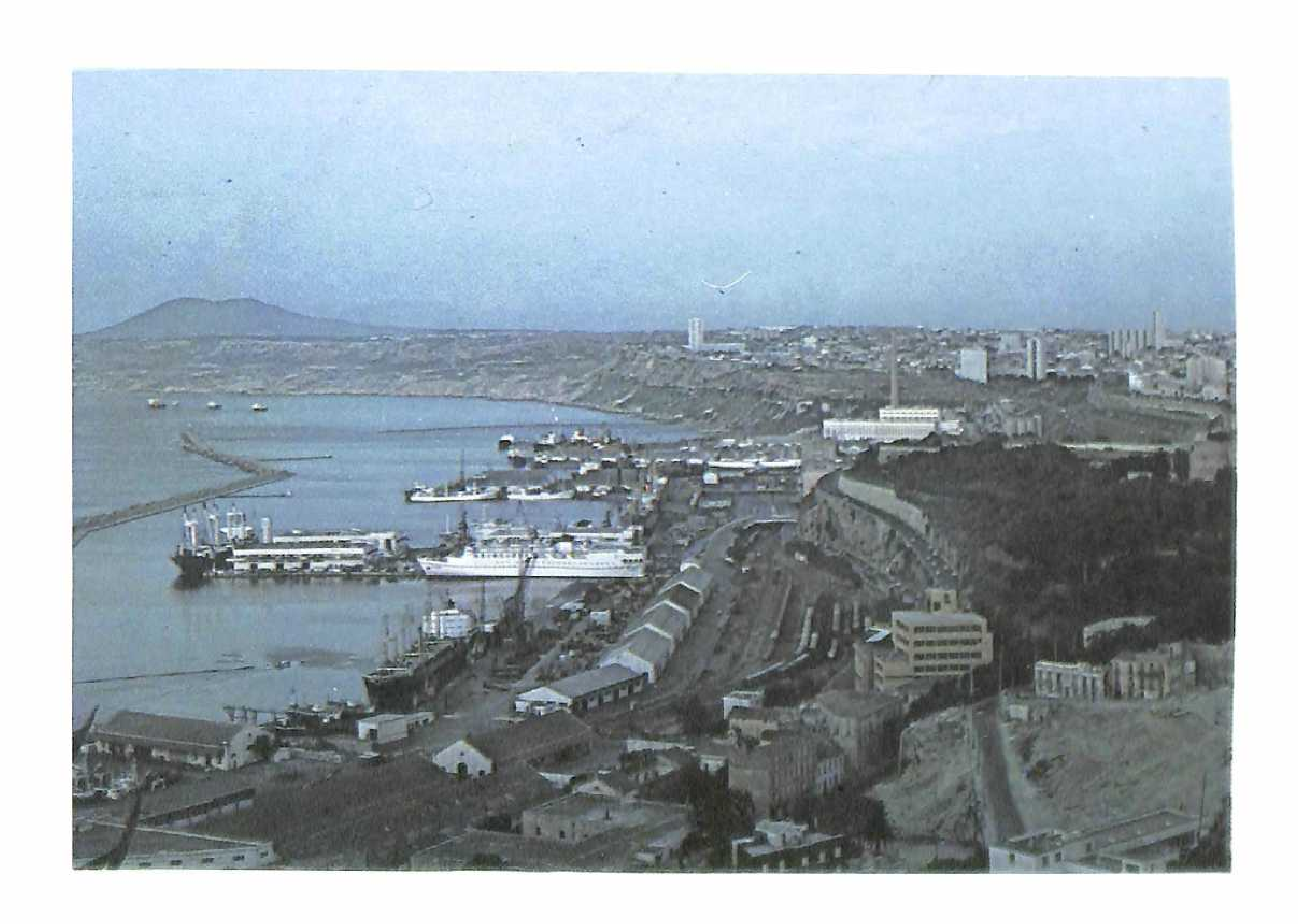
فازدهرت وهران ، بدون شك ، في عهد حكامها الجدد الذين ملكوها الى سنة 1145/539 ، حيث أصبحت مسرحا لأحداث دامية .

فعلا ، في هذه الفترة ، الأمير المرابطي تاشفين بن علي الذي كان محاصرا بتلمسان ، قصد وهران حيث لجأ الى حصن كان يملكه على شاطيء البحر . ومن هناك بعث رسالة الى ابن ميمون ، قائد أسطوله ، أمره فيها بتحضير عشرة مراكب وتوجيهها الى الميناء الأقرب من الحصن ليستطيع ، عند الاقتضاء ، أن يقصد الأندلس . وبعد ذلك نزل خارج المدينة ، بينما نزل عبد المؤمن ، الخليفة الموحدي ، الذي كان تبعه ، الجبل الذي يطل على وهران . فتقاتل

الجيشان كل يوم وخلال أشهر عديدة ووقعت بينهما معارك شديدة كانت تنتهي دائما لفائدة الموحدين .

فخمدت شجاعة تاشفين بعد أربع سنين من المعارك المستمرة وبعد موت الزبرتير ، أحسن قادته ؛ وقتل الجيش المسيحي الذي كان يقوده ، وتضعضع بعد انهزاماته الأخيرة . فغادر معسكره سرا وقصد الحصن الذي كان بناه على الساحل . فعلم الموحدون بذهابه وأحاطوا بالحصن الذي لجأ إليه وأحرقوه . وحتى ينجو من الحريق خرج من الحصن ولكن من حيث ان الليل كان مظلما سقط من أعلى الجرف . وفي صباح الغد ، وجده الموحدون ميتا وفرسه تحته . وقع هذا الحدث يوم 27 رمضان 23/539 مارس 1145 . وبعد ثلاثة أيام ، فتح الشيخ أبو حفص عمر وهران التي كانت فقدت عددا كبيرا من سكانها الذين كانوا قد ماتوا من العطش . فهدم الشيخ أبو حفص عمر أسوار المدينة وقتل جميع أنصارها ما عدا أحدهم الذي بودل باخت عبد المؤمن وبنتيها اللتين كانتا مسجونتين بمدينة فاس .

تلك هي الخطوط العريضة لتاريخ وهران السياسي في الفترة التي تمتد من تأسيسها الى أواخر القرن الثاني عشر . فلنر الآن ما نعرفه عن حياتها الإقتصادية والاجتماعية والعلمية .



إن أقدم جغرافي عربي يفيدنا بمعلومات عن وهران هو ابن حوقل الذي أتم تأليف كتابه في سنة 376/986 _ 987 . فيصف المدينة كالتالي :

« إن مرسى وهران مأمون ومستور من كل ريح وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد البربر . فيحيط بها سور ويسقيها واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات مختلفة الفواكه . وسكان الأرياف الذين يسكنون بضواحيها حذاق في الفلاحة ولكنهم متحفظون مع الغرباء . ومدينة وهران هي مركز التجارة مع الأندلس . فتأتي السفن اليها بالبضائع وترجع بالقمح . ومعظم البربر الذين يسكنون ضواحي المدينة من قبيلة يزداجة ( ازداجة ) . » .

وقال ابن خميس الذي زار وهران في أواخر القرن الرابع الهجري . العاشر الميلادي ، من جهته:« اعجبني في المغرب وهران خزروجزائربلكين . » .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، قال المقدسي : « وهران بحرية ، مسورة يقلعون منها الى الأندلس في يوم وليلة . » .

وفي القرن الذي يليه ، اعطانا البكري الوصف التالي عن وهران : « وبين مدينة أرزاو هذه ووهران أربعين ميلا . ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين ، ولها مسجد جامع ... وفي عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الاجساد ومعروفون بشدة الأيدي اخبرني غير واحد أنه رأى الرجل الكامل في الخلق المعهود يكون الى دون منكب الرجل منهم ، انهم كان منهم رجل يحمل ستة نفر ويخطو بهم خطوات يحمل على عاتقه اثنين ويتأبط اثنين ويحمل على ذراعيه أثنين ، وان رجلا منهم اراد عمل بيت فاقتطع ألف كلخة وحملها على ظهره ، وسوى منها بيتا تاما معرّشا » .

أما الادريسي الذي ألف كتابه في سنة 548/1154 ، فقال : « ووهران على مقربة من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس وعلى بابها مرسى صغير لا يستر شيئا ولها على ميلين منها المرسى الكبير وبه ترسي المراكب الكبار والسفن السفرية وهذا المرسى يستر من كل ريح وليس له مثال في مراسي حائط البحر من بلاد البربر ، وشرب أهلها من واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة وأهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السمن والزبد والبقر والغنم بها رخيصة باثمان اليسير ومراكب الأندلس اليها مختلفة ، وفي أهلها دهقنة وعزة أنفس ونخوة . » .

كما رأيناه فيما سبق كانت وهران ميناء تجاريا كبيرا في العهد الموحدي . فكانت أيضا مركزا هاما لصناعة المراكب من حيث أنها ، في سنة 559/1162 ، في عهد عبد المؤمن الخليفة الموحدي الأول ، ساهمت ، بجانب موانىء افريقية وهنين ، في صناعة مئة سفينة أعدت لتشارك في غزو الأندلس الكبير .

في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، [ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ] ، نمت وهران نموا كبيرا بسبب إقامة علاقات تجارية مع الدول المسيحية للبحر الأبيض المتوسط ، ونمو مدينة تلمسان التي كانت تعتبر وهران ميناءها .

وابتداء من أواخر القرن الثاني عشر ، كان للمرسيليين فندق خاص بوهران ، على رأسه مدير معين من طرف قناصل مرسيلية . وكان حقيقة عبارة عن حي صغير بفرن وحمامات . وكان فيه قنصل خاص يقيم به باستمرار أو يكاد يساعده مستشار وكتاب عدل وبوابون وكتاب .

تعاقد الملوك المغاربة مع جمهورية بيزة التجارية في 1133/528 و 562/1166 و 1186/582 . فامضى أبو يعقوب بن عبد المؤمن الاتفاق الأخير الذي عينت فيه وهران من بين الموانئ الأربع التي يسمح لسكان بيزة بالتجارة فيها بينما كانت الموانيء الثلاثة الأخرى هي سبتة وبجاية وتونس . ونصب أبو يعقوب في كل من هذه الموانيء الأربعة منصب جمرك ، كان مكلفا بجباية ضريبة تساوي 10 / 100 .

كما امضت جمهورية جنوة اتفاقات تجارية وعقود الصلح مع الملوك المغاربة في 1138/533 و 1153/548 _ 1154 و 1160/556 _ 1161. فأذن لتجارها بنصب فندق وقنصلية بوهران .

وكانت البندقية ، من جهتها ، تنظم سفرا سلميا ينطلق من ليدو في النصف الثاني من شهر يوليو من كل سنة . فكانت مراكب البندقية تمر بطرابلس وبجاية والجزائر ووهران . وكانت ترسو بهذه المدينة الأخيرة رسوها الأطول من حيث أنها كانت تقيم بها عشرة أيام .

وعلى قول كازناف : «كان تجار جميع النواحي تقصد وهران بهذه المناسبة . وكان معدل ما يباع بها عشرون أو ثلاثون ألف هكتو ليتر من القمح وعشرة آلاف هكتو ليتر من الشعير ، والتمور والقطن والشمع والزيت ونبات عطري يشابه البساسة والكمون وجوز الطيب . وكانوا يشترون بالاخص الذهب والنحاس غير معالجين بالصناعة ومصنوعين على شكل سبائك وقضبان وقطع وخيوط ، لصناعة الحلي أو النقود . كما كانوا يشترون نسجا من الحرير والصوف والقطن والعظلم الذي يستعمل لتلوين النسيج باللون الأزرق . وكانت البضائع المبتاعة تباع مرة ثانية في الناحية كلها ، أو تبعث نحو جنوب المغرب الأقصى والسودان قوافل قوافل » .

ونذكر أخيرا أن ناحيتي بلنسية وكاتلونيا ، كانتا تبعثان الخمور الى منطقة وهران . بجانب حركتها التجارية الهامة ، عرفت وهران نشاطا علميا كبيرا . ومن بين العلماء الذين ولدوا أو أقاموا بها نذكر : أبا القاسم عبد الرحمن الوهراني ، وأبا بكر الوهراني ، وأبا محمد بن يونس الوهراني . وأبا عبد الله محمد الوهراني ، وأبا محمد بن جبل . عاش أبو القاسم عبد الرحمن الوهراني ،

الملقب بابن الخراز في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي . وكان أشهر تلاميذه ، ابن حزم الأندلسي . فاستقر ببشينة ثم بقرطبة وتوفي في ربيع الأول 411 / يونيو ـ يوليو 1020 .

كان أبو بكر يحيى الوهراني ذكيا جدا وصاحب ذاكرة عجيبة . فكان مشهورا بالاخص كمحدث . وتوفي في سنة 1039/430 .

عاش أبو محمد بن يونس الوهراني في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي . استقر باشبيلية في سنة 1037/429 ـ 1038 . كان عالما في الرياضيات والطب وخصوصا في علم الحديث . وتوفي عن عمر يقارب تسعين سنة .

ولد أبو عبد الله محمد الوهراني ، الملقب بركن الدين بوهران في القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي ، وزار القاهرة حوالي سنة 1174/470 ـ 1175 وامتاز بعلمه وذكائه الكبير .

وكان أبو محمد عبد الله بن جبل في نفس الوقت كاتبا وقاضيا وخطيبا فاشتهر بفصاحته .





# القسم الثاني

## وهران من القرن الثالث عشر
## إلى الإحتلال الإسباني الأول

# التاريخ السياسي

شاهد القرن الثالث عشر الميلادي انقسام الامبراطورية الموحدية وتأسيس ثلاث دول متنافسة : ( الدولة الحفصية بتونس ، والدولة عبد الوادية أو الزيانية بتلمسان ، والدولة المرينية بفاس ) ، كانت تتحارب لحيازة وهران .

خضعت المدينة في أول الأمر للدولة الزبانية في سنة 1235/625 ، حيث هجم مؤسس هذه الدولة ، يغمراسن بن زيان ، على وهران لأن واليها كان قد رفض باصرار أن يخضع له . فحاصر المدينة بجيش عظيم . وقاومه الوهرانيون بشجاعة وكبدوه خسائر كبيرة ولكن ، في الأخير ، اضطروا الى التسليم ، والى



منظر على ميناء وهران



قبول والي زياني . وبعد أربع سنين ، خضعت وهران الى السلطان الحفصي أبي زكرياء الذي كان قد احتل تلمسان أيضا .

وفي سنة 1248/658 ، استقر أبو علي بن خلاص والي سبتة بوهران . فخطر بباله أن يسافر الى تونس ليخضع للسلطان أبي زكرياء على متن سفينة من سفن الأسطول الحفصي التي كانت أرست بالمدينة . فنظم الوهرانيون حفلة كبيرة على شرف ضباط الأسطول وابن خلاص . فكان الغداء متوفرا الى الغاية حتى مات والي سبتة من كثرة الأكل . قال ابن خلدون : « إنّه أكل التين بالكثرة وأصيب بالمغص في الحين وتوفي بعد ساعات قليلة » .

نجهل الى متى خضعت وهران لحفصيي تونس ولكننا نعرف انها كانت تحت سلطة ملك تلمسان عندما هاجمها السلطان المريني يوسف بن يعقوب في سنة 695/1295 ـ 1296 .

وبعد خمس سنين ، كلف نفس الأمير أخاه باحتلال المدينة ، بينما كان هو يحاصر تلمسان وبعد حصار دام مدة قليلة ، فتحت وهران أبوابها للمرينيين .

نجهل كم من سنة دام الاحتلال المريني ؟ وكل ما نستطيع قوله هو أنه ، في سنة 732 / 1331 ـ 1332 ، بعث سلطان فاس جيشا من وهران ، تحت قيادة محمد البطيوي ، والي ناحية وهران ، ليساعد الجيوش الحفصية التي كان أبو تاشفين ، أمير تلمسان ، يحاصرها ببجاية .

ثم خضعت وهران الى الدولة الزيانية بدون أن نعرف بالضبط متى وقع هذا الحدث . على كل ، في سنة 736/1334 ـ 1335 ، سقطت بين يدي السلطان

المريني أبي الحسن أي بسنة قبل تلمسان .

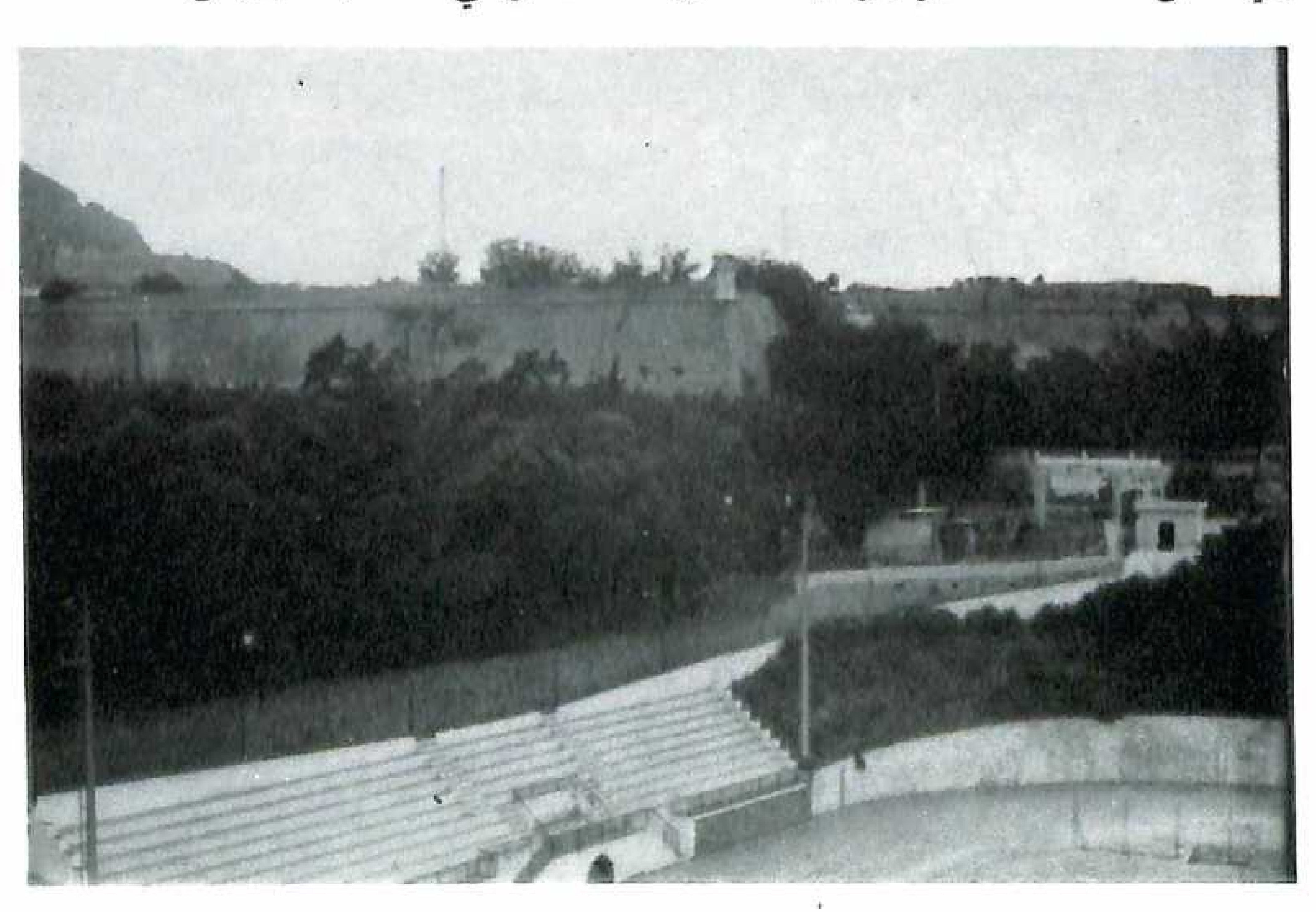
وفي سنة 1347/748 ، استقبلت هذا الأمير الذي كان يستعد لغزو افريقية ، وفي نفس الوقت ، جاءت وفود من مناطق تونسية مختلفة . ومن الشخصيات التي زارتها نذكر أحمد بن مكي أمير جزيرة جربة ، ويحيي بن يملول والي توزر ، وأحمد بن عبيد قائد قفصة ، وابن علي عنان صاحب الحامة ، وأمير نفتة وعدة قادة آخرين من بينهم يوسف بن منصور والي الزاب وقائد قبيلة الدواويدة . وجاءوا جميعا يبايعون أبا الحسن ويقدمون له احتراماتهم وخضوع محمد بن ثابت أمير طرابلس الذي ما أستطاع أن يجيء الى وهران نظرا للبعد .

فاستقبل أبو الحسن أعضاء هذه الوفود بحفاوة ونظم احتفالات رائعة على شرفهم واهدى لهم هدايا جزيلة وابقاهم في المناصب التي كانوا يحتلونها . فابقى معه أحمد بن مكي أمير جربة ، لأنه كان يريد أن يستنصحه أثناء غزو افريقية ، وترك سائر الزوار يرجعون الى بلادهم .

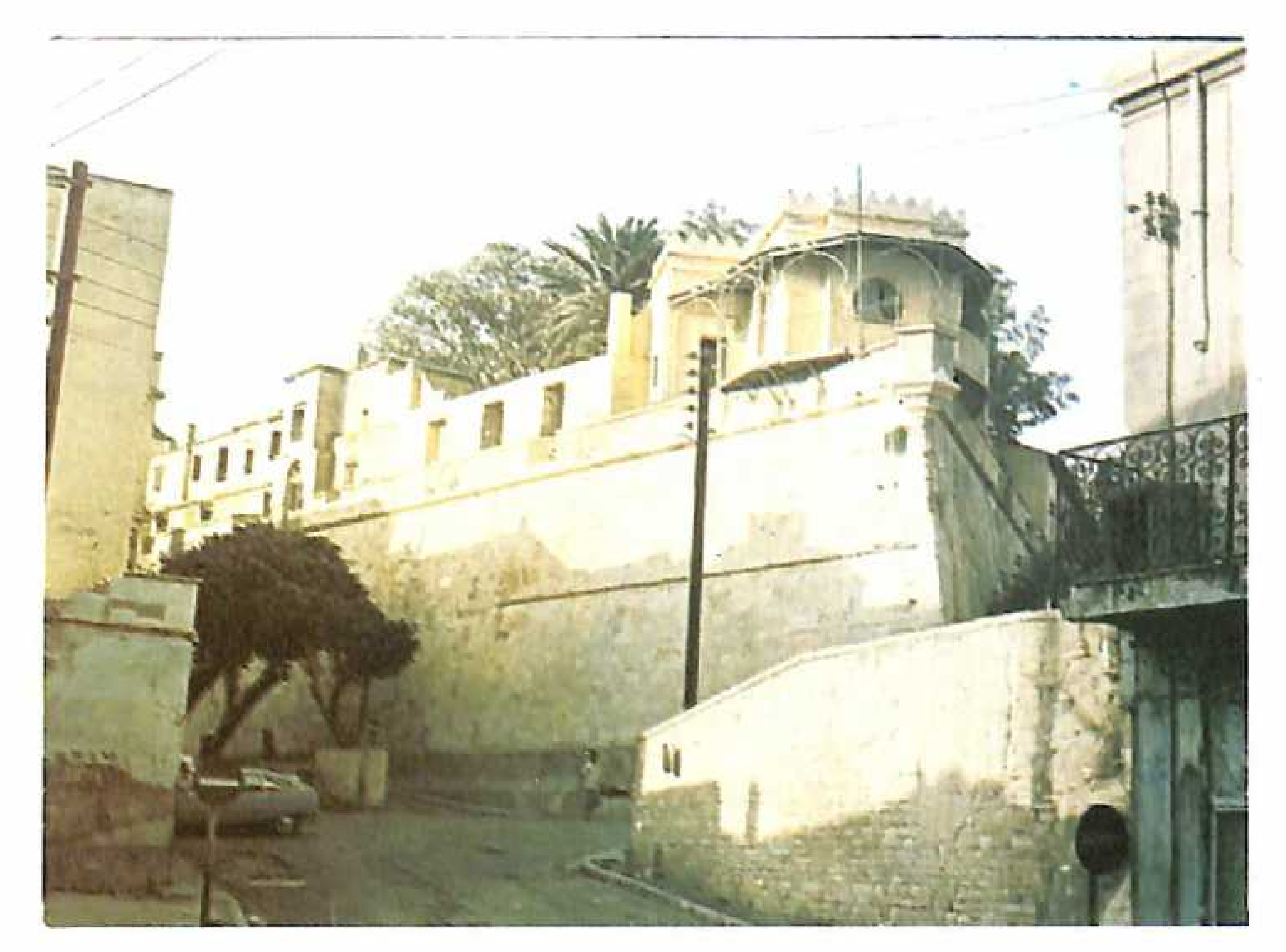
وأثناء إقامته بوهران لاحظ أبو الحسن ان العدوكان يستطيع أن يفاجيء هذا الميناء بدون أن يتعرض لخطر كبير . فامر بتشييد حصنين : البرج الأحمر وبرج المرسى اللذين نتحدث عنهما بالتفصيل في فصلنا الثاني . وقبل ذهابه ، عين القائد عبو بن سعيد بن اجانا على رأس ناحية وهران .

وفي سنة 750 / 1349 ، شهدت وهران للمرة الثانية اقلاع أسطول متوجه الى بجاية . وكان هذا الأسطول قد وضع تحت تصرف أبي عبد الله محمد ، الأمير الحفصي ، من طرف أبي عنان ابن السلطان المريني أبي الحسن ، الذي كان أشاع بموت أبيه بعد البلية التي كانت اصابته بإفريقية وبويع كسلطان . فكان هذا الأسطول مكلفا بمساعدة الأمير الحفصي في استرجاع مملكته .

وفي نفس السنة ، حاصر أبو ثابت ، أمير تلمسان الزياني ، المدينة بجيش



البرج الجديد المشيد على أسس الاحمر



البرج الجديد . الجناح الخاص بعشيقة الملك

كان يضم في صفوفه وحدات من قبيلة بني عامر وبني راشد . .

فكان لعبو ، والي وهران ، علاقات سرية مع بني راشد . وفي يوم من الأيام ، هجم الوهرانيون على محاصريهم هجوما عنيفا . فوقعت معارك دامية بين الجمعين ولكن عندما حمي الوطيس ، انهزم بنو راشد وجرّوا معهم الوحدات الزيانية الأخرى . وفي هذا الانهزام ، قتل عدد كبير من قادة الجيش التلمساني وما نجا السلطان أبو ثابت الا بفضل سرعة فرسه . فسقطت محلته بين ايدي المحاصرين .

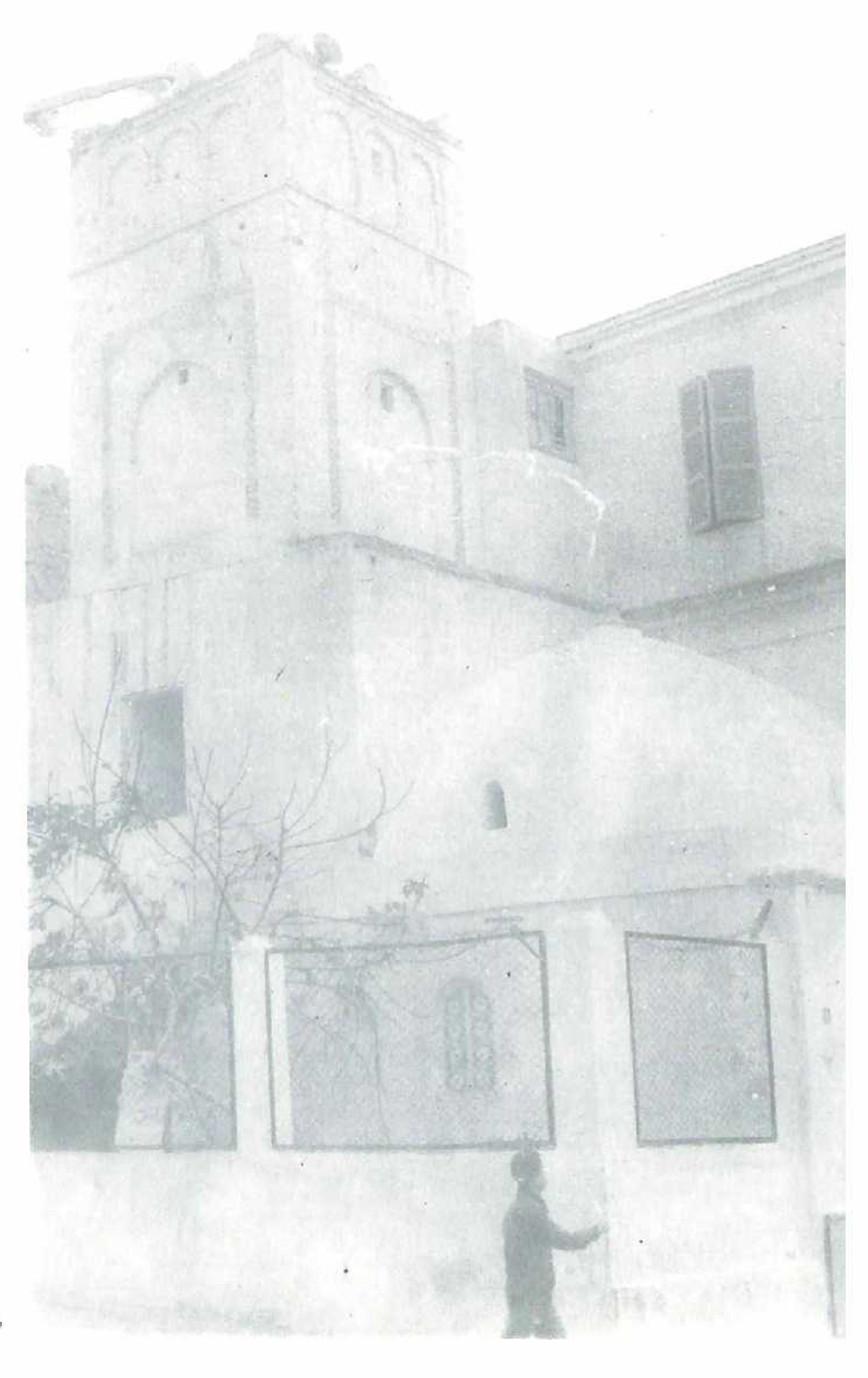
وفي جمادي الأولى 750/ يوليو ـ أوغسطس 1349 ، حاصر أبو ثابت من جديد المدينة التي كان على رأسها علي بن اجانا اخو عبو . ففتحت أبوابها بعد مقاومة قصيرة . فنجا علي بن اجانا هو وأهله ، وأذن له بالرجوع الى المغرب الأقصى .

وبعد سنتين ، سقطت وهران بين يدي أبي عنان ، سلطان فاس ، فعين علي بن اجانا من جديد واليا على وهران . فخدم هذا الأخير أميره بإخلاص بحيث أنه كان ، على قول ابن خلدون ، يزور أبا عنان كل سنة ليسلم له مبلغ ضرائب الناحية ويقدم له تقريرا عن ادارته .

فحكم علي بن اجانا بوهران مدة ثماني سنين ، ولم يهدده ملوك تلمسان الا في سنة 760 / 1359 ، حيث بعث أبو حمو الثاني وزيره الحاج موسى ليحاصر المدينة . فقاوم الجيش المريني مقاومة صارمة لان قائد الخيل المريني عمر بن ماساي كان قد نزل بالمدينة . وفي يوم 10 مارس قام بخروج في رأس الجيوش المحاصرة واستطاع أن يهزم الزيانيين . فاظهر الحاج موسى شجاعة كبيرة ولكنه سقط على الأرض اثر الجروح التي اصابت فرسه ، والقي القبض عليه . وفي 20 أفريل من نفس السنة ، سمع أحمد بن اجانا ، الذي كان قد خلف أباه علي ، بان الجيش المريني

نهزم انهزاما شنيعا بوجدة . فخاف ، لان جميع قبائل المنطقة كانت تركته . فاراد
ن يركب البحر ولكن لم يجد مركبا واحدا في المرسى . حينئذ ، تنكر وانصرف وحده
لكن عرفه ناس من قبيلة من قبائل ضواحي وهران ، فالقوا القبض عليه ، ومع انه
دم لهم مالا جزيلا لفديته ، سلموه للسلطان الزياني الذي أمنه ، وأذن له بالرجوع
لى المغرب الأقصى . وفي شهر يوليو 1360 ، فتح أبو عمران موسى ، قائد من قادة
بي حموالثاني ، ملك تلمسان ، وهران وقتل الجنود المرينيين الذين كانوا بها .

بعد مدة ، أستطاع ابن اجانا أن يفتح وهران بمساعدة الأسطول
لمريني . وفي سنة 1361/762 ، حاصر بنو عبد الواد المدينة التي فتحت أبوابها



ضريح سيدي الهواري

بعدما قاومت ثلاثة أيام . فلجأ ابن اجانا الى الحصن مع جزء من جيشه ، وواصل القتال أثناء النهار والليل . فنجا . فغضب أبو حمو على الوهرانيين وأمر بهدم أسوار مدينتهم التي لم تعد تتعرض لهجومات المرينيين ، ولكنها أصبحت ملجأ للأمراء الزيانيين الذين كانوا ينازعون سلطان تلمسان .

وهكذا ، في ذي القعدة 768/ يونيو 1367 ، بعث الوهرانيون رسولا الى الأمير أبي زيان الذي كان قد ثار على ابن عمه أبي حمو ، وقدموا له مساعدتهم وبعثوا له جيشا . ولكن ، حيث أن أبا زيان انهزم في الشهر التالي بالقرب من تلمسان ، على ضفة نهر صفصاف خضع الوهرانيون لأبي حمو .

فذهب ملك تلمسان الى وهران ليستميل أهلها . وأثناء إقامته بها ، كان يتحدث مرارا مع أعيانها الذين نظموا احتفالات رائعة على شرفه . فرضي على الجوالسائد في المدينة وأمر بتوزيع القمح والمال على سكانها .

فنمت وهران ، إذ ذاك ، نموا كبيرا ، وأصبحت عاصمة ناحية تمتد من وادي تافنة غربا الى وادي شلف شرقا . لذلك قرر أبو حمو أن يولي عليها أحد اقربائه .

فعين في أول الأمر اخوته على رأس الناحية ولكن ، عندما سمع بان ابنه ابا زيان كان يحاول أن يستقل ، سماه بوهران ووضع بجانبه وزيرا مخلصا ليراقبه .

فلم يرض أبو تاشفين ، ابن أبي حمو البكر ، على هذا التعيين . فطلب هذا المنصب بالحاح . فتظاهر أبو حمو بالرضى على ذلك ولكن طلب من وزيره ، يحيى بن خلدون ، أن يماطل الأمر حتى يستطيع أن يجد حلا لهذا المشكل .

فظن أبو تاشفين ان يحيى بن خلدون هو الذي كان يعارضه . فقتله بخنجر عند خروجه من القصر . عندما سمع أبو حمو بقتل وزيره غضب غضبا شديدا على ابنه ولكن لم يعاقبه . بالعكس ، خاف أن يكون له مصير وزيره . فسمى أبا تاشفين بوهران ، وبعث أبا زيان الى المدية ، وبعد ست سنين من هذا الحدث ، شهدت وهران وصول أبي حمو الذي كان عزله ابنه أبو تاشفين بمساعدة بعض الوزراء . فسجن الملك الشيخ المعزول في برج من ابراج القصبة وروقب بشدة .

ولم يكتف أبو تاشفين بذلك بل بعث ابنه ابا زيان الى وهران ليقتل أباه ولولا الوهرانيون لفقد أبو حمو الحياة .

فعلا ، عندما وصل أبو زيان ومرافقوه الى أبواب المدينة ، أخبر أبو حمو بما كان يهدده . فعقد عمامته وزناره وتسلل من السجن ثم صعد الى سور القصبة واستغاث اصحابه بكل قواه . فرآه اتباعه وجمعوا سكان المدينة الذين فتحوا أبواب الحصن واخرجوه منه . فخاف أبو زيان أن يقتل من طرف الجمهور الغاضب . فغادر وهران بسرعة .

واجتمع الوهرانيون في المسجد الجامع وبايعوا أبا حمو الثاني وخضعوا له . فأعطوه حرسا ذهب معه الى تلمسان حيث اغتنم فرصة غياب أبي تاشفين واستطاع أن يرجعه الى كرسي الملك . وما لبث أبو حمو ان رجع الى وهران

لأن ابا تاشفين عاد بسرعة الى تلمسان ، واستطاع أن يهيمن على الوضع ويلقي القبض على أبيه الذي قد لجأ الى مئذنة المسجد الجامع . فامنه بشرط أن يسافر الى مكة . وأرسله الى وهران مع أهله حيث ركب أبوحموسفينة تجارية (كاتلونية ) اتجهت الى الأسكندرية . وأثناء السفر ، استطاع الأمير الشيخ أن ينزل من السفينة بمدينة بجاية وبمساعدة الأمير الحفصي الذي كان يحكم ، المدينة ، وسار الى تلمسان حيث تولى الأمر من جديد في رجب 790/ أغسطس 1388 .

وبعد سنة لح أبو حمو أثناء معركة وقعت بينه وبين ابنه أبي تاشفين.

ثم اغتنمت وهران ضعف خلفاء أبي حمو لتحصل على استقلال كاد يكون تاما وازدهرت تجارتها . وأصبح مرساها قاعدة لقراصنة جسار كانوا يخربون سواحل بلنسية وجزرباليار .

أما الاسبانيون فقد غزوا من جهتهم وهران مرتين تحت قيادة الكونت دون بيدرونينيو . أثناء الغزو الأول الذي وقع في 806 ـ 807 / 1404 ، خربت سفن قشتالة ضواحي المدينة . أما الغزو الثاني ، فوجه ضد المرسى الكبير وأرزيو ووهران . في نفس السنة ، خرب مولاي حاجي ، أخو سلطان فاس ، منطقة وهران .

وأثناء القرن الخامس عشر الميلادي ، كانت وهران تنافس تلمسان وأصبحت عاصمة دولة مستقلة . حيث استقر بالفعل ، سنة 1435/839 ، أبو يحيى ، أخو السلطان الزياني أبو العباس ، ابن أبي حمو الأخير ، الذي خضع لسلطان تونس أبي فارس ، بمدينة وهران مع حاشيته واتباعه ، وأعلن استقلاله وحكم الناحية أثناء اربع عشرة سنة . وبعد وفاته ، استطاع أبو عبد الله ، حفيد أخيه أن يفتح تنس ومستغانم ووهران وأخذ هذه المدينة الأخيرة كعاصمة . ومنها سار الى تلمسان ،وتولى الأمروبعث أبا العباس الى اسبانيا .

الطريق الذي يتبع شاطيء البحر



واثناء القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي ، استقبلت وهران أندلسيين مشهورين الا وهما محمد الايساري وأبا عبد الله الزغل .

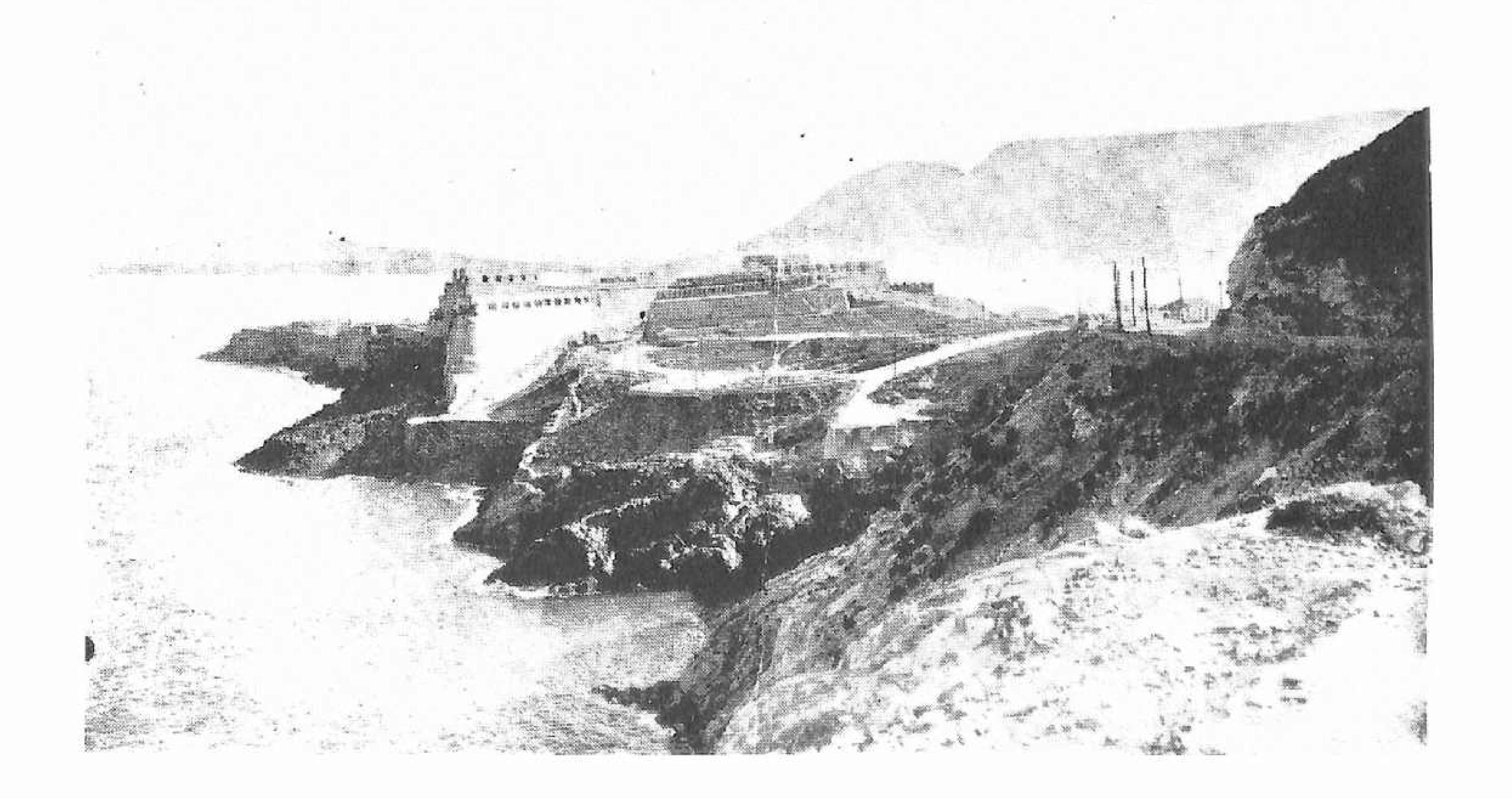
إن مولاي محمد ملك غرناطة الخامس عشر ، الذي لقب بالايساري لنكد الطالع الذي لزمه طول حياته ، وصل الى وهران في سنة 1437/841 . وكانت رعيته قد ثارت عليه فأخذ زي صياد وقصد تونس حيث استقبله السلطان الحفصي بحفاوة ووعده بان يساعده في استرجاع ملكه . فقصد محمد الايساري وهران حتى يستطيع أن يتابع احداث الأندلس من قريب . وعندما اعتقد أنه يمكنه الإنتصار ، اتصل بسلطان تونس الذي بعث له أموالا كثيرة . فجمع جيشا وركب البحر بالمرسى الكبير ليحاول أن يجلس على العرش من جديد .

أما أبو عبد الله الزغل ، فوصل الى وهران 1490/895 . فكان عم أبي عبد الله ملك غرناطة الأخير . فاخمد الزغل شجاعته بعد الإنتصارات التي كان حققها المسيحيون ، وموقف ابن أخيه الذي كان منعه من الدخول إلى عاصمته واضطر الى الفرار ، والتجأ الى ملك تلمسان . فوصل الى وهران في شهر سبتمبر ، حيث استقبل بابهة من طرف الوالي الذي انزله بقصر القصبة . وبعدما أقام أسابيع بوهران ، قصد تلمسان حيث توفي بعد أربع سنين .

وامتازت السنين الأولى من القرن السادس عشر الميلادي بهجومين ضد المرسى الكبير أحدهما برتغالي والثاني اسباني .

وقع الهجوم البرتغالي في ذي الحجة 906/ يونيو 1501 . شاركت فيه

برج المرسى الكبير القديم المشيد على أسس برج المرسى



ثلاثون سفينة وثلاثة آلاف جندي . وحارب الجيش الوهراني حربا عنيفة فاضطر البرتغاليون الى ركوب البحر بسرعة '، تاركين عددا كبيرا من الموتى والجرحى والأسرى على الساحل .

أما الهجوم الإسباني ، فوقع في ربيع الأول 910/ أغسطس 1504 . تحت قيادة الدوق ده مدينا الذي كان يريد أن يفتح المرسى الكبير فجأة . ومن أجل ذلك ، ركب اربعمائة جندي على متن سفينة فلمنكية واخفاهم في القمرات وتحت المتن . وعند وصولها الى المرسى الكبير ، أرست السفينة بقرب سور المدينة . وفي الليل ، كان عمال يشتغلون بثغر السور ، الذي رش بالخل ؛ بمناشير ،ومبارد . وكان العمل على وشك أن ينتهي واذا بعجوز جاءت تفرغ سلة من الزبل في البحر . فرأت على وجه الماء طبقة بيضاء من الملاط الذي كان يستخرجه العمال من الثغرة . بقفف .. فانذرت بالخطر . فأخذ الجيش الاسلامي يضرب السفينة بالقنابل . فاقلعت بسرعة . فعزل قائد المرسى الكبير وعوضه ابن أخيه ، القائد عمارة .

وهجم الوهرانيون من جهتهم على سواحل اسبانيا بدون انقطاع . في سنة 1506/906 ، ليلة عيد القديس يوحنا ، استطاعوا أن يلقوا القبض على حوالي ستين شخصا كانوا يستحمّون بالقرب من قرطاجنة .

وفي العام التالي ، نزل القراصنة الاسبانيون بوهران وخطفوا عروسة وموكبها بين المرسى الكبير ووهران .

وفي سنة 1505/910 ، انتقم منهم القراصنة الوهرانيون واحرقوا سفنا بروتونية وفلمنكية وانجليزية بمالقة . وفي شهر ماي لنفس السنة خربوا ضواحي مدينة الش واليكانت ورجعوا بعدد كبير من الأسرى .

وبعد أشهر قليلة أذن ( لـدون دياق فرنا ندزده كوردوبا مركيز كومارس الأول) بالهجوم على وهران . فجمع جيشا يضم عشرة آلاف جندي ركب البحر بمالقة على متن احدى وسبعين سفينة من أنواع مختلفة .

وعدد كبير من الزوارق حيث وضعت المدافع والمؤونة والعدد .

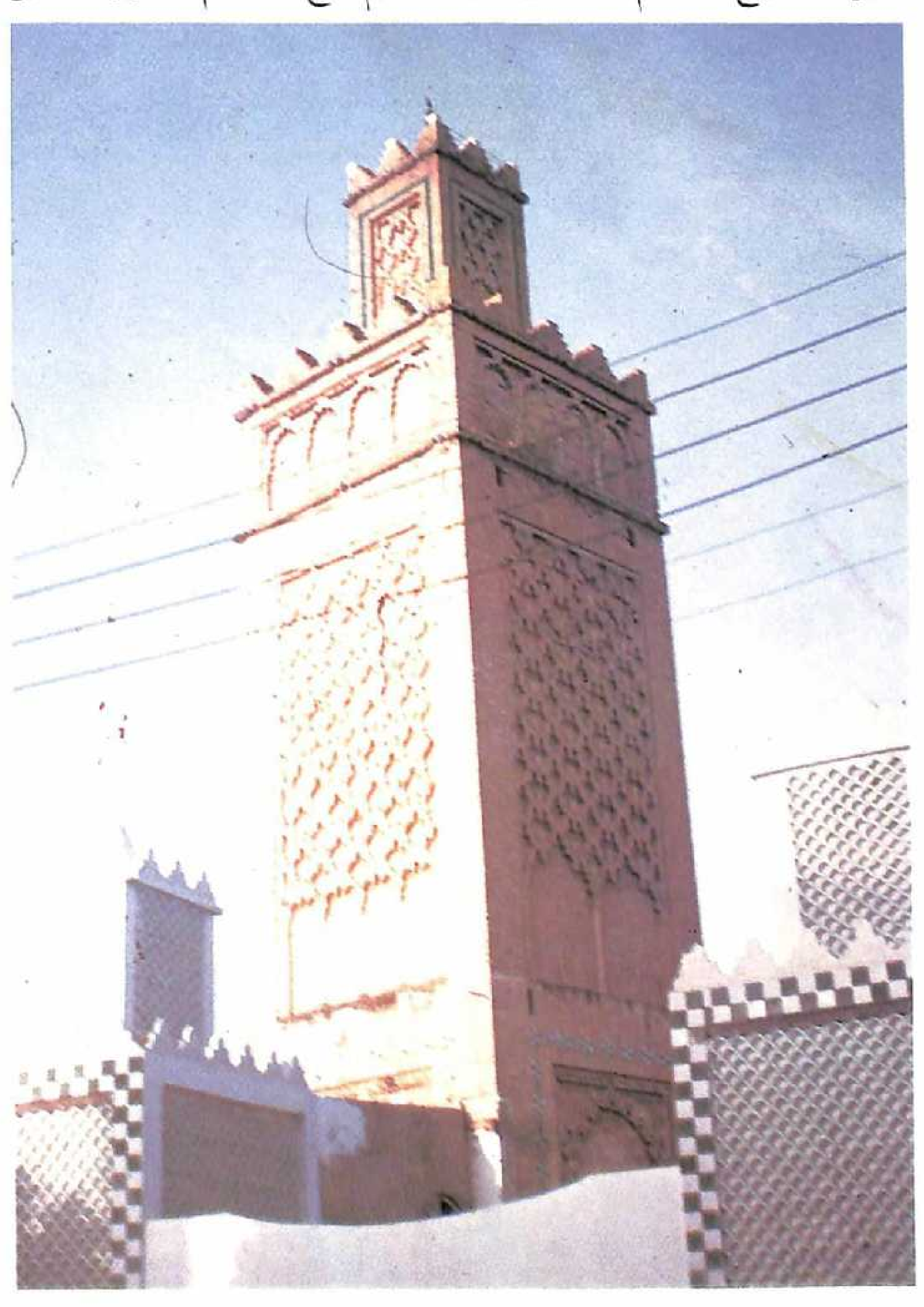
وقع ركوب البحر يوم 28 ربيع الأول 27/911 أغسطس ولكن الاقلاع اخر لرداءة الطقس . فتوجه الأسطول نحو المرية ليحمل على متن سفنه وحدات عسكرية أخرى . فغادرها بعد ثلاثة عشر يوما متوجها الى المرسى الكبير حيث نزل الجيش . فأمر المركيز كومارس بإحتلال تلال سانتون المجاورة وجميع الطرق التي تؤدي الى المدينة ليعزلها بينما تقوم سفن الأسطول بضرب الرأس العالي بالقنابل من الجهة المقابلة .

وبدون عدد ، العلم الأبيض . فأمر المركيز كومارس بوقف القتال وبعث رسولا .

فقتل ابن القائد عمارة في بداية الهجوم بكرة حديدية وفي يوم 21 سبتمبر صباحا ، رفع جنود المرسى الكبير ، الذين فقدوا قائدهم وأصبحوا بدون مؤونة وزينة من الريش على الطراز الفرنسي وعلى ظهورهم كانت اغطية من الحرير على الطراز التركي» .

وهكذا ،لم يستطع جيش وهران الذي جرى ليساعد جنود المرسى الكبير ، ان يقترب منه . فتواصلت الهجومات يومين وليلتين بدون انقطاع . فحاول قائد وهران قلموس بن عبد الوهاب أن يخرج الحصن من الورطة في ألف ومئتي فارس والف وخمسمئة راجل ولكنه فشل في محاولته . فقال غونزالوده ايورا الذي حضر القتال بجانب المركيز ده كومارس ، « ان الثلاثة مئة فارس الذين كانوا يكونون حرس القائد ، كانوا يعجبون المشاهد فكانت لهم أسلحة جميلة واتراس لامعة وكانوا يركبون افراسا عليها جهاز ثمين وباقات من الخيوط فقبل المحاصرون أن يغادروا المرسى الكبير بشرط أن ينجوا وأن يحملوا معهم ما يستطيعون من أموالهم . فقبل الاسبانيون هذه الاقتراحات واعطوا المسلمين ثلاث ساعات لمغادرة المدينة واطلاق سبيل جميع الأسرى المسيحيين .

بعد ذلك ، بدأ فورا جلاء الصحن . فجاء في أول الأمر الأسرى المسيحيون الذين كان يبلغ عددهم خمسة وثلاثين ، منهم سبع نساء ثم المغلوبون الذين



مئذنة مسجد سيدي الهواري

تتابعوا بين صفين من الجنود . وعلى الساعة الثانية عشرة كما كان متفق عليه دخل الاسبانيون المدينة رافعين راياتهم .

وبعد انتصاره ، عين المركيز كومارس واليا على المرسى الكبير . فابقى معه جيشا مكونا من ألف جندي وسفينة للمواصلات مع اسبانيا .

عندما سمع سلطان تلمسان بسقوط المرسى الكبير بين ايدي الاسبانيين ، قام بتقوية جيش وهران وأمر جميع القبائل المجاورة بان تبقى مجندة لأنه كان يعرف ان الاسبانين يحاولون أن يفتحوا وهران عن قريب .

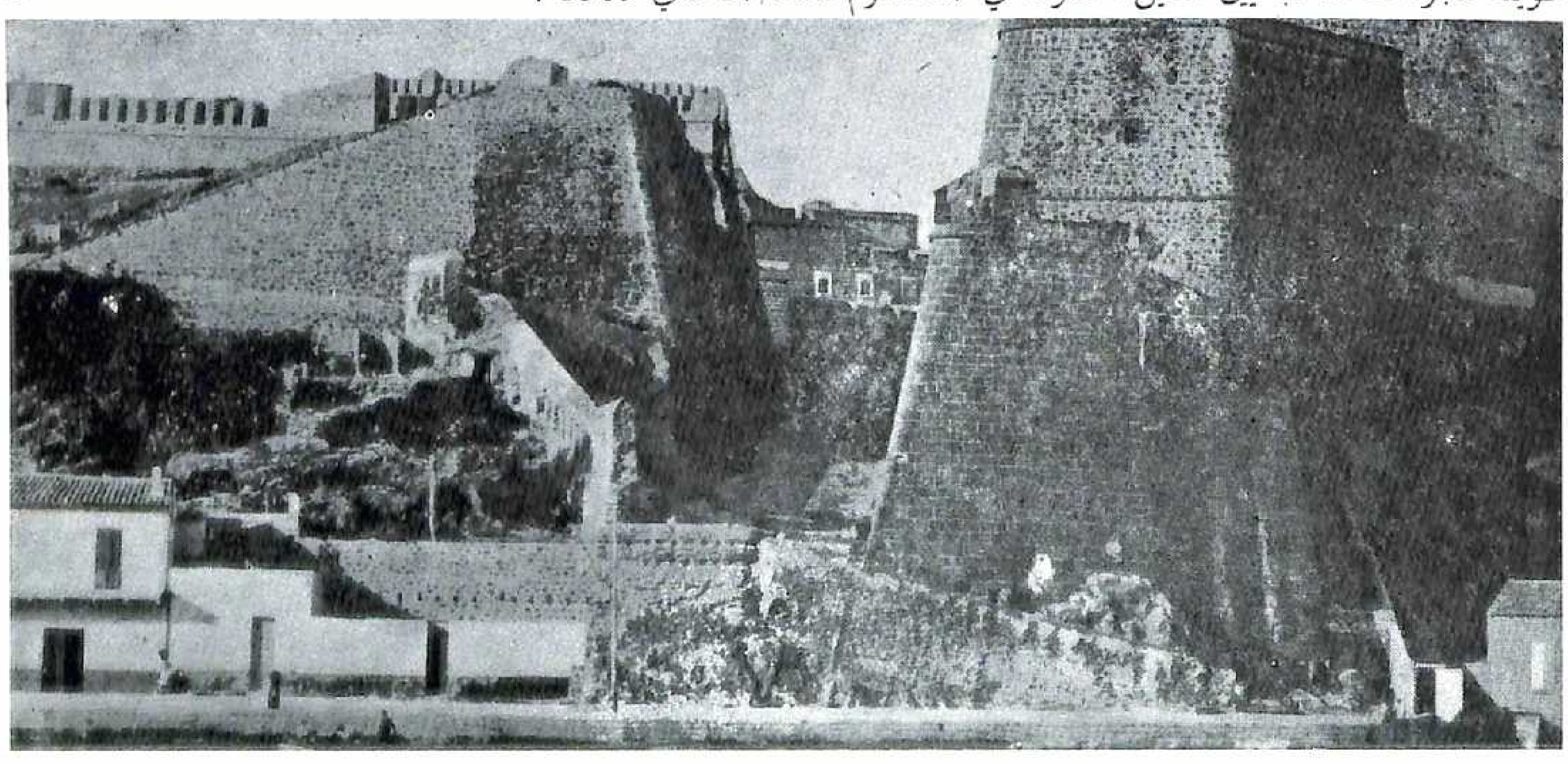
وفعلا ، هذا ما وقع . ان المركيز كومارس فهم أنه لا يستطيع أن يبقى بالمرسى الكبير الا اذا احتل وهران . فاستحضر جيشا لغزو وهران مكونا من خمسة آلاف جندي في محرم 913/ ماي 1517 . وحتى يمرّن جنوده الجدد ، قرر غزو دوار كبير يقع بالقرب من مسرقين . وسار يوم 6 يونيو ، في آخر النهار ، ومعه جميع الجيش أوكاد ، وفي الغد هجم على الدوار فجأة وقتل عددا كبيرا من سكانه ورجع بجميع المواشي والعديد من الأسرى . .

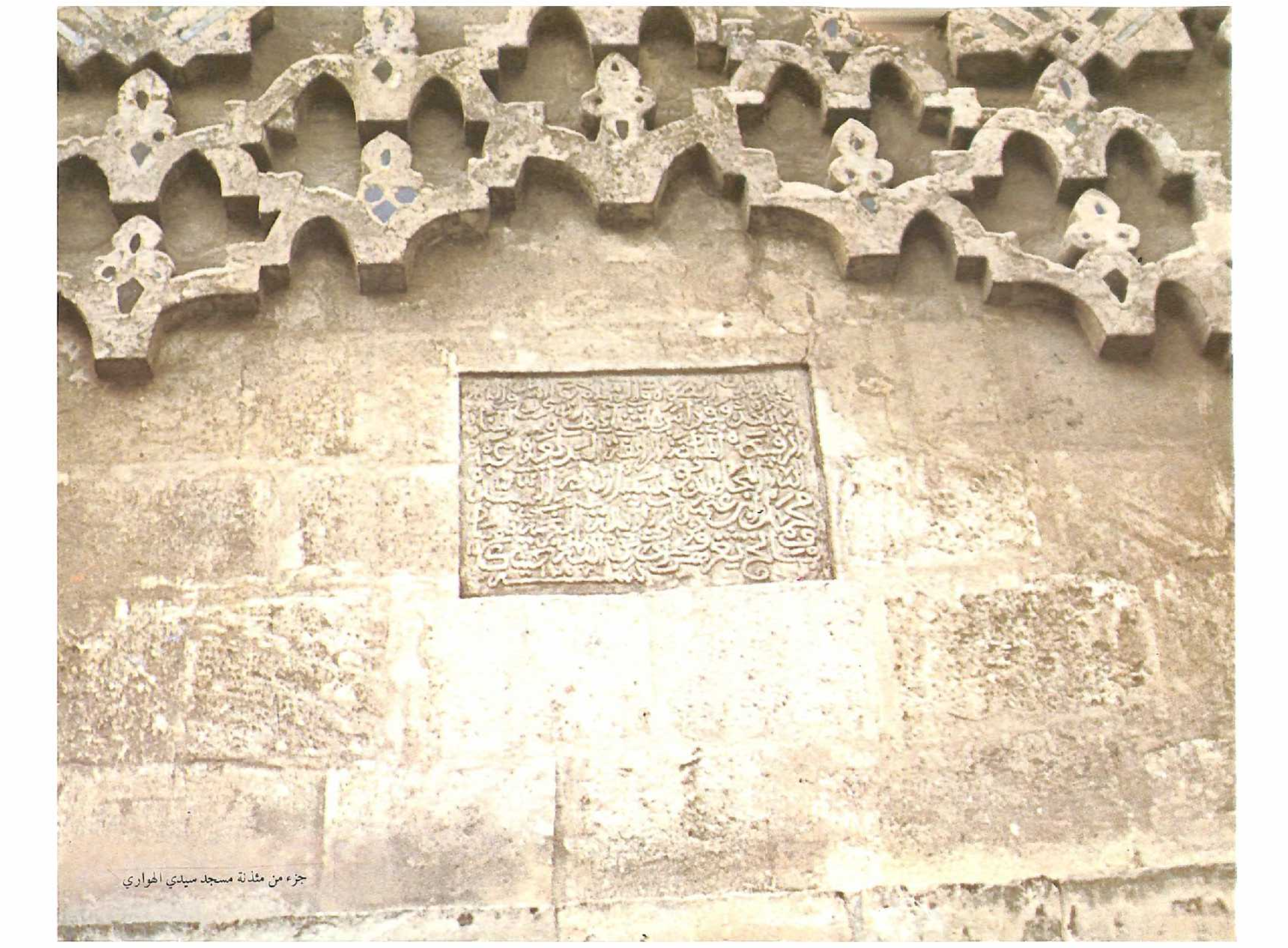
فهجم سكان القرى المجاورة على الاسبانيين الذين ما استطاعوا أن يأخذوا الطريق الوعر الذي كانوا أخذوه في الذهاب . فانحرفوا عنه ليجدوا مسلكا أسهل وتقربوا الى وهران تقربا ملحوظا لسوء حظهم بحيث ان جيش المدينة الذي كان ورد عليه الخبر بسرعة ، احتل رأس تل مرجاجو وسد الطريق وفي ساعات قليلة ، قتل معظم الجيش الاسباني الذي فقد أكثر من خمسة آلاف جندي.

وبعد هذا الإنتصار الممتاز ، وصل الجنود المسلمون الى المرسى الكبير تحت قيادة القائد قلموس بن عبد الوهاب ولكن الجيش الاسباني الذي كان ينتظر هجومهم تركهم يواصلون مسيرتهم الى ان وصلوا بالقرب من السور وضربهم بالمدافع والبنادق وقتل عددا كبيرا منهم واضطرهم الى رفع الحصار .

إن وهران التي كانت فقدت مرساها ما كان في استطاعتها أن تقاوم مدة طويلة هجومات الاسبانيين الذين احتلوها في 27 محرم 17/915 ماي 1509 .

المرسى الكبير . البرج





جزء من مئذنة مسجد سيدي الهواري

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية
# النشاط المعماري

في هذه الفترة التي نعالجها ، بقيت وهران تزدهر . ان ابن سعيد الغرناطي الذي توفي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وصف المغرب الأوسط كالتالي : « نجد على الساحل تنس وشرشال ومستغانم ووهران التي اشتهرت بمبانيها وبضواحيها الغنية بالحبوب والمواشي » . واعطانا أبو الفداء ، الذي أتم كتابه في سنة 1321/721 عن هذه المدينة الوصف التالي : « هي مدينة في بلاد البربر من المغرب على ضفة البحر . وهي عن تلمسان على مسيرة يوم . وذكر من رآها ان عندها فرضة تلمسان » .

إن العلاقات مع البلدان المسيحية للبحر الأبيض المتوسط التي بدأت في القرن الحادي عشر تواصلت الى القرن الرابع عشر . وهكذا ، عقد اتفاق تجاري وسلمي في سنة 1319/719 بين أبي حمو وجايم الثاني وبعد عشرين سنة عقد اتفاق آخر بين السلطان المريني أبي الحسن وجايم الثاني ملك مالورقا ، وكونت روسيون وسرداني ، صاحب مونبيلي . ومن بين شروط المعاهدة المعلن عنها نذكر : منع القرصنة ونهب السفن حتى السفن الغريقة وحرية تجارة التصدير ما عدا فيما يخص بعض البضائع التي كانت تحتاج الى رخص خاصة ، ولا سيما القمح ، وأمان الاشخاص والأموال والحق في تنصيب قناصل وتأسيس فنادق .

وهي عبارة عن أحياء محاطة بسور ، توضع وتباع فيها البضائع ويسكنها القناصل وكتابهم ، كما تضمن الاتفاق الاذن ببناء كنيسة أو معبد ومقبرة ، وتحديد الضرائب الجمركية .

وفي القرن الخامس عشر الميلادي . أقام الحسن الوزان (ليون الافريقي) بوهران والمرسى الكبير وافادنا بوصفهما فقال :

« ،إن وهران مدينة تحتوي على ستة آلاف بيت ، بناها الافارقة القدماء على البحر الأبيض المتوسط . ويوجد بها عدد كبير من المباني وكل الأشياء الملائمة لمدينة زاهرة مثل المدارس والمستشفيات والحمامات والفنادق . وكانت محاطة بأسوار جميلة وعالية . فكان معظم سكانها من الصناع والنساجين . وكان عدد منهم يعيشون من مواردهم مع انه كان قليلا ، لأن من أراد أن يعيش بدون أن يمارس صناعة كان عليه أن يقتنع بخبز الشعير . ومهما كان الحال ، كان سكان وهران انسانيين ومستحسنين ومجاملين مع الأجانب ولذلك كان تجار كاتلونيا وجنوة يترددون عليها كثيرا . فكانوا يجدون بها مسكنا يسمى مسكن أهل جنوة لأنهم كانوا يريدون دائما أن ينزلوا به . ان سكان مدينة وهران

بقوا مدة طويلة اعداء ملك تلمسان ، ورفضوا أن يتولى أحدهم الأمر بها ولكنهم أختاروا وكيل المال وعميلا يعتني بجباية ضرائب مرسى هذه المدينة ، بينما اختار الشعب، مستشارا يتصرف في الشؤون المدنية والجنائية . وكان التجار يريدون ان تكون سفنهم الشراعية دائما مسلحة . وكانوا يركبون البحر فيها وينكدون أهل قرطاجنة وجزيرة ايبيسا ومالورقا ومنورقة حتى كانت وهران دائما ملآنة بالأسرى المسيحيين .

إن المرسى الكبير مدينة صغيرة شيدها في عصرنا هذا ملوك تلمسان على ساحل البحر الأبيض المتوسط بالقرب من وهران . ومعنى هذه الكلمة بلهجتنا الدارجة هي ميناء كبير . ولا يساء كثيرا في تسميتها إذ أنه لا يوجد في العالم ميناء آخر يساويه في السعة والكبر حتى يستطيع أن يستقبل بسهولة المئات من السفن والمراكب التي كانت داخله في مأمن من الرياح الشديدة وتقلبات الجو . وكان أهل البندقية يستطيعون أن يضعوا فيه مراكبهم عند هيجان البحر ويبعثون بضائعهم الى وهران في القوارب حيث كانت ترسو مباشرة عندما يكون البحر هادئا» .

كما بينه لنا نص ليون الافريقي ، حيث لعب ميناء المرسى الكبير دورا هاما في ازدهار اقتصاد وهران بحيث أنه كان يقدم للسفن ملجأ مهما كانت الأحوال الجوية بينما كان ميناء وهران لا يستطيع أن يستقبلها الا حين يكون البحر هادئا .

فقد ساهم المرسى الكبير أيضا في نمو القرصنة في البحر الأبيض المتوسط لأن القراصنة كانوا يجدون فيه ملجأ يأمنهم من كل متابعة ومن رداءة الطقس . وفي أواخر القرن الخامس عشر أصبحت القرصنة مورد أرباح وأرزاق هامة .

وبينما كان القراصنة الوهرانيون يخربون سواحل اسبانيا ، فإن قراصنة قرطاجنة ، الذين كانوا ينتفعون من حماية البحرية الكبيرة للأسطول الملكي ، كانوا يهجمون على الساحل الوهراني وفي بعض الأحيان كانوا يتبعون القراصنة المسلمين الى مينائهم ويخربون دار الصناعة والمخازن وسفن وهران والمرسى الكبير .

إن الغزوات التي قام بها القراصنة المسلمون والمسيحيون في 1500 و 1501 و 1505، والتي تحدثنا عنها من قبل تبّين الى أي حد بلغت القرصنة في البحر الأبيض المتوسط . .

ان وهران التي كانت ، كما رأيناها ، مركزا تجاريا هاما ، كانت في نفس الوقت مقرا لنشاط علمي كبير .

من بين العلماء والأدباء الذين اشتهروا بهذه المدينة بين القرن الثالث عشر الميلادي والغزو الاسباني ينبغي أن نذكر : أبا تميم ، وابن الفكون ، والقاضي العقباني ، ومحمد الهواري ، وإبراهيم التازي ، ومحمد بن عبد الرحمن الوهراني ، وأحمد بن محمد المعروف بابن جيدة .

عاش أبو تميم في القرن السابع الهجري ، الثالث عشر الميلادي . وكان وهراني الأصل واستقر ببجاية حيث اشتهر في علم الحقوق .

في نفس الفترة أقام ابن الفكرون ، الشاعر القسنطيني ، بوهران أثناء سفره الى المغرب الأقصى فقال في رسالة شعرية نظمها بهذه المناسبة :

« وفي وهـــران امسيـــــت رهنــــا لظـامـــي الخصـــر ذي ردف روي » .

إن العقباني من اشهر قضاة وهران . وكان قبل ذلك قاضيا ببجاية . ويعتبر من أعظم علماء عصره حتى لقب بأمير العلماء . فكان فقيها ذا قارحة وفي نفس الوقت خبيرا في العلوم والرياضيات . وبعدما أقام بوهران مدة قصد تلمسان . ومن بين تلاميذه المشهورين ينبغي أن نذكر : المؤرخ التنسي . وتوفي في الربع الثاني من القرن الخامس عشر وعمره اذ ذاك ، أكثر من مئة سنة .

إن محمد بن عمر الهواري الذي يعتبر أشهر مذيع للصوفية بالمغرب ، ولد في سنة 1350/751 ـ 1351 ، بالقرب من قرية كلميتو الصغيرة التي تقع على عشرين كيلومترا من مستغانم . وهو من قبيلة هوارة كما يدل على ذلك اسمه . وكان أبوه من أعيان القبيلة . فكلف بتهذيبه رجلا عالما وصالحا اسمه سيدي علي بن عيسى .

كان محمد ، في صغره ، سهوانا وغافلا وتلميذا رديئا . فكان يتلقى تحذيرات شيخه بدون انقطاع . وكان أبوه يسهر على تربيته ويقول لسيدي علي بن عيسى : « لا تضربه واتركه الى خالقه راجئا ان يجعله صالحا » . وكأن في هذه الغفلة نفسها ، علامة من علامات توفيق الله ودلالة مصير سام .

وكان محمد لا يشابه اترابه وكان لا يشاركهم في ألعابهم ولم يرغب في الأكل والشرب ولا يكذب أبدا .

ومع غفلته وسهوانه الظاهرين ، كان يحفظ القرآن وهو ابن عشرة سنين . فترك آنذاك عائلته وقصد كلميتو حيث أواه شيخ اطلعه على أوليات التصوف .

ثم ترك شيخه وبدأ يتسكع في المناطق الخالية أو على ساحل البحر وكان يأكل الأعشاب والأوراق . ولجأ الى اجمة ويعيش فيها وسط الوحوش التي كانت لا تصيبه بأي ضرر . وبعدما أقام بها مدة ، قصد بجاية حيث نال عدة جوائز ومنها رحل الى فاس حيث أخذ عن أكبر علماء عصره أثناء سنين عديدة .

وعندما بلغ خمسا وعشرين سنة ، درّس بدوره القرآن والأدب العربي والفقه والف كتابا يحمل عنوان : « السهووالتنبيه » .

ثم قصد مكة لاداء فريضة الحج ماراً بالقاهرة . فاقام سنين عديدة بمكة والمدينة وبعد ذلك رحل الى دمشق حيث سكن في المسجد الجامع . ثم رجع الى المغرب واستقر بوهران .

وسرعان ما تأكـد سكان المدينـة ان سيدي محمد الهـواري كـان من أولياء الله . فكانوا يجيئون أفواجا أفواجا يسمعون مواعظه . فكان قاسيا مع الأغنياء ، ويصف لهم جهنم والعقوبات التي يعاقب بها الله الأثمة ويوصيهم بدفع الزكاة . فكانت تصل الهدايا الى زاويته من كل جهة وتوزع على الفقراء أو تستعمل

لتغطية احتياجات الزاوية حيث كان جميع المسافرين وخصوصا الشرفاء يستقبلون بحفاوة .

وعندما كان يحضر شريف أمام سيدي محمد الهواري كان يأخذ أمامه هيئة العبد . فيقف ليستقبله ويمدحه أمام الحاضرين وعند ذهابه يعطيه المال والثياب . بالعكس ، كان يتجنب الأمراء ويطالبهم بإحترام صلاحياته .

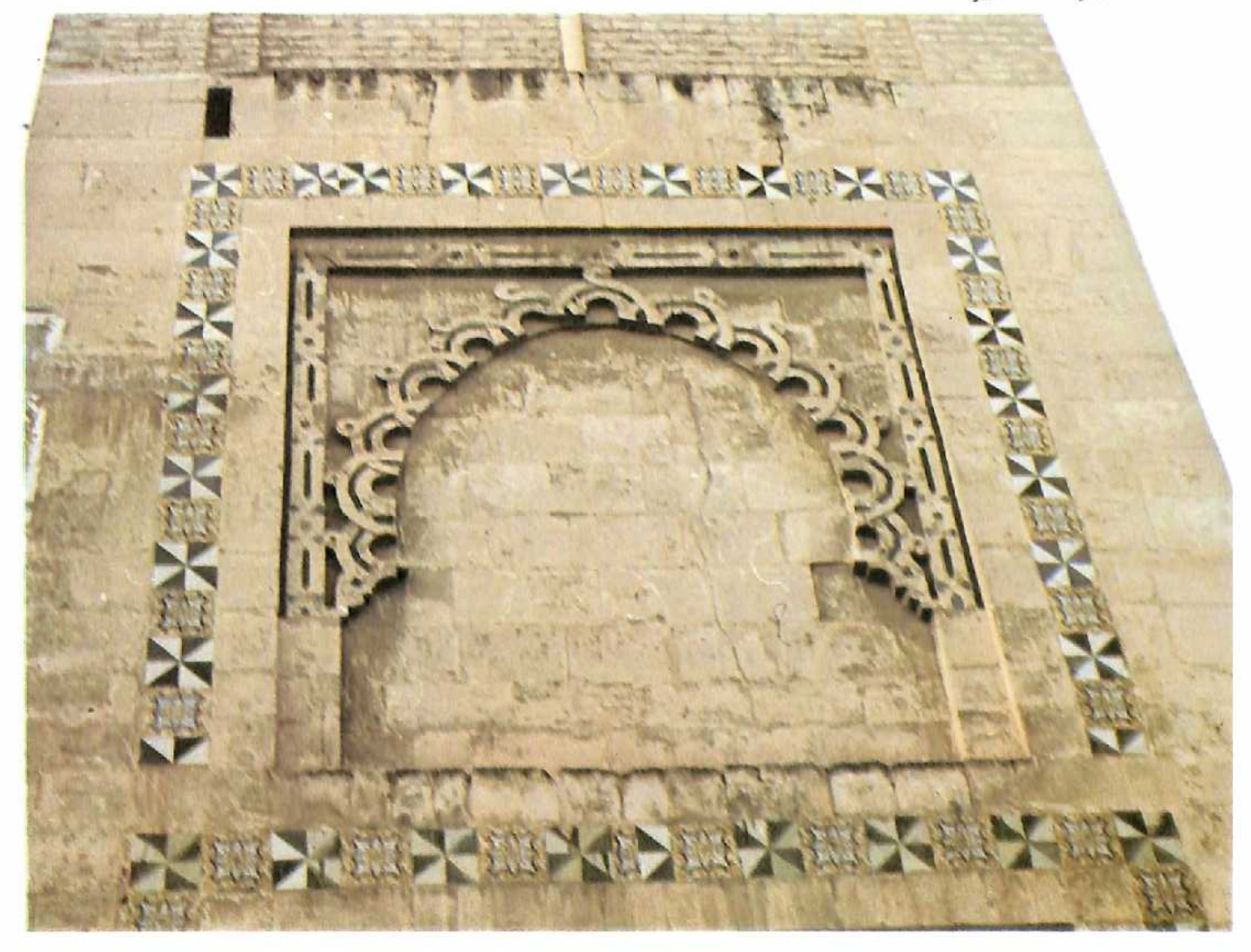
كان سيدي محمد الهواري تقيا جدّا ويصلي ليلا ويقول : «لم يرني أحد أنام في الليل . ان الناس الذين ينامون هم مثل العشب اليبس » . فكان يستهين شؤون الدنيا . وبوهران كان يقتات بالخبز ويمشي حافيا ولا يلبس الا قطعة من القماش .

ولكن كانت له بعض النقائص . فكثيرا ما كان يمدح نفسه وعلمه وفضائله في قصائده وهكذا كتب ، سيدي علي التالوتي الذي كان يقرأ مرارا « السهو والتنبيه» بيده في آخر المجلد : «ان المؤلف يضمن لمن قرأ كتابه أنه لا يخشى الجوع والبرد والعطش » .

كما كان سيدي محمد الهواري يغضب بسهولة ويعاقب بقساوة من اغاظه .

وروى صاحب «البستان» في هذا الصدد القصة التالية . فقال : «كان عثمان

مئذنة مسجد الباي محمد الكبير

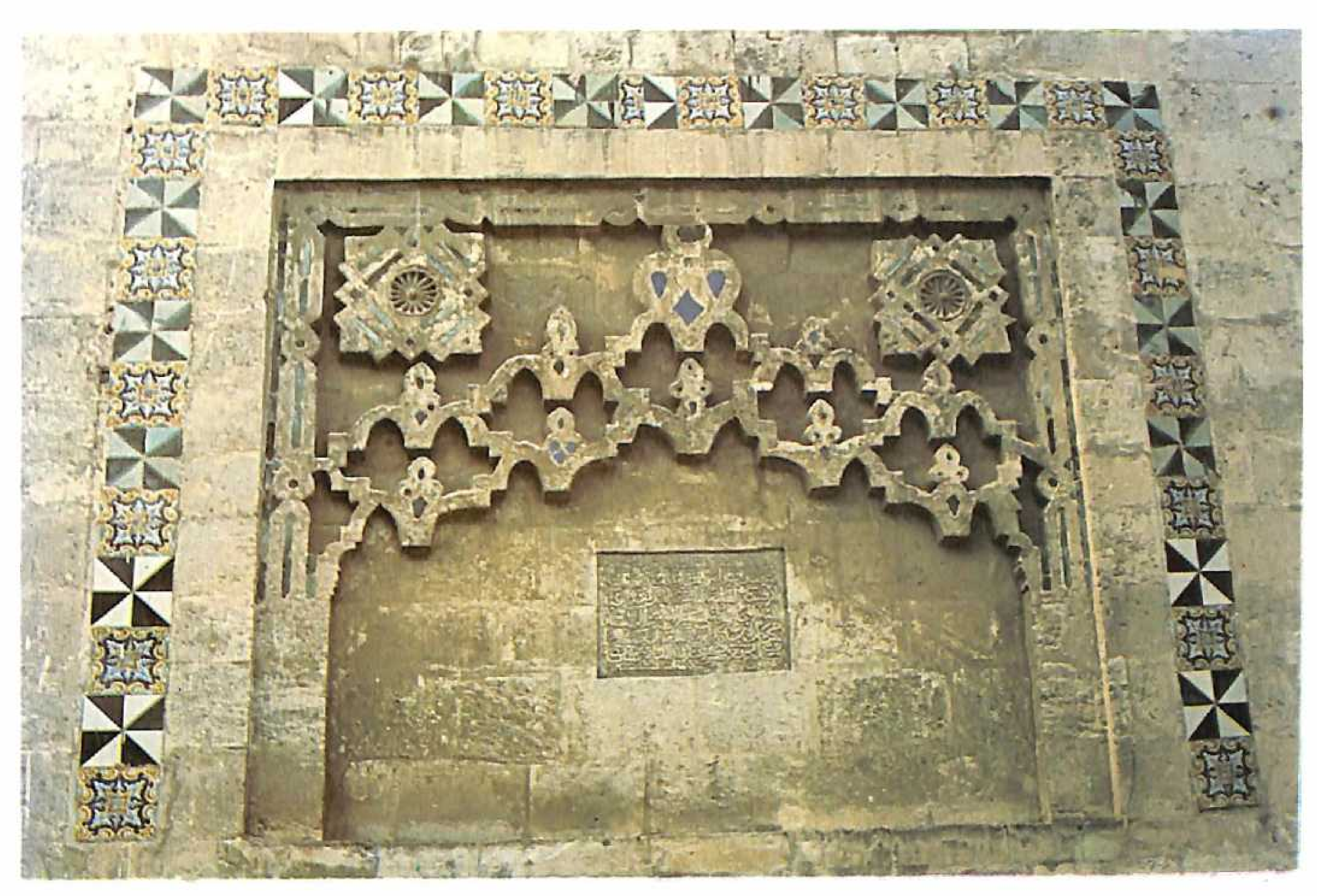


بـن مـوسى طـاغيا جدا لا يبالي بأخذ الأموال وذبح الرجال من غير سبب . فأخذ مالا كثيرا لبعض من ينتمي الى الشيخ محمد الهواري . فكتب هذا الأخير كتابا للص عثمان بن موسى يأمره برد ما أخذه لذلك الانسان الذي ينتمي إليه . فزادعتوا وأخذ خديم الشيخ الذي ساق إليه الكتاب وكبله . وذات يوم كان الشيخ جالسا في معـتـاد جـلـوسه . جاءه الخبـر ان خـديمه الذي بعث مـعـه الـكـتـاب كبله عـثـمـان بن موسى . فغضب الشيخ غضبا شديدا حتى أسود وجهه ، ثم قام على الفور ودخل خلوته ساعة» وسمعوه يقول : «مفرطخ مفرطخ يبين لمامور باهلاكه صفة هلاكه» انه كان بذلك اليوم عرس بموضع عثمان بن موسى . فدفع فرسه واجراها في ملعب . فاشتهر عند الحاضرين من الرجال والنساء انهم رأوا شخصا أبيض أخذه من فرسه وضرب به الأرض . فوجدوا والعياذ بالله رأسه داخلا في جوفه .

وقام سيدي محمد الهواري بمعجزة ثانية يحدثنا عنها سيدي سليمان بن عيسى من قلعة هوارة . فقال « كنت كتبت الى الشيخ رسالة تحتوي على سبعين سطرا وسلمتها الى رسول . ثم خفت أنه لا يستطيع أن يبلغني بالضبط أجوبة الشيخ عن الاسئلة التي كنت القيتها عليه . فذهبت بنفسي الى بيته ودخلت في الحين الذي كان سيدي محمد يسأل الرسول : « هل أنت الذي اتيت بهذه الرسالة أو صاحبها ؟ فقال الرسول : يا سيدي هذه الرسالة لسيدي سـلـيـمـان » . وبعدما سلمت على الشيخ أخذ يجيب عن جميع الأسئلة التي كنت القيتها عليه في رسالتي وحسب الترتيب الذي كانت عليه في رسالتي وذلك بدون أن يفتح الرسالة أويسألني عن موضوعها . .

هناك معجزات أخرى قام بها ولي وهران . هكذا ، جاء في أسطورة أنه عندما كان سيدي محمد الهواري يجيء على ساحل البحر ، كان السمك الصغير لا يفرحين يسمع صوت رجليه ويواصل ألعابه بحضوره . ولما كان الولي يدخل في البحر ، كان السمك الكبير الشره ، الذي يشكل خطرا حتى بالنسبة الى الانسان ، يجري إليه وينسى شراهته ويلعب بحضوره .

وكـان لسيدي محمد الهواري معارف واسعة جدا . فكـان يحفظ القرآن والشاطبية ،والالفية وكتب الامام مالك ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وشرحها من قبـل الـقـاضي عبد الوهاب ومدونة البرادعي . وكما ذكرناه ألف «السـهـو والتنبيه » . فقال انه كتبه للاطفال بدون أن يهتم بوزن الابيات ولا بالنحو . وترك لنا أيضا قصائد عناوينها : التسهيل ، والتبيان ، وتبصيرة السائل توفي سيدي محمد الهواري يوم السبت 2 ربيع الأول 12/483 سبتمبر 1439 وعمره اذ ذاك اثنتان وتسعون سنة بوهران ، المدينة التي كان تولى الأمر بها بالحقيقة أثناء ما يقرب من نصف قرن . وقبل أن يموت بمدة قليلة تألم من فقدان أحد ابنائه أحمد . ان هذا الأخير كان ، كما جاء في الأسطورة ، سكيرا وفاسقا . فراى يوما من الأيام موكبا زفافيا . فجسر على التقرب الى العروسة ونزع معجرها ليرى وجهها . فهجم عليه الحاضرون لشدة الزلة التي كان ارتكبها وضربوه الى ان مات .



جزء من مئذنة مسجد سيدي الهواري .

عندما ورد على سيدي محمد الهواري خبر قتل ابنه ، لعن وهران قائلا : « اذهبي يا وهران الفاجرة ، الغنية بالجور والبغي والآفات ، أنت العامرة بالمضطهدين والسراق ، اتركك بالحق الواحد الذي يلائمك الى مسيحيي مالقة وغليسا ، الى يوم القيامة والتلاقي ، كلما ترجعين تطلقين» .
وبعد سبعين سنة ، سقطت وهران بين ايدي الاسبانيين .

دفن سيدي محمد الهواري بوهران حيث ما زال ضريحه ، الذي يقع بشارع القصر القديم ، محط التوقير الكبير .

إن هذا الضريح عبارة عن بناء مربع يبلغ طوله 5 م ، مكلل بقبة . يدخل إليه من باب واطيء . وفي وسطه نصب القبر المزين بالاعلام والصور التقوية بينما علقت بالقبة مصابيح وثريات وكور زجاجية . أما الجدران فهي مزينة بالشموع وبيض النعام . وهناك كتابة على القبر نقلها ديستان في سنة 1904 . وقد فقدت هذه الكتابة التي كانت مرسومة على لوحة خشبية يساوي طولها 70 سم وعرضها 50 سم وتحمل تاريخ 1886 . فكانت نسخة لكتابة قديمة كانت تحمل نفس المكان . وجاء فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم الرسول الفاضل الرؤوف ... الرحيم الذي يهدينا طريق المستقيم صلى الله عليه وسلم . الحمد لله . هذا قبر السيد مولانا الذي يشفع لنا الى الله ، الشيخ الامام الحق الحقيقة الأول سيدي محمد عمر بن سيد الناس بن أمير الناس ذو الهمة ... المغراوي المعروف بالهواري . نفعنا الله واياكم ببركته . هو ولي الله قال : اللهم، اغفر وارحم أنت ارحم الراحمين يا ناصر الفائزين . اللهم أنت كريم وقوى ،

أحب شخصا ... نتوكل عليك يا صاحب الخير والإحسان . اما بعد . يا جماعة الاخوة ، هذا تاريخه : شهر أكتوبر 1886 وكتبه اخوكم الحاج الهقرى

وبالقرب من القبة نجد مسجد سيدي الهواري .

وبحيث ان سيدي محمد الهواري توفي يوم السبت فيزار قبره بالاخص يوم السبت . ها هي ، حسب ديستان الادعية التي ينطقون بها بمناسبة زيارته :

عند ،دخولهم في المدينة يقول الزوار : «يا سيدي الهواري قصدت بلادك ترزقني من الكرامات المسلمية باش نفيزوا على اللي يبغضنا ويبغض أولادنا ترزقه الهم والعمى » ويقولون على قبره لينالوا نعمة من نعامه : « يا سيدي الهواري أنت ولي وأنا عبد الله اكرمني بهذه الحاجة بجاه النبي الشفيع » .

« يا سيدي الهواري انا جئت لعندك باش تقرح عديانا وتفرح احبابنا » .

« يا سيدي الهواري أنت شجرة عالية أوراقها غالية جئتك باش تفرحني وتهيني من عذاب الدنيا وترحمني في الآخرة» .

واصل إبراهيم بن محمد بن علي التازي عمل سيدي محمد الهواري وقد ولد بتازة ودرس بمكة والمدينة وتونس وتلمسان . ثم جذبته سمعة سيدي محمد الهواري فاستقر بوهران وأصبح أفضل تلاميذه . فكان إبراهيم متقشفا مثل شيخه ولكنه محسنا وودیعا . فكان الشعب يحبّه كما كان يخشى الهواري . فكان يعرف كيف يروع السامعين بالقائه الفريد . قال ابن مريم إنه اثناء إقامته بمكة انحشر الناس إليه لحسن قراءته وجودة إتقانه ·وقدم هناك لصلاة

مهمر عربي



التراويح برمضان لحسن تلاوته وطلاوة حلاوته» .

وقال أبو رأس وهو يعظم معارفه : «وكان من اكابر القراء والمحدثين وجها بذة العلماء المسندين وقفنا له على تصانيف صحيحة وقصائد مليحة وخطب بديعة ومنح صنيعة عارفا بالأولياء واخبارهم وبأيام العرب واشعارهم وبالادب والأدباء ونوادرهم وانه رايت في تأليف منسوب له انه بعث الى اهله بالمغرب من وهران مكتوبا يقول فيه قد ظهر فضل الشيخ محمد الهواري علي والحمد لله أني أدرس في مختصر الشيخ خليل ولا احتاج لنظر شروح» .

وقال كازنوف الذي خصص لسيدي إبراهيم التازي سطورا عديدة في كتابه عن وهران . ان أبياته التالية التي ذكرها ابن مريم تحتوي على احكام تشابه احكام القديس فرانسوا دوسال وعلم الاخلاق الموجود في كتاب « الاقتداء بالمسيح » . ها هي :

| | |
|---|---|
| « وعد عن الرباب وعن سعاد | وزينب والمعازف والعقار |
| فما الدنيا وزخرفها بشيء | وما أيامها الا عوار |
| وليس بعاقل من يصطفيها | اتشري الفوز ويحك بالتبار |
| فتب واخلع عذارك في هوى من | له دار النعيم ودار نار |
| جمال الله اكمل كل حسن | فلله الكمال ولا ممار |
| وذكر الله مرهم كل جرح | وانفع من زلال للاوار » |

وكان الناس يجيئون يستشيرون سيدي التازي من بعيد . فكان يستحسن أن يكرر : « لا تكن عدو العالم ولا صديق الجاهل ولا تخالط الأحمق » .

وكان يظهر صبرا كبيرا ، حتى كان من امتلأ غبظا يقول : «لو كنت في منزلة سيدي إبراهيم التازي ما صبرت» .

قال أبو راس وهو يحدثنا عنه : «فابتهج به المحل والأوان ، وحاز رئاسة الفضل بثغر وهران . فهو المطاع وليس ذا سلطان » .

ولكن إبراهيم التازي لم يكتفي بتهذيب معاصريه وتعليمهم . فبذل أيضا جهوده لتحسين ظروف حياتهم . وقام بأعمال لاستعمال جميع مياه العين التي كانت تسيل في قعر الوادي العميق . وبنى مخزن مياه كبيرا وقناة مبنية وانعم على المدينة بأنبوب ماء . فقال أبو راس في هذا الصدد : «يحكي انه كان يستقرض الدراهم الكثيرة من التجار ويصرفها في اصلاح هذا الماء ولا يدري من أين يوفي في ذلك ولما تم بنيانه وصوب ميزانه ، وارصد مكانه اخرج للناس الأطعمة المختلفة الأنواع والألوان فشبع كل من كان بثغر وهران وكان ذلك اليوم مشهودا من الأعياد والمراسم معدودا . فقيل له من أين اخرجت هذا الطعام ؟ وما صرفت على الماء ؟ ولست من ملوك ولا من أعيان الاغنياء . فقال رضي الله عنه مساعدة الزمان ومساعفة الإخوان» .

وفي شأن تموين مدينة وهران بالماء هناك اسطورة رواها كازنوف : « قيل

كان الهواري يتنزه يوما من الأيام مع اتباعه في الجبل الذي يجاور وهران . فعطشوا . فقال الوالي لإبراهيم : «خذ عصا وجرها خلفك ولكن عندما تمشي لا تلتفت الى الوراء » . فامتثل إبراهيم أمره وذهب الى المدينة وهو يجر عصاه ولكن عند وصوله الى مكان يعرف ببلال وقف والتفت الى الوراء . فرأى الماء يسيل بغزارة ويتبع اثر العصا . حينئذ تقدم الهواري من إبراهيم وعاتبه : « لماذا ادرت رأسك مع إنني نهيتك عن ذلك . لو واصلت سيرك الى وسط وهران لكان الماء يسيل بها الآن» . توفي سيدي إبراهيم التازي بوهران يوم الأحد 9 شعبان 9/866 ماي 1462 ودفن بها وسط شجون الجميع ولكن بعد الاحتلال الاسباني ، نقلت جثته الى قلعة بني راشد وبني فوق قبره قبة موقرة من طرف الجميع .

ولد محمد بن عبد الرحمن الوهراني بوهران في أواخر القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر الميلادي . فاستقر بتلمسان ودرس النحو والفقه .

إن أحمد بن محمد الملقب بابن جيدة المديوني ولد بوهران ولكن لم يقم بها مدة طويلة . فأخذ عن السنوسي وابن مرزوق وتوفي في سنة 1542/951 .

يعتبر سيدي أحمد بن يوسف أشهر الشخصيات التي زارت وهران في النصف الثاني للقرن الخامس عشر .

ولد سيدي أحمد بن يوسف في حوالي منتصف القرن الخامس عشر بالقرب من قلعة بني راشد . فغادر مسقط رأسه وهو طفل صغير واستقر بالغريس حيث

قيد اسير



أظهر شخصيته للمرة الأولى . وصل رجل مصحوبا بإمرأة كان خطفها لرجل آخر الى الدوار حيث كان يسكن أحمد الطفل . فاستقبل استقبالا جيدا . فاحتج على ذلك الطفل وغادر الغريس لأن أباه أوصاه بألا يهتم بشؤون الغير . فتوجه الى بجاية حيث أخذ عن الشيخ زروق الذي كان من مذهب الشاذلية .

سرعان ما أصبح أحمد أفضل تلاميذ الصوفي الكبير وفي يوم من الأيام اعتبره من انداده فقبله على الكتف وبين العينين وهكذا حصل سيدي أحمد بن يوسف على منزلة مرشد .

وذكر بودين في المقال الذي خصصه لسيدي أحمد بن يوسف الظروف التي سمحت له بالرجوع الى قلعة بني راشد . فقال : « كان تخلص بمعجزة من قرصان مسيحي كان قد القي القبض عليه على شط من شطوط البحر قريب من بجاية وتوجه نحو المدينة وإذا به مرّ بالقرب من حلقه في وسطها والي اسمه سيدي قاسم البسكري . فقال له هذا الأخير : « أدخل في خلوتك ولا ترد ما يقدم لك . ثم أرجع عند اهلك برأس الماء على حوالي ستة كيلومترات من معسكر » . فقصد سيدي أحمد بن يوسف خلوته وعند الليل ، سلم له رجل جفنة كبيرة ملآنة بالدراهم ، فاشترى بهذا المال فرسا وخنجرا وثوبا . وعند وصوله الى رأس الماء ، بنى كوخا صغيرا حيث سكن مجهولا من الجميع .

وبسوق معسكر الذي كان يقصده بانتظام ، امتاز بتقواه وسرعان ما اشتهر . فكان يجيء الناس من كل جهة ليستشيروه ويطلبوا منه المساعدة المعنوية وحتى المساعدة المادية .

فغار منه أحد أولياء الناحية اسمه سيدي عمر التراري ، وحاول أن يقتله ولكن امتنع من ذلك بمعجزة . فقبل يد سيدي أحمد بن يوسف وطلب منه أن يكون صديقا له . وبعد مدة قصيرة زوجه بنته لالة ستي .

ويقرر بودين أنه ابتداء من ذلك الحين أقبل عليه الدهر وبدأت تلك السلسلة الطويلة من المعجزات التي تؤكد قداسته : « شفاء المرضى وانقاذ الغرقى في عرض البحر وتوفر محتوى الصحون ووضع حد لعقم النساء بوسائل روحانية وتخليص المجنونين » .

وما كان يفرق ما بين سيدي أحمد بن يوسف وسيدي محمد الهواري وسيدي ابراهيم التازي هو أنه ، مثل الشاذليين الآخرين ، كان لا يمتنع عن الملابس الجميلة والبسط الحسنة والأطعمة اللذيذة وكان يأذن لأصحابه بدعاء الله باصطحاب الآلات الموسيقية . وبالنسبة إليه ، ليس من المهم ان الانسان يملك نصيبا كبيرا أو صغيرا من أموال الدنيا الفانية . ان المهم هو أنه لا يهتم بها عندما تكون بين يديه ولا يرغب فيها عندما لا يملكها .

ومن جهة أخرى كان سيدي أحمد بن يوسف يقول : «يحتوي مذهبنا على العبادة في سبيل عمل الخير بنزاهة . ان من يمارس العبادة خاشيا من جهنم أو راغبا في حوزحور يشابه العبد والأجير » .

فكان سيدي أحمد بن يوسف مثل سيدي محمد الهواري يعرف قيمته بالتمام . فكان يقول : « طلبت من الله ثلاثة نعم فاعطاني أياها في ليلة واحدة . اني طلبت منه أن يكسبني العلم بدون جهد فاكسبني العلوم الظاهرة والباطنة ، وأن يبلغني الى رتبة القديسين فرفعني الى رتبة عليا ، وأن يريني النبي في المنام فرايته وأنا يقظ . وبفضل بركة محمد صلى الله عليه وسلم فتح لي مجال المعارف التي لم يستطع أحد أن يحصل عليها » .

وكان سيدي أحمد بن يوسف يتمتع بشعبية كبيرة كما تدل على ذلك رواية دخوله في مدينة وهران التي افادنا بها ديستان . فقال : « سمع سكان وهران بوصول الوالي . فخرجوا من المدينة أفواجا افواجا ليستقبلوه وكان والي وهران قد خرج مع رعيته ورأى حماس الجمهور الذي كان يحيط بالزائر المشهور ويقدم له علامات الحب والاحترام التي لا تقدم الا للملك من طرف رعيته المخلصة . فاصابه القلق لأن الأمير عبد الله الذي كان إذ ذاك جالسا على العرش ، ما كان يستطيع أن يحدث نفسه بأمل استقبال حار الى هذا الحد . فما استطاع أحد تلاميذ سيدي أحمد بن يوسف ، يسمى سعيد عرب ان يبين توفيق شيخه . فقال للقائد : « إن هذه السلطة ليست بسلطة اليهود » . فغضب القائد وبعث رسالة الى أمير تلمسان جاء فيها : « إنه رجل بارض هوارة يخشى منه الملك » . فعلم بذلك سيدي أحمد بن يوسف وفر الى رأس الماء . فكان لذلك عاقبة حسنة بحيث أنه بعد قليل بلغت القائد رسالة جاء فيها : « ابعثه أو اقتله » .

فتأسف قائد وهران من ذهاب سيدي أحمد بن يوسف وبلغ أمر الأمير الى قائد بني راشد . فاوصى هذا الأخير الوالي بالإنصراف حينا . فغادر المدينة قائلا : «شوشونا شوشهم الله من البر والبحر» . وعلى قول أبي رأس : «فلم يكن إلا قليلا حتى شوش الله بني زيان من البحر بالفكرة فأخذوا وهران ومن البر بالاتراك فأخذوا تلمسان » .

توفي سيدي أحمد بن يوسف في سنة 1524/931 ــ 1525 . فدفن بمليانة حيث يزور قبره عدد كبير من الزوار .

اذا كانت وهران مقر نشاط علمي كبير ، فشاهدت أيضا تأسيس عدد كبير من المنازل والمباني الجميلة كما شهد بذلك الوزاني (ليون الإفريقي) والفارس قوماس وأبو راس .

وكما لاحظناه سابقا . اعجب ليون الافريقي من المباني الفاخرة التي شاهدها بوهران . وذكر الفارس قوماس ، من جهته انه بوهران توجد ستة الاف بيت ومساجد جميلة ومدارس ومستودعات واسعة بالارصفة العامرة ، وحمامات مشهورة ومباني عامة ممتازة .

أما أبو راس فيخصص سطورا عديدة للحصنين اللذين أسسهما السلطان المريني أبوالحسن ألا وهما : البرج الأحمر ، وبرج المرسى .

فقال وهو يحدثنا عن الحصن الأول : «ولو أخبر به صاحب كتاب اللباب

الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال : الدار دار ان ايوان وغمدان ولا سيما قلعة مرجاجو الشهيرة الفذة الجاهة الكثيرة ، يقل مثلها في الوجود ، وتتيه على قلاع بني حمود قد وضعت وفي قنة جبل من الافلاك بيده ، ونضم النجوم في مفرقه ، وتلفع بالسحاب في مروطه ، واوى الرياح الى جوه ، والقي الى خبر السماء باذنه ، واطل على البحر بشماويخه ، واستدبر قاعات سيرات وملاته بظهره ، وأنام سائرجبال بني ماخوخ في حجره » .

أما برج المرسى فشيد بالمرسى الكبير على مضيق الرأس الصخري العالي الذي يكوّن الميناء ويؤمنه من الجراف .

فقال لاسباس وهو يحدثنا عن البرج الأول : «كان معدا لحماية المدينة من جهة الشط والشرق أمام الوادي ، وبالاخص ، لمراقبة ناحية هضب كارغنتا . أنه البرج الحديث الحالي الذي بقي بعد 1831 حصنا للمدينة . فسكنه الولاة الاسبانيون الأولون . وكان في الأصل كتلة مكونة من ثلاثة ابراج عالية متصلة بعضها ببعض بسجوف لازلنا نشاهدها في الأسفل ، من جهة الغرب ، مرصعة في مباني الحصن الجديد » .

بجانب هذين البرجين بقيت لنا بعض التحف معروضة بمتحف وهران وهي : مهمزان ذوا حد طويل وقيود من الحديد وصورة طبق الأصل للمفتاحين اللذين سلم للكردينال كسيمنيس سيسنيروس في ماي 1509 .

# القسم الثالث

# الإحتلال الأسباني الأول

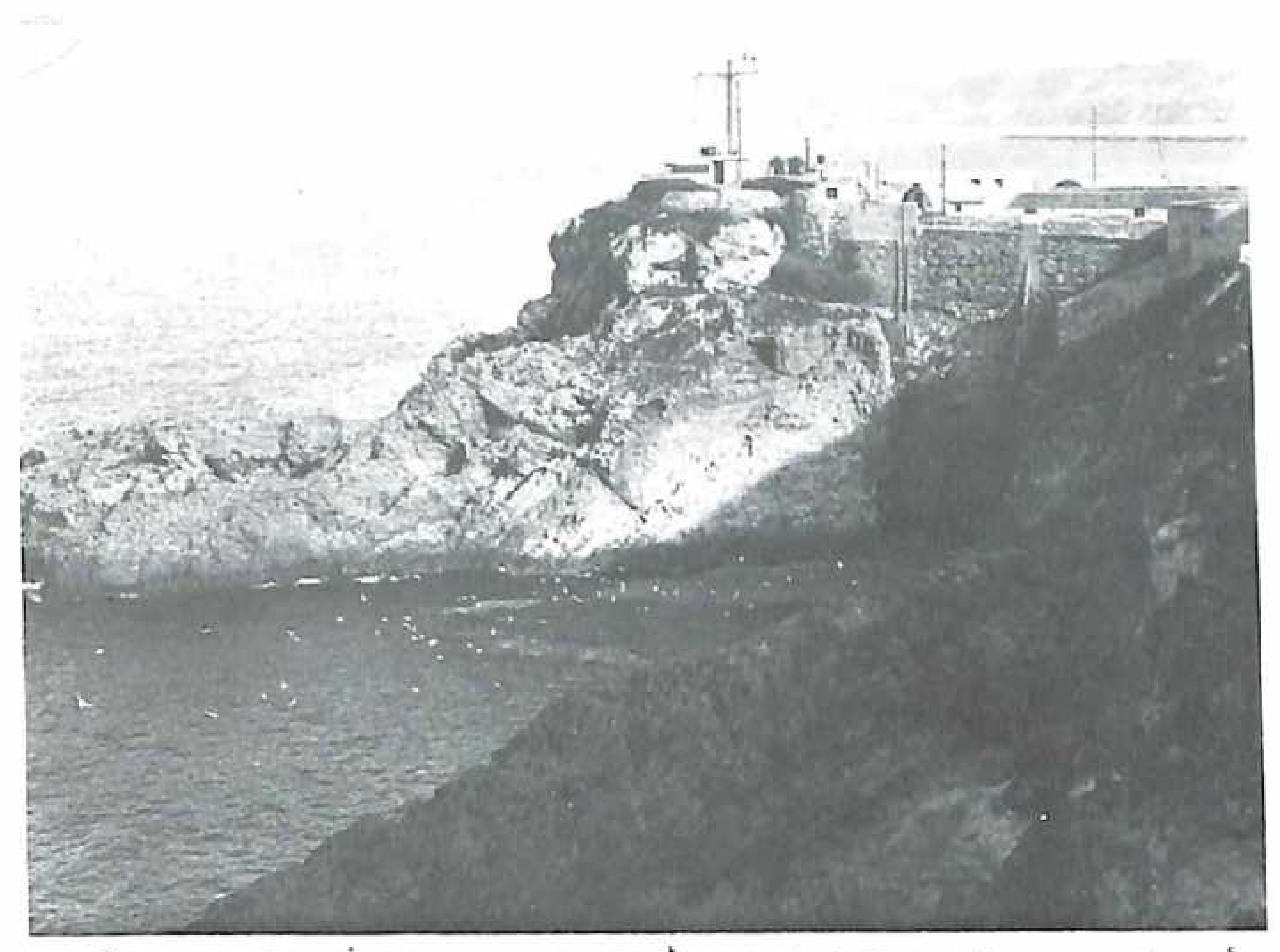
# التاريخ السياسي

إن الكردينال كسيمنيس سيسنيروس هو الذي قاد الجيش الاسباني الذي غزا وهران . فبدأ ركوب الجنود الذين ساهموا فيه يوم الأحد 13 ماي 1509 ، ولكن تأخر الأسطول بسبب الرياح المعاكسة ولم يصل الى المرسى الكبير الا يوم الخميس مساء .

حالما رآه مسلمو وهران أشعلوا نيرانا على قمة التلل المجاورة لينذروا قبائل السهل المختلفة . فاجتمع رؤساء الغزو في المساء في سفينة الكردينال سيسنيروس ، وتشاوروا على عمليات الغد . فبدأ النزول يوم الجمعة عند طلوع الشمس وعلى الساعة العاشرة كان جميع الجنود الرجالة مستعدين للقتال . يكوّنون أربعة فيالق يحتوي كل واحد منها على ألفي راجل . ثم جاء دور المدفعية وفي الساعة الثانية مساء بالتقريب أمر القائد بيدرونافارو بالسير . وكان يستهدف الوصول الى التل الذي يطل على خليج وهران والسير على قمته والهجوم على وهران من الجهة الشمالية الشرقية ، ورد العدو الذي كان أمامه الى الوراء وكان الكردينال سيسنيروس قد استعد ليقود العمليات بنفسه ، واذا بالقائد بيدرو نافارو ، يعارضه بقوة . فوقع نزاع شديد بينهما . فأيد النقباء قائدهم . فاضطر سيسنيروس تسليم الأمر لبيدرونافارو ، وانفرد في معبد الحصين ليصلي . فكان الصعود وعرا .



وهران القصبة



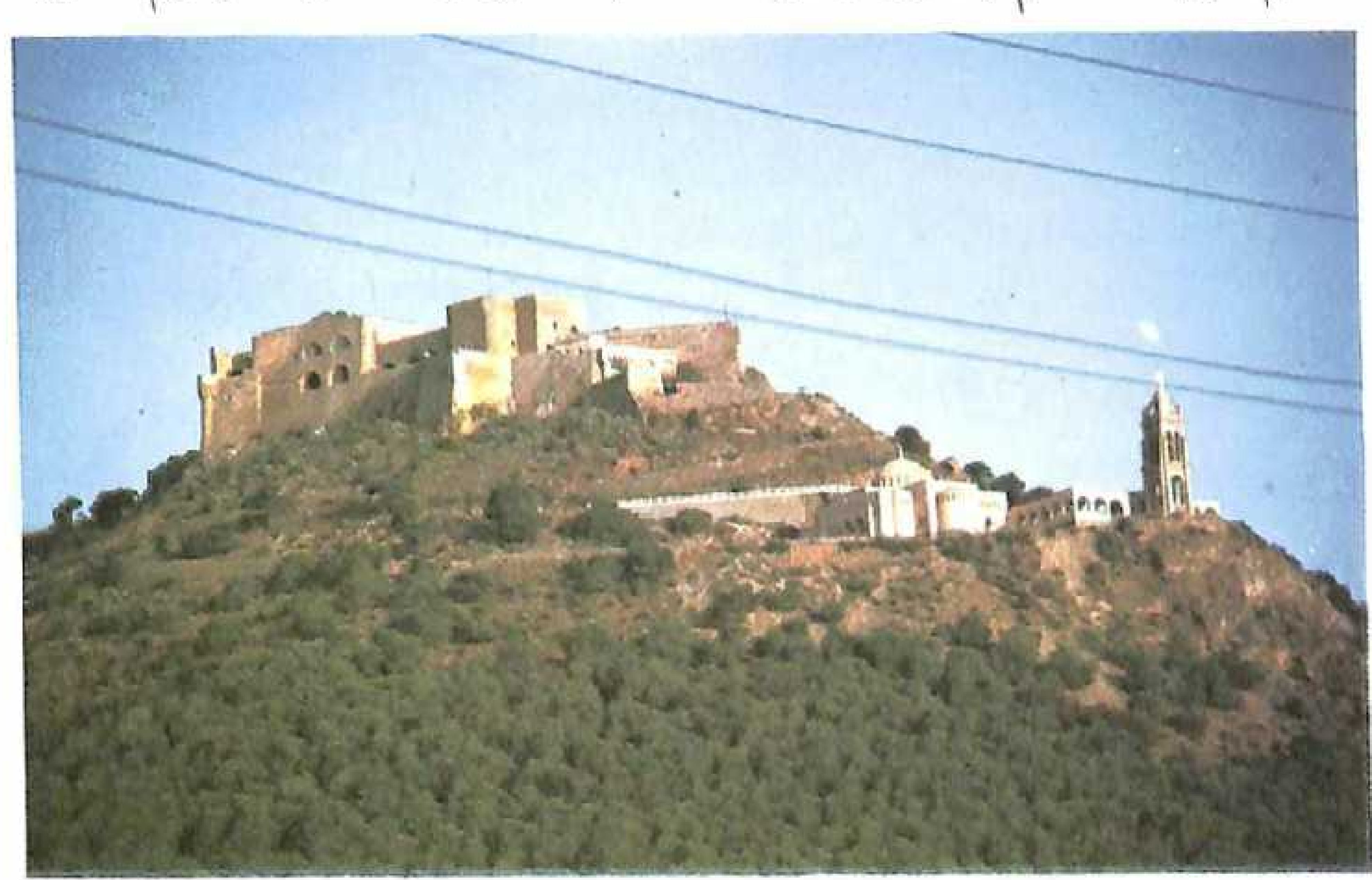
ملوح راس لامون في سنة 1953

أما الجنود الذين كانوا قد أصيبوا بمرض في البحر فكانوا متعبين وعطشى ، ومن جهة أخرى لم يجد الإسبانيون الوقت لانزال المدفعية لتأكيد مسيرتهم . فحاول المسلمون الذين كان عددهم كبيرا أن يعارضوهم باقواسهم وبندقياتهم . غير ان الاسبانين قصدوا عين ماء بارد في منتصف ارتفاع التل ، واستطاعوا ان يشفوا غليلهم ثم وصلوا الى القمة ببعض المدافع الخفيفة .

وما لبث أن لحقت الخيالة الرجالة ، وبدأت المتابعة نحو وهران . فأنهزم المسلمون بدون ترتيب . الى أن الإسبانيين وصلوا الى الأسوار عند الشفق .

فاقترح نافارو على الكردينال سيسنيروس تأخير الهجوم الى صباح الغد . فأمره بالهجوم حينا .

فأمتثل القائد أمره ، وتسلم مددا من خيل المرسى الكبير ، وحث أمل الغنائم الرجالة . فلم ينتظروا وصول السلالم للتسور واستعملوا حرابهم الطويلة



برج سانتا كروز

في الأماكن التي كانت في مستوى أدنى بالنسبة الى التل ، وقفزوا على الأسوار ومنها دخلوا المدينة . ومن جهة أخرى فتح حارسان من حراس الابواب ، أحدهم مسلم والآخر يهودي ، باب الملاحة للخيل المسيحي ، وطورد المسلمون الذين كانوا لم يستطيعوا دخول المدينة ، وبدأ الاسبانيون في وهران نهب البيوت المتروكة من طرف السكان الذين لجأوا الى المساجد ، وبعد قليل أصبحت زمرة الجنود صاحبة المدينة واستسلمت الى غرائزها المفسدة . فرفرفت الاعلام على الأبراج ، واسكتت مدافع بعض المراكب مدفعية البرج الأحمر التي كانت تحاول أن تقاوم .

ولما جاء الليل وضع حدا للقتال . ان الجنود الذين كانوا متعبين شباعا بالاطعمة التي وجدوها في البيوت ناموا نوما سبخا ، ولكن لم ينم بيدرو نافاور وضباطه . فوضعوا حراسا في كل مكان وأمروهم بدوريات مستمرة دامت طول الّليل ، ليبقوا يقظي حتى ما استطاع المسلمون اللاجئون في المساجد أن يخرجوا منها .

وفي الغد فتحت المساجد عنوة بعدما قاوم أهلها مقاومة كبيرة . فوصل الكردينال عن طريق البحر وتوجه نحو المدينة بين صفين من الجنود وعندما رأى في طريقه الجثث التي كانت تسد الشوارع ، انقبض قلبه ، ودمعت عينه . وقال ان انتصارا قاسيا الى هذا الحد كان يغريه بالم عميق . فتعجب سوزا قائد حراسه وقال : « يا سيدي كانوا كفرة ، ومثلهم لا يستحق الشفقة » . فقال الكردينال : « كانوا كفرة ولكن موتهم تحرمني من فائدة رئيسية من فوائد الانتصار : فكنت أريد أن ادخلهم في حجر المسيحية المحسن » .

وجد الكردينال سيسنيروس عند باب الحصن الوالي الذي حياه بالسلام وسلم له المفاتيح . فأذن لجنود وهران بالانصراف الى تلمسان باسلحتهم وامتعتهم وبعث قائدهم الى اسبانيا حيث استقبل باحترام كبير .

إن أول عمل قام به الكردينال هو تخليص الأسرى الذين كان عددهم يبلغ ثلاثمئة وكانوا مسجونين تحت الأرض . فعندما حضر الاسبانيون أمامهم واخبروهم بالفوز صاحوا من شدة الفرح ، وطلبوا أن يقدموا الى الكردينال . فقبلوا يده شاكرين . فأمر هذا الأخير بتوزيع المؤونة والملابس عليهم وسكنهم في البيوت التي كان غادرها المسلمون .

وفي الغد ، وقع تقسيم الغنائم بساحة المدينة الكبيرة . فاختار الكردينال بعض التحف الثمينة وبعثها الى غرناطة للملك فرديناندو ما ابقى عنده إلا بعض الكتب العربية ثم أمر بتحويل المساجد الى كنائس .

وبعد فتح وهران فكر الاسبانيون في فتح مملكة تلمسان الا أن أول والي للمدينة الاسبانية الجديدة ، المركيز كومارس سمى بنقيب قائد مدينة وهران والمرسى الكبير ومملكة تلمسان .

إن عدوهم الرئيسي ، العثماني عروج ، كان ، بعدما احتل الجزائر العاصمة ، انطلق لفتح جميع المغرب الأوسط وكاد يحتل مملكة تلمسان . ولو استطاع فتح تلمسان ، لوجه ضرباته نحو وهران واضطر الإسبانيين الى مغادرتها بحيث كانت الظروف تساعد هؤلاء الآخرين . ذلك ، ان أبا حمو الثالث الذي هزمه عروج ولجأ الى فاس ، ذهب سرا الى وهران ليتصل بقائد المدينة الاسباني . فاوصاه هذا الأخير بالسفر الى اسبانيا حتى يطلب من الملك الامدادات التي كان محتاجا إليها لارجاع ملكه . غير أنه بعد الطلب الذي وجهه له أعيان قبائل داخل البلاد الذين سلّموا له اثنين وثلاثين طفلا من اطفال الاشراف ، اعطاهم ثلاثمئة جندي ثم ستمئة آخر ساروا لمحاربة الامدادات التي كان بعثها خير الدين لأخيه عروج .

وبعد قتل الجنود الاسبانيين كلهم من طرف القائد العثماني اسكندر بقلعة بني راشد ، بعث المركيز كومارس ثلاثة آلاف جندي تحت قيادة العقيد مارتين ارقوت . فاستطاعوا أن يحتلوا القلعة . فحينئذ توجهوا الى تلمسان . فعلم عروج بوصولهم . فغادر المدينة . واستطاع دون مارتين ان يلحقه على ضفتي نهر وجدة وان يتغلب عليه . ها هي رواية ساندوفال لهذا الحدث :

«كان عروج متعبا وعطشان . فلجأ الى حظيرة محاطة بسور من الحجر المتراكمة بدون اسمنت وهنالك تحصن مع الذين كانوا معه . فحارب بشجاعة وجسارة فريدة من نوعها الى أن قار سياده تينيوعلام ديقوده اندراد الذي كان يعتبر من الاسبانيين الشجعان . ضربه وطرحه . ثم هجم عليه وقطع رأسه وحمله الى وهران حيث بقي . فجرح اصبع من اصابع يد تينيوالينى . فشق ظفره . فبقيت الندبة طول حياته . فكان يفتخر بها بحق ويقول ان عروج هو الذي اصابه بهذا الجرح بينما كان على الأرض مضروبا بضربة قاسية » .

ويخبرنا ما رمول ، من جهته ، ان « رأس القرصان وثيابه التي كانت من القطيفة الحمراء المزركشة بعثت الى والي وهران الذي اهدى الصدرة الى دير القديس جيروم بقرطبة حيث صنعوا منها غفارة التي عليها اسم عروج » .

وبعد موت عروج أعاد أبو حمو الثالث ملكه . فاضطر الى الخضوع للسلطة الإسبانية والى دفع اثني عشر ألف قطعة ذهبية من نوع دوكا ، وشواهيم انثى ، واثنى عشر حصانا .

و في سنة وفاة عروج ، قام نائب ملك صقلية ، هوغوده مونكاد بزيارة وهران . فكانت لهذه الزيارة عواقب خطيرة بالنسبة الى العلاقات التي كانت تربط ما بين الاسبانيين وملك تلمسان .

فقد ، وصل هو غوده مونكاد الى المرسى الكبير بثلاثين سفينة وثماني كراكات وعدد كبير من السفن الشراعية الصغيرة للشحن ليساهم في هجوم شارل الخامس على الجزائر العاصمة . فقاد جيشا لغزو قطعان سهل سيرات ، بالقرب من مستغانم . فغضب سلطان تلمسان من هذه اللصوصية وامتنع من بعث جيوشه الى



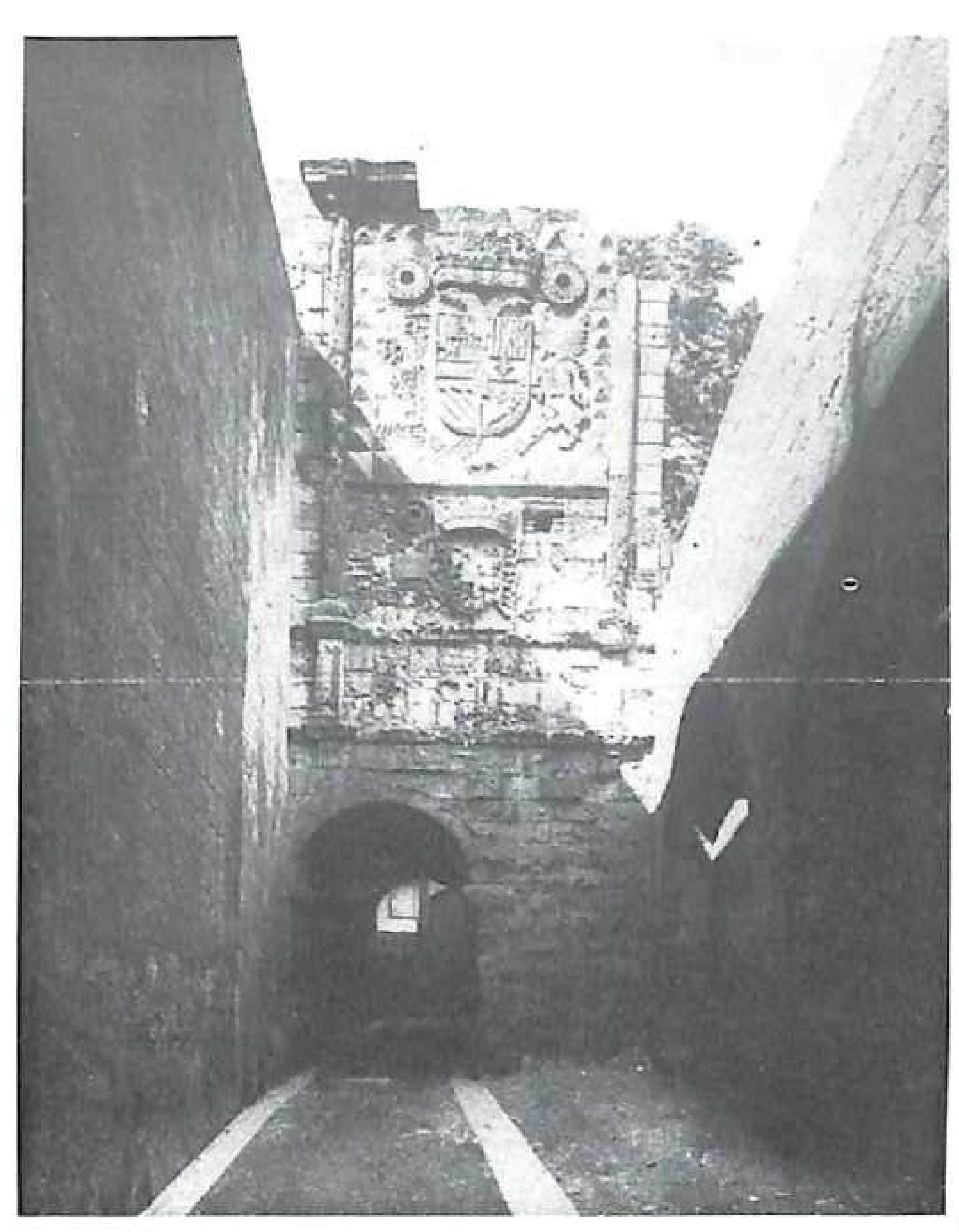
برج البحرية

شارل الخامس عند هجومه على الجزائر العاصمة الذي وقع بعد مدة قليلة .

فخلف الكونت الكودات دون ديقوده كوردوبا المركيز كومارس في سنة 1541 وبقي على رأس وهران سبع عشرة سنة . فامتاز حكمه بالنزاعات التي احدثت في مملكة تلمسان وباء طاعون شديد وغزو ما زقران ومستغانم من طرف الاسبانيين ، وهجوم صالح رئيس على وهران ، والهجوم الاسباني الثاني على مستغانم حيث قتل الكونت الكودات .

بعد وفاة أبي حمو ، خلفه أخوه أبو عبد الله . فحرضه الاتراك على الاسبانيين . فرفض أن يدفع لهم الضريبة . وعندما مات ، تنازع ابناه مسعود وعبد الله على العرش . ان عبد الله ، بعدما احتل تلمسان ، طلب مساعدة الاسبانيين لمحاربة اخيه . فبعثوا له اربعة مدافع وألف جندي من جيش وهران تحت قيادة دون الفونس مارتيناز . فهلك الاسبانيون اثناء المعركة التي وقعت بينهم وبين مسعود ، وما نجا منهم الاّ ثلاثة عشر جنديا . فقتل العقيد ده ارقوت وقطع رأس دون مارتيناز . فأمر شارل الخامس الكونت الكودات بأخذ الثأر ، وبعث له وحدات عسكرية جديدة ليستطيع أن يقوم بمهمته بصورة جيدة .

فسار الكونت الكودات بنفسه في جيش مكون من أربعة عشر ألف جندي يوم 27 يناير 1543 فوقعت معركة دامية بالقرب من تلمسان . وانتصر الاسبانيون . وفتحت لهم العاصمة الزيانية أبوابها . فاستقروا بها أربعين يوما . ثم بعدما قاتل الكونت الكودات مسعودا قتالا أخيرا ، رجع الى وهران ولكنه ما وصل إليها الا بصعوبة ، لأن المسلمين نكدوه بدون انقطاع في طريق العودة .



باب اسبانيا

وفي سنة 1547 اصيبت وهران بوباء طاعون شديد . فاضطر السكان الى مغادرة المدينة والى النزوح خارجها .

وفي العام التالي ، غادر الكونت الكودات وهران على رأس وحـــدات عسكرية عديدة وتوجه نحو مازقران . ففتحها بدون أن يواجه مقاومة كبيرة . فشجعه هذا الانتصار وواصل مسيرته نحو مستغانم ليفتحها .

فهجم على المدينة في مساء 20 أغسطس 1548 ولكنه فشل لأن جنود المعسكر الذين كانوا يتصرفون في نخبة المدفعيين الاتراك ، قاوموا بشاجعة بطولية . فكان الكونت الكودات ينتظر وصول سفينة اسبانية مشحونة بالبارود والقذائف قبل أن يقوم بهجوم ثان . وعندما حصل على هذه العدد ، أمر وحداته بهجوم ثان على مستغانم ولكن المحاصرين كانت قد بلغتهم الامدادات وكانوا استدعوا القبائل المجاورة . ففشل الأسبانيون مرة أخرى بعد معركة داميّة . فرفعوا الحصار متبوعين بجنود المعسكر . فانهزموا هزيمة شنيعة وكادوا يهلكون لولا الثبات الذي اظهره ابن الكونت الكودات الذي أخذ حربة وأوقف الجنود المنهزمين ، واضطرهم الى مواجهة العدو فساعده لويس ده رويدا ، قائد الخيل ، الذي هجم جنوده على الوحدة العسكرية التركية التي كانت تتبع الاسبانيين . فقسمها على قسمين . فشجعت سيرة الفرسان البطولية الرجالة الإسبانيين الذين هجموا من جديد وهزموا الجيش التركي .

ولكن ، مع هذه العمليات ، يعتبر غزو مستغانم انكسارا شنيعا بالنسبة الى الاسبانيين ، بحيث زاد من معنويات الجيش التركي الذي بعدما شاهد ضعف جيش الكونت الكودات ما لبث ان هجم بدوره .




صورة طبق الأصل لمفاتيح قصبة وهران

وفي سنة 1556 ، أي بعد ثماني سنين من الانتصار الذي كانوا حصلوا عليه بمستغانم ، قرر الاتراك الهجوم على وهران برا وبحرا ليخرجوا منها الاسبانيين .

فسار حسن قائد ، والي الجزائر العاصمة الى وهران في جيش مكوّن من سبعة وأربعين ألف جندي ، ومن جهته أقلع الأسطول العثماني الذي كان يحتوي على أربعين كراكة ، نحو المرسى الكبير ونزل الجنود الذين كانوا على متنه والذي كان عددهم يبلغ ستة آلاف ، على الشط واستطاعوا أن يحتلوا حصن القديسين ، وكانوا مستعدين لتهديد وهران ، واذا بهم امروا بالرجوع الى الجزائر العاصمة .

ان هجوم الاتراك على وهران اقلق الاسبانيون الذين قرروا محاولة احتلال مستغانم مرة ثانية . ولأجل ذلك قصد الكونت الكودات اسبانيا ليخبر الملكة جان بنواه ، ويطلب منها الامدادات . فحصل على ستة آلاف جندي . وفي يوم 22 أغسطس 1558 ، سار في جيش مكون من خمسة وسبعين ألف جندي متوجها نحو ما زقران ، واحتلها بسهولة . ثم سار الى مستغانم ، فحاصرها في انتظار المؤونة والعدد التي كان من المفروض أن يجيء من وهران على متن اربعة مراكب ، ولكنه رأى بحزن عميق ان خمسة مراكب تركية كانت ألقت القبض عليها . مع ذلك قرّر الهجوم . فنزع باب مازقران وصنع منه كور حجرية ، وأمر جنوده بالهجمة . فردّ الاسبانيون ، وحملت الخياله التركية عليهم واضطروهم الى الفرار الذي وقع في ظروف سيئة جدا . حيث انفجرت صناديق البارود التي كان الاسبانيون قد اتوا بها من وهران ، وقتلت خمسين جنديا . ومع الجهود



القصبة

التي بذلها ابن الكونت الكودات ، كان الانهزام تاما . وفي انهزامهم داس الاسبانيون قائدهم وفقدوا ثمانمئة جندي . أما الآخرون فأسروا . وكان من بينهم ابن الكونت ، دون مارتين ده كوردوبا . فبقي أسيرا الى سنة 1561 وهو التاريخ الذي اطلق فيه مقابل فداء يساوي مبلغه ثلاثة وعشرون ألف قطعة ذهبية من نوع دوكا ؛ دفعها أخوه الونسو الذي كان سمي واليا على وهران بعد موت أبيه .

شجع هذا الانتصار الجديد الاتراك الذين لم يكتفوا بذلك . فنظم حسن باشا جيشا مكونا من اثني عشر ألف فارس من زواوة وبني عباس ، وخمسة عشر



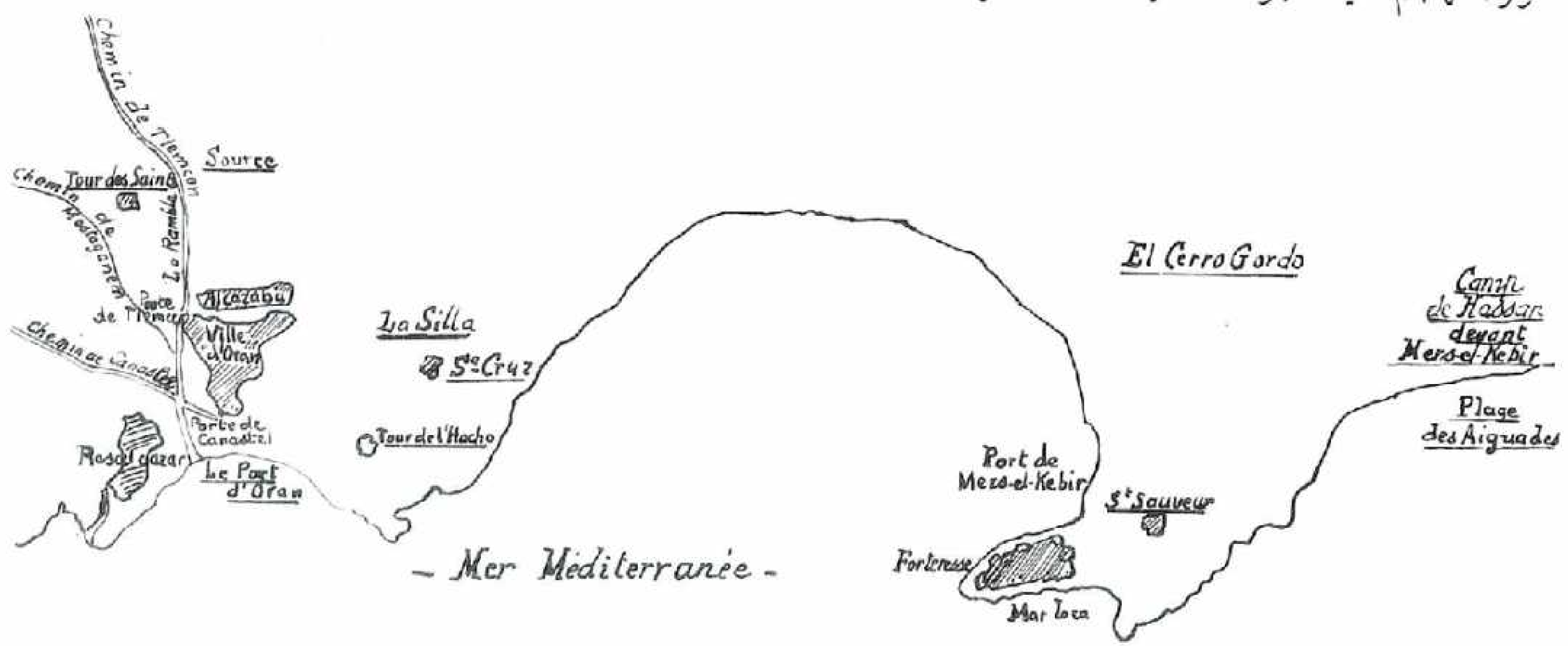
ترس صغير عليه شعار الملك كارلوس الثالث

ألف حامل بارودة اضيفت اليهم الواحدات التي دفعتها القبائل . فنقل الأسطول التركي الذي كان يحتوي على أربعين مركبا المؤن والعدد وحاصر مينائي المرسى الكبير ووهران وضربهما بالقنابل .

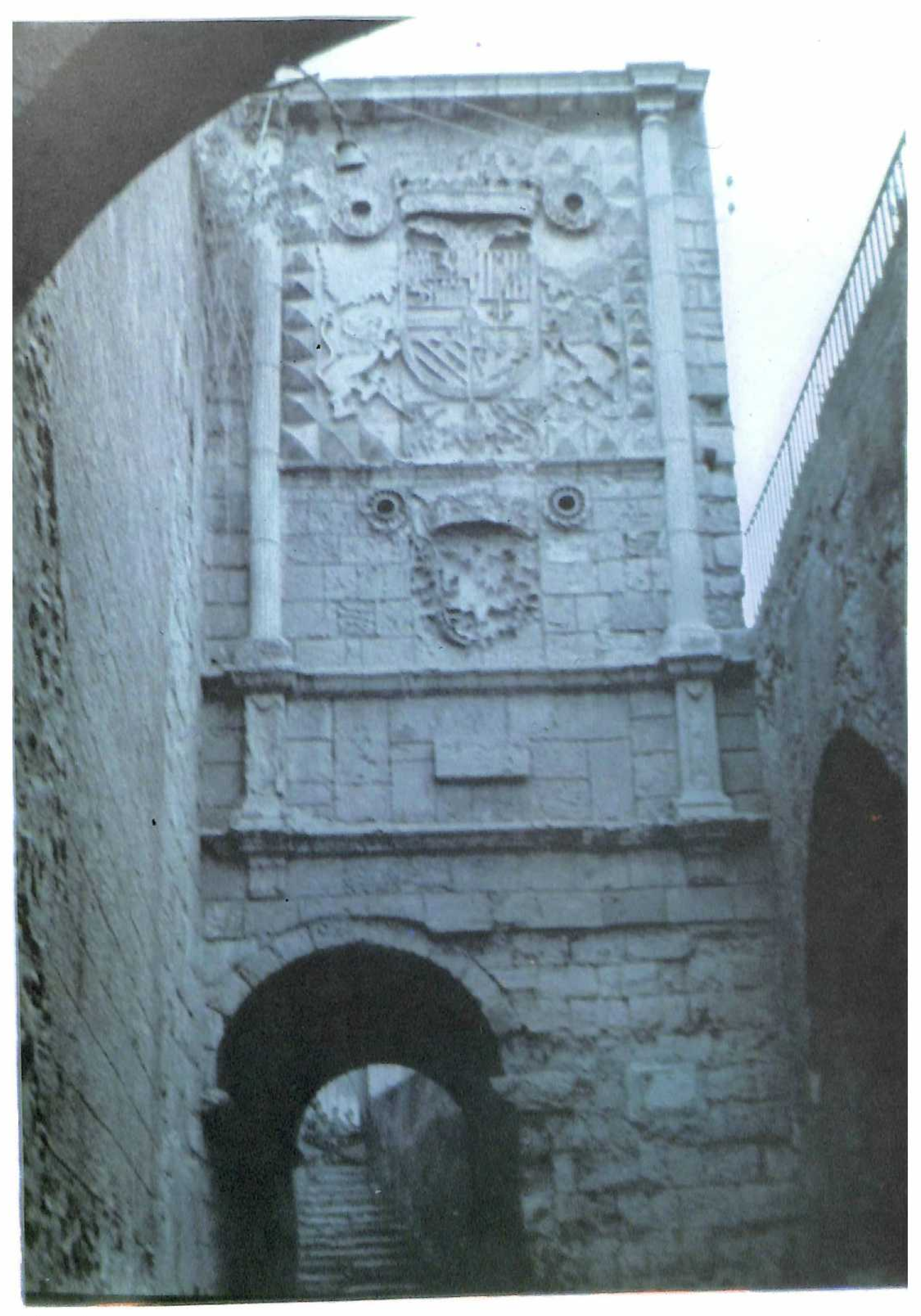
أما ملك اسبانيا ، الذي كان سمع بالخطر الذي يهدد حوزتيه المغربيتين ، فقوى معسكرهما . وفي ماي 1560 ، خرب بيالي باشا الأسطول الاسباني الذي كان قد بعث لإنقاذ وهران والمرسى الكبير ، بالقرب من جزيرة جربة . فأمر فيليب الثاني بجمع أسطول مكوّن من خمسين كراكة تحت قيادة دون خوان ده مندوزا . فخربتها عاصفة مرعبة يوم 19 اكتوبر 1562 في خليج ترادورا ، بساحل غرناطة ، ففقد الأسطول اثنتي وعشرين كراكة وخمسة آلاف جندي . وبعد مدة قليلة خربت عاصفة أخرى اثني عشر مركبا بقادش .

ورد خبر هذه السلسلة من الكوارث على حسن باشا . فقرر أن يسرع بالأمر . فغادر الجزائر يوم 5 فبراير 1563 . وفي 5 أفريل ، استقر بمكان يقع فوق العين التي كانت تموّن المدينة واستطاع أن يحتل برج القديسين بعد معركة دامية . فقرر إذ ذاك ، فتح المرسى الكبير حتى يستطيع أسطوله أن يكون مأمونا . فنزل على السفح الجنوبي الغربي للتل الذي أطلق الاسبانيون عليه اسم السيروقاردو ( التل الضخم ) . وعندما رأى ذلك دون مارتين ده كوردوبا ، أخو الوالي ، ركب مركبا مع كتيبة من حملة البارودة وجنود آخرين ذوي خبرة ليدافع عن المدينة . فاستقر ببرج المرسى الذي كان بناه السلطان أبو الحسن وكان الاسبانيون اقتصروا على اصلاحه . فأمر بتشييد حصن اطلق عليه إسم القديس سوفر وتسلم معسكرا يحتوي على مئتي جندي .

وحتى يستطيع حسن أن يفتح المرسى الكبير ، كان مضطرا الى فتح برج القديس سوفر . فهجم عليه هجومات عديدة فشلت كلها .




Plan d'Oran ancien d'après l'abbé Boulet
تصميم لوهران القديمة : عن الاب بولي



باب اسبانيا

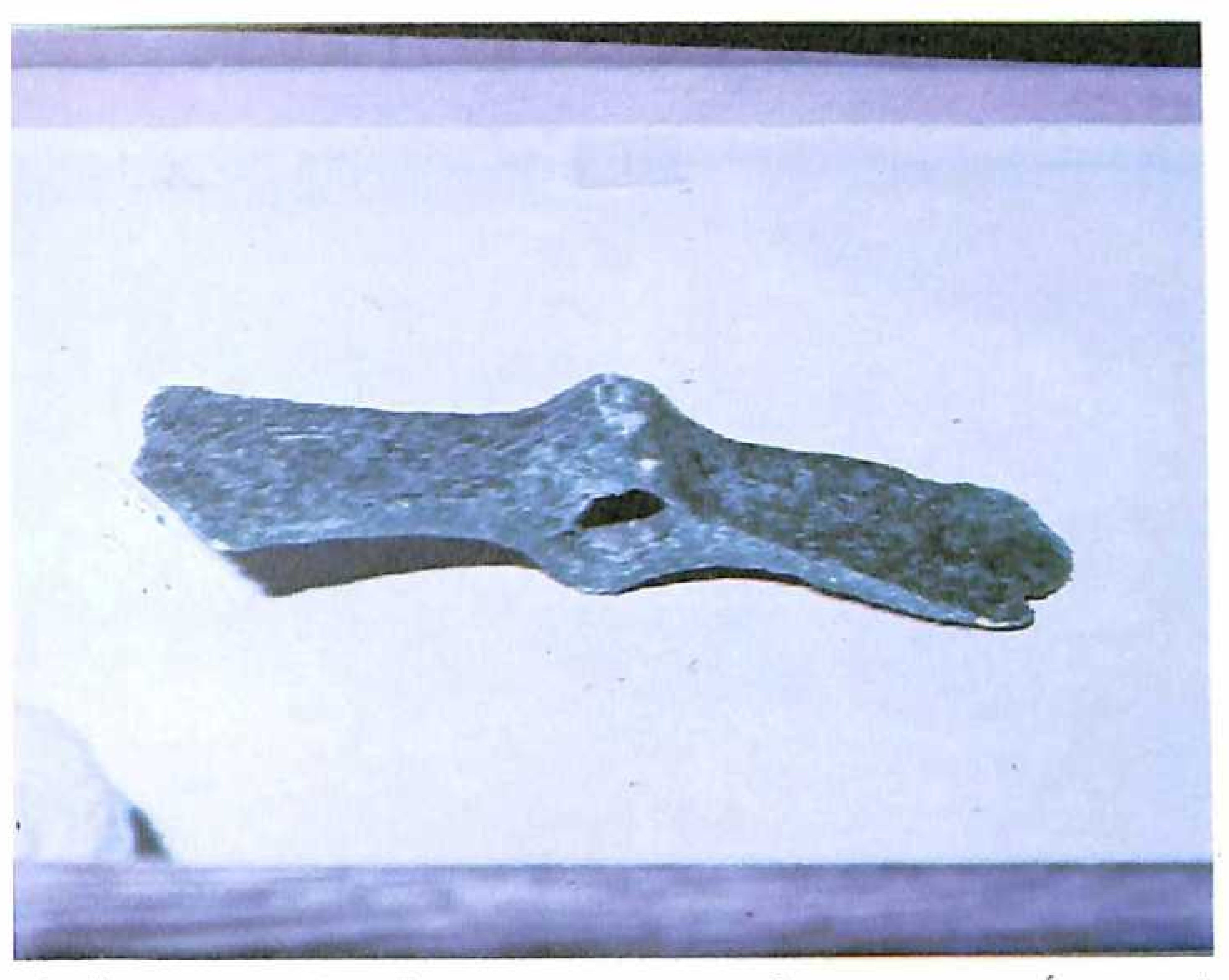
وصل الأسطول التركي يوم 2 ماي وأرسى بمكان يقع غربي المرسى الكبير اسمه ايقواد . وأنزلت المدفعية وهذا ما سمح للاتراك بضرب حصن القديس سوفر بالقنابل إبتداء من 4 ماي ، بمدافع مختلفة القطر ، وبفتح ثغرة في الصحن هجم منها المسلمون على الحصن . ولكن المحاصرين الذين كان لهم عدد كبير من المدافع قتلوا المهاجمين ، واستطاعوا ان يقاوموا مدة 22 يوما ثم غادروا الحصن بدون ترتيب بعدما فقدوا نصف جنود المعسكر .

اذ ذاك ، وجه حسن هجوماته نحو المرسى الكبير الذي كان يدافع عنه دون مارتين ده كوردوبا مصحوبا بأربعمئة وسبعين جنديا . ولكن قبل أن يقوم بالهجوم ارسل رسولا الى دون مارتين طالبا منه التسليم . فرفض هذا الأخير . حينئذ ، بدأت معركة دامية . فضرب الاتراك المرسى الكبير بالقنابل لمدة ثلاثة أيام ثم قاموا بهجوم أول . ففشلوا . وفي 22 ماي ، وجهوا هجمة ثانية استطاعوا اثرها أن يركزوا علمين في أعلى الاسوار . وفي المساء انشل المطر واضطر الاتراك الى الفرار . فتواصل القتال في الأيام التالية وفي 5 يونيو ، أرسل حسن باشا رسولا ثانيا الى المحاصرين ليحثهم على التسليم . فرفضوا مرة ثانية . وبعدما ضرب الحصن بالقنابل خلال يومين متتاليين ، أمر حسن بهجمة أشدّ من الهجمات السابقة استطاع جنوده اثناءها ان يصيبوا عدة مواقع هامة ويحتلوا قسما من الحصن اسمه قسم أهل جنوة . ولكن لم يزل المحاصرون يقاومون .

فغضب حسن غضبا شديدا . فرمى عمامته نحو السور وهز سيفه قائلا : « الى الامام يا جبناء يا فاضحي اسم تركي ، احارب بنفسي ، لخزيتكم ، بحيث انكم

باب الولي





فاس اسبانية من الحديد

تخافون من أربع عناز مسجونة في حظيرة . فاوقفوه وجاء الليل الذي وضع حد للقتال وصباح الغد ، وصل الأسطول الاسباني بالقرب من المرسى الكبير . فانهزم الاتراك . ودام الحصار شهرين ويومين . وكان المرسى الكبير مهدوما تماما . فانفق الاسبانيون لإعادة بنائه التي دامت ثلاث سنين ثلاثة ملايين دوكا .

فوزع فيليب الثاني جوائز على جميع الجيش . وعين دون مارتين ده كوردوبا كنقيب قائد مملكة تلمسان ووالي وهران . وعلى وجه المعبد القديم للمرسى الكبير كانت كتابة لاتينية تذكر لزوار القتال البطولي للجيش الاسباني .

فبقي المعسكر الوهراني ، مع الانتصار الذي كان حققه ، في حالة خطيرة . الا ان التقرير الذي كتبه الأمير فيسبازيان كولون بعد سقوط تونس ولا قولات ، اقترح تسليم وهران والاحتفاظ بالمرسى الكبير فقط . فنبذ المجلس الأعلى القشتالي وبلاط القصر بمدريد ، اقتراحات تقرير كولون وقرروا البقاء في المدينتين .

وبعد سنتين ، وجه دون سانشوده ليفا الى «سادة أعضاء مجلس الدولة والحرب» تقريرا يوصي فيه بالاحتفاظ بالمرسى الكبير بتحصين وهران وبين انه يستحيل البقاء بالمرسى الكبير بدون احتلال وهران .

ولا يعطينا المؤرخون إلا معلومات قليلة عن وهران بين 1563 و 1708 تاريخ سقوطها بين ايدي الاتراك . إن أهم الاحداث التي أشير اليها أثناء هذه الفترة هي : زيارة سرفانتس لوهران وتعيين القائد باديّا كوال على وهران ، وحصار وهران من طرف إبراهيم خوجة ووباء الطاعون الذي وقع في سنة 1678 وهجوم شعبان باي على المدينة وتأسيس قريتي ايفر وكاناستل ، وخيانة دون لويس هان ، وحصار وهران من طرف مولاي اسماعيل .

وصل سرفانتس الى وهران في أواخر شهر ماي 1581 بصفته مبعوثا خاص للملك

الكاثوليكي . وأثناء إقامته التي دامت ما يقرب من شهر ، استقبله الوالي دون مارتين ده كوردوبا الذي كان كاتبه ( عندما كان أسيرا بالجزائر ) ليطلب منه أن يساعده في التسلل . فسمع الناس يتحدثون عن سيرة دون مارتين أثناء هجوم حسن باشا . فخطر بباله أن يؤلف رواية تاريخية عنوانها « الاسباني الشجاع » .

فما كان من ملك اسبانيا إلّا أن كلف سرفانتس بالذهاب الى وهران سرا ليبلغ أوامره للوالي ويحصل على معلومات دقيقة عن حالة الوصاية . فكان فيليب الثاني ، يريد أن يثأر لانهزام أبيه أمام الجزائر في سنة 1541 .

فقام سرفانتس بمهمته بصورة مرضية ورجع الى اسبانيا برسائل من والي وهران واخبارممتعة افاده بها قائد مستغانم . فوصل الى قرطاجنة يوم 25 يونيو 1581 .

إن القائد دون بيدرو ده باديّا الذي عين واليا على وهران في سنة 1581 ، قام بأعمال عظيمة بالقصبة . فخلفه الكونت موريو .

فوقع حصار وهران من قبل إبراهيم خوجة في سنة 1657 . وبعدما احتل حضب سانتون ( الوالي ) ضرب ابراهيم خوجة المدينة بالقنابل والكور ولكن ما استطاع أن يحتلها .

فانتشر وباء الطاعون الذي وقع بوهران في سنة 1678 الى مالقة واسبانيا كلها بواسطة مركب مشحون بالأقمشة .

إن أثناء غزوه لوهران ، الذي وقع في سنة 1098 / 1686 ، اظهر شعبان باي الغرب الجزائري شجاعة خارقة للعادة كما بينه الحلفاوي في النص التالي :

« ومن أشهر غزواته هذه التي استطردها الناظم ، وكانت سنة ثمانية وتسعين والف ، وبها استشهد رحمه الله ، وقد أبدى ذلك اليوم واعاد ، واظهر من الشجاعة ما



سلاح اسباني على شكل مدقة

يقصر عنه عنترة بن شداد وقد اخبرني بعض من حضره انه تكسر في يده ذلك اليوم سيفان ، وحكى لنا انه احتفل لذلك اليوم احتفالا عظيما ولبس فيه أفخر ثيابه وتحلى بأشرف حليته وركب أجود مراكبه ، ووقف بكدية الخيار ينتظر خروج الكفرة الاشرار ، وهو مع ذلك يعبي جيوشه ويرتبها ، ويحرضها على الاقدام في مزالق الاقدام وليس في لسانه الا طلب الشهادة ذلك اليوم ، حتى أقبل جيش العدو في تعبئته ، وبرز شيطانهم في ابهته ، وكانوا ينيفون عن الثمانية الآف فيها نحو ألف من الخيل . والمسلمون نحو النصف من ذلك ، إلا أن أكثرهم خيل ، وفي ذلك اليوم اقتربت رجالتهم بالأحبال ، لئلا يفروا من القتال ، فكان في ذلك المسلمون اسعد فال ، فلما التقى الجمعان حمل في خيله حملة الأسد الغضبان فشتت خيلهم ومزقها ، ثم أمر القلب ـ وكان فيه الاتراك ـ بالحمل على رجالة العدو ، فمنح الله المسلمين اكتافهم وتلاحقت الجيوش تضرب رقاب الكافرين . فكان يوم لا يعرف فيه البارود ، ولم تفتقر فيه السيوف الى الغمود ، وهزم العدو هزيمة عظيمة ومات منهم يومئذ أحد عشر مائة واستشهد في أثنائها الباي المذكور ، قتله بعض المغطسين من بني عامر فعلق الكفرة رأسه ببابهم ، ثم انهم رأوا سراجا يتقد عليه ليلا فبعثوه للمسلمين فدفنوه مع جسده ، رحمه الله » .

أسست قريتا ايفر وكاناستل في حوالي سنة 1701 . فبنيت الأولى على التل الذي يواجه القسم الجنوبي للقصبة . أما الثانية فكانت تقع في مكان قرية كريستال الحالية . كان اسسه الاسبانيون ليسدوا حاجة السكان فيما يخص البقول الخضراء .

كان دون لويس هان ، قائد الكراكات الاسبانية ، مكلفا باسعاف وهران . فاقلع من قرطاجنة باثنين وعشرين كراكة وكان من المفروض أن يقصد المرسى الكبير لينزل جيشا ويسلم للوالي ستة وخمسين الف دورو لتمويل أعمال التحصين . فخان وطنه وقصد الأسطول الانجليزي ، واطلق الجنود ووضع نفسه تحت تصرف الارشيدوق شارل .

في سنة 1707 ، حاصر الشريف المغربي مولاي اسماعيل المدينة . فأشار أبو رأس الى هذا الغزو في الأبيات التالية :

« قام بهيدور أيـــامـــا يحتال لهـــــا     قـــد استعان بما حـــوله من مخس
اعيتـــه حيلتهـــا حزما ومنعتهـــــــا     عقاب جو قـــد ارتقى على الردس
فقـــال هي حيـــة تحـــت صـــخرتهـــا     تضـــر لا الضـــر يأتي لهـــا من انس »

# الحياة الاجتماعية والإدارية والاقتصادية والعلمية
# النشاط المعماري

أثناء هذه الفترة التي دامت ما يقرب من قرنين ، أصبحت وهران مدينة عسكرية تكاد تكون مهددة باستمرار من طرف الأتراك بعدما كانت من أجمل مدن الساحل المغربي .

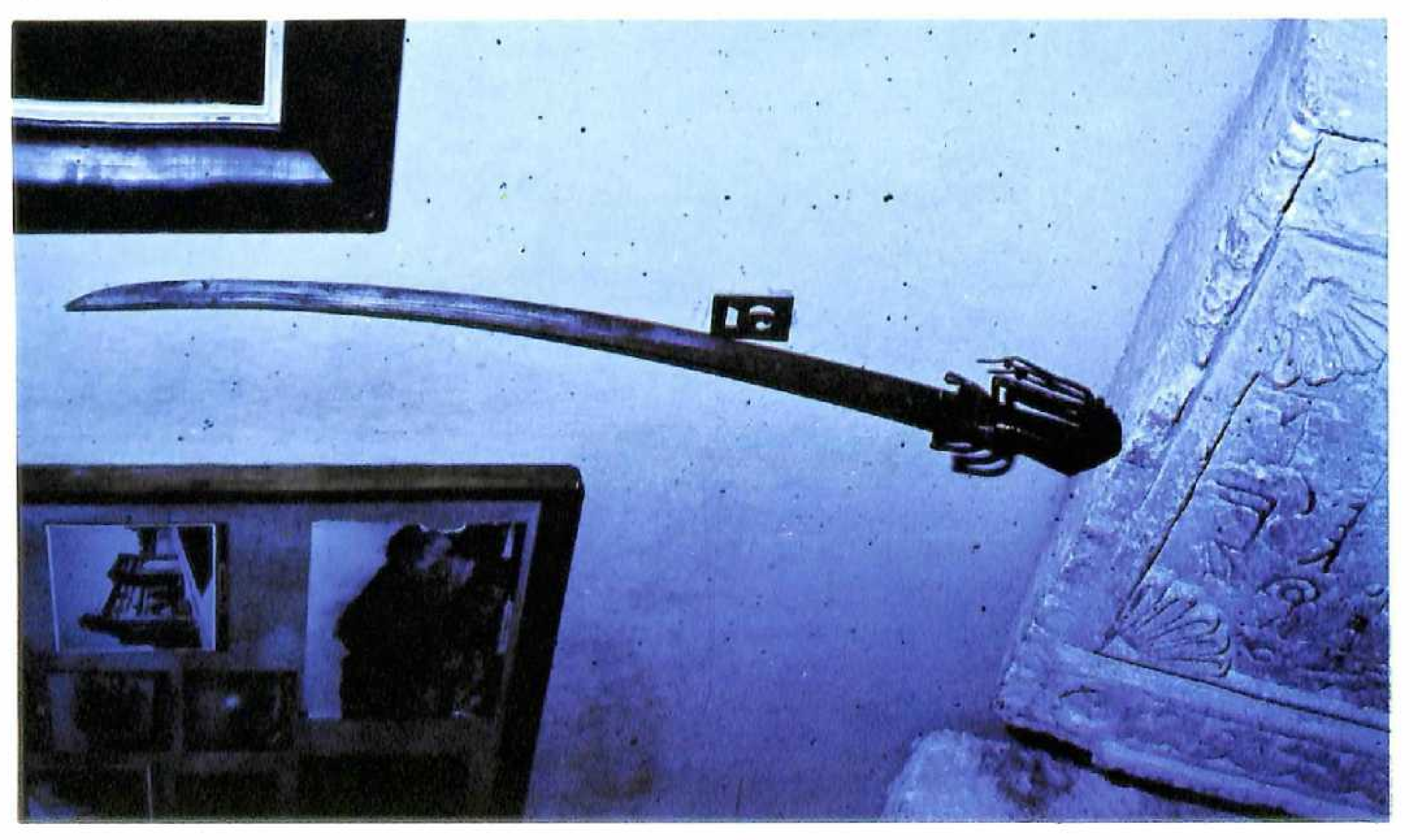
عند وصول الاسبانيين ، غادر معظم المسلمين المدينة . ان عدد السكان الذي كان يبلغ 25000 قبل الاحتلال انخفض وأصبح يساوي 6000 .

فكان المحتلون الجدد ، لا يثقون بالمسلمين ولا يأذنون لهم بالاقامة بوهران وما كان يسكنها باستمرار الا العبيد العائليون وبعض الجنود المساعدين .

كان الأسبانيون يريدون تنصير المسلمين واليهود . فطالب الكونت الكودات ، من أجل ذلك بكنائسيين يعرفون العربية والعبرانية . ولكن جهوده فشلت كما خابت جهود خلفائه ولم يدخل في المسيحية إلّا عدد قليل جدا .

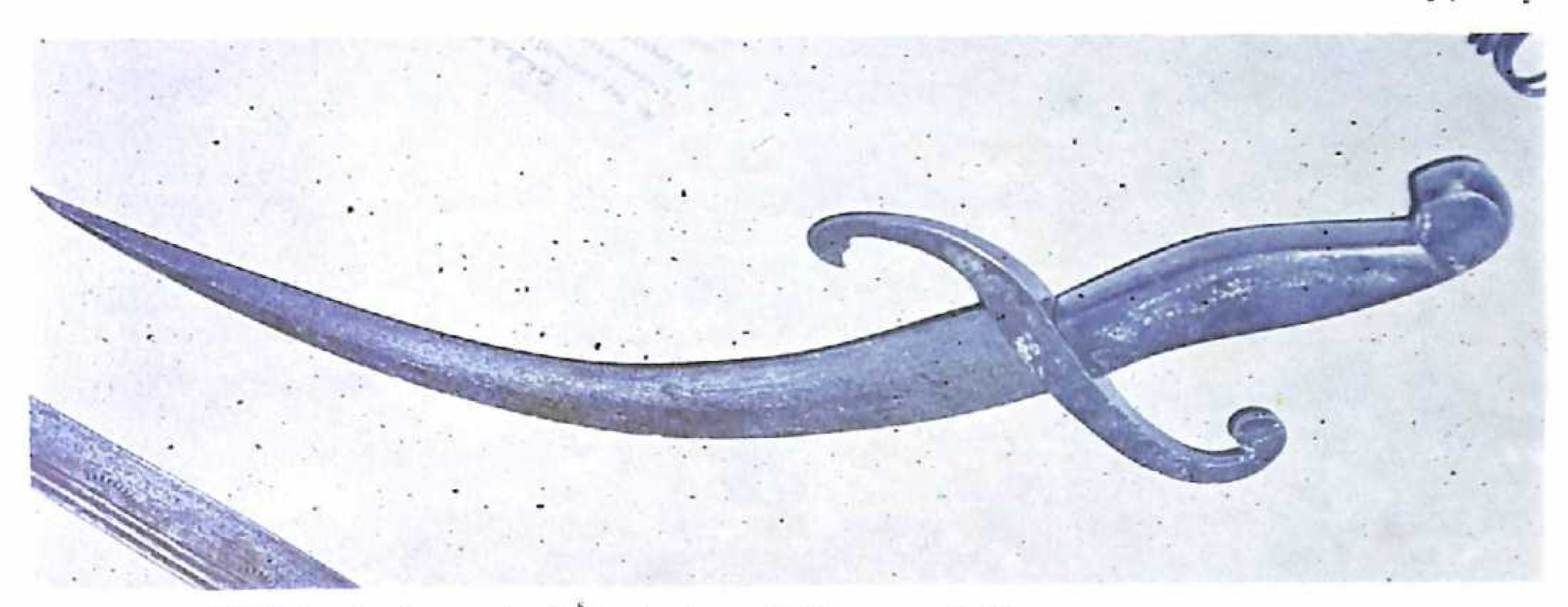
ان فاليخو الذي رغب في البحث عن عدد المسلمين المعتمدين ، استطاع أن يبين ان الاكليري الاسباني كان قد عمّد حوالي ثلاثين مسلما في كل سنة . واضاف الى ذلك انه اكد له ان المسلمين الذين كانوا قد عمدوا قبل أن يبلغوا سبع سنين فقط بقوا يعيشون عيشة كاثوليكيين مخلصين .

سيف اسباني






سيفان اسبانيان



كذلك ، يبدو ان اليهود ما تنضروا أفواجا حتى طردوا سنة 1669 ، من وهران والمرسى الكبير . أما السكان الاسبانيون ، فكانوا يشملون الجنود البالغ عددهم 1500 وموظفين . وابتداء من حكم فيليب الثاني ، انظم إليهم المعزولون والاستوقراطيون الذين فقدوا الحظوة والذين كانوا يعيشون بزهو حتى سميت وهران ، التي كانت ازدهرت بترفها وسناء افراحها ، كورتي شيكا أي بلاط القصر الصغير .

كان على رأس وهران والي معين من طرف الملك كان راتبه يبلغ حوالي 2.495.950 مارافيدي تضاف اليها الهدايا العديدة التي كان يتسلمها من المسلمين عينا أو نقدا بمناسبة امضاء العقود او تسليم ورقات امان ، وجزء هام من غنائم الغزوات .

وكان هذا المنصب محل تنافس شديد حتى كان مثل اسباني يقول : « ملك بقشتالة أووالي بالمغرب » .

في بداية الاحتلال الاسباني كان بجانب الوالي موظف يسمى كوريجيدور لا يخضع الا للملك ومسؤول عن الادارة والتموين والتسيير .

فما لبث ان وقع نزاع بين الوالي والكوريجيدور انتهى بخلع الموظف الثاني .

فأصبح الوالي يتمتع بالسلطة التامة وكان له الحق حتى في ضرب السكة عندما تقتضيه الظروف وهكذا ، في منتصف القرن السادس عشر كانت توجد بوهران دار

السكة حيث كانت تضرب عملة من التنك والنحاس والشبهان تستعمل مؤقتا لدفع الرواتب واشتراء مختلف البضائع . فكانت هذه النقود تجوز حتى خارج المدينة .

وصف فاي في كتابة «تاريخ وهران» البعض منها . فجاء في وجه احداها وسماها قشتالة وليون يعلوهما التاج الملكي وتحتهما الرقم 8 الروماني والعبارة «فيليبوس الثالث » بينما كنا نستطيع أن نقرأ في ظهرها «وهران» والعبارة «اسبانياروم ريكس 1612» .

ولما أساء عدد كبير من الولاة استعمال صلاحياتهم أصبحت المدينة مسيرة من طرف مجلس يسمى لاخونتا ده ريجيدورس مكوّن من ستة مستشارين يترأسه الوالي وكان اعضاؤه المختارون من بين ضباط المعسكر ، معينين لمدة سنة .

وأخيرا انشأ الملك منصب « مينيسترو ده هاسيندا » . فعوض الموظف الذي كان يحتله الكوريجيدور ، شيئا فشيئا .

تلك هي المعلومات التي بلغتنا عن الحياة الاجتماعية والادارية . اما الحياة الاقتصادية فالاخبار التي نملكها عنها متناقضة . فيرى فاليخو ، الذي كتب تقريره في سنة 1774 ، انه أثناء الاحتلال الاسباني الأول ، كانت الأرياف المجاورة تجذب عددا كبيرا من الدواوير التي كانت تخضع للاسبانيين وتعيش تحت حمايتهم من أجل فلاحة الأراضي التي كانت كسبتها باستمرار . ويضيف الى ذلك : « أن العرب كانوا يدفعون كل سنة كمية من الحبوب تحدد بحسب مساحة الأراضي المشغولة وخصبها وكان ملك اسبانيا يقدم كل سنة لكل شيخ من الشيوخ ، مبلغا من المال يناسب عدد الخيم التي كانت تشتمل عليها القبيلة . وزيادة على ذلك كان العرب يموّنون المدينة باللّحم والطيور الداجنة والخشب ومختلف أنواع المأكولات ويبيعونها بأسعار معتدلة جدا . وكان ذلك يسد حاجة الجيش والسكان . وهكذا كانت الخزانة الملكية لا تبعث إلاّ 57000 غرش نقدا لصيانة المدينتين . وكانت وهران تسلم أيضا كميات كبيرة من الحبوب والجلود والشموع وفواكه افريقيا لتجار اسبانيين واجنبيين . ولكن لاينبغي أن نبالغ فيما يخص أهمية هذه المصدرات لأننا ، نحن الاسبانيون ، أمتزنا دائما باهمال مفرط فيما يتعلق بتنمية تجارتنا . »

ويعطينا فاليخو ، من جهة أخرى ، معلومات ثمينة عن الطرق المستعملة بالنسبة الى العرب الذين كانوا يتعاقدون مع والي وهران والمرسى الكبير . وعلى قوله ، الدواوير والقبائل التي كانت ترغب في تجديد ورقة الامان التي كان يسلمها لها الإسبانيون ، كان مفروضا عليهم ان يعلنوا عدد الخيم التي كانت تشتمل عليها . وكانت كل خيمة مضطرة الى دفع ضريبة سنوية تساوي اثنى عشر ريالا من الحبوب . فكانت هذه الضريبة تساوي 1456 ليتر في سنة 1708 ، السنة الأخيرة للإحتلال الاسباني .

وكانت مضطرة أيضا الى قيادة ابناء الشيوخ ورهنهم عند الاسبانيين . فكانوا هؤلاء الآخرين يقيمون بوهران الى أن تدفع الضريبة تماما .

وكانوا يتسلمون منحة يومية لقوتهم تتراوح ما بين 3 و 12 ريالا من نوع بيون

وكان الريال من هذا النوع يناسب الجزء الأربعين من البيون الفضي .

وكان من المفروض تجديد ورقة الامان كل عام ، وكانت صالحة من شهر اغسطس للسنة الجارية الى شهر اغسطس التالي . وفي حوالي شهر يونيو . كان النقيب القائد يستدعي جميع الشخصيات ويقدر معهم محصول الغلة وسعر مكيال القمح والشعير .

فكانت هذه العملية تقع بقصر القصبة بعد مأدبة يقدمها الوالي لممثلي الدواوير والقبائل الذين كانوا قد تسلموا هدايا من قبل . وبهذه الطريقة ، كان الوالي يستطيع أن يفرض ارادته . وبعد ذلك ، كان الوالي يستقبل كل شيخ في مكتبه ، ويدفع له مبلغا من المال يناسب السلطة التي كان يتمتع بها وكمية من تبغ البرازيل .

لما كان المسلمون يجيئون يدفعون الضرائب كانوا يتسلمون مبلغا صغيرا من المال



مسدسان اسبانيان



لمصاريف النقل يتراوح ما بين ريال وعشرة ريالات من نوع بيون يوميا ووصلا يمضي فيه المراقب والمقتصد ووكيل المال .

وحالما يدفع الشيوخ جميع ضرائبهم ، كانوا يتسلمون هدية نقدية قابلة للتغيير وريالا فضيا لكل دوبلون من القمح .

كانت قبائل حميان وشافعي وهبرة ، الثلاث ، التي كانت تعتبر خاضعة لجلالة الملك لا تتسلم عقد حماية ؟ وما كانت تدفع نفس الضريبة ولا تترك رهانة وكانت كل خيمة من خيمها تدفع دوبلون من القمح ولكل مزرعة 145 ليتر من الشعير .

فيقدر فاليخو ، في نهاية تقريره أن وهران استطاعت أن تفرض سلطتها على 140 دوارا وكانت تتسلم كل عام خمسة عشر وستة عشر الف مكيال من القمح وأربعة وخمسة آلاف مكيال من الشعير . ولكن ، كما يضبطه فاليخو ، «ان اخذنا بعين الإعتبار الانعامات والهدايا العديدة التي تقدم للعرب الاشراف والرعية ، وسعر الحبوب المنخفض جدا في هذه الناحية نضطر الى أن نلاحظ ان الخزانة الملكية ، لو اشترتها ، عوض أن تتسلمها في شان ضريبة ، لاصبحت رابحة . وهكذا ، على حسب فاليخو ، كانت الحالة الاقتصادية أثناء الاحتلال الاسباني الأول مرضية . ليس هذا رأي الكونت الكودات الذي كتب في سنة 1595 ان حماية مدينتي وهران والمرسى الكبير من الجوع كانت بالنسبة اليه اصعب من حمايتهما من العدو .

مهما كان الحال ، هناك شيء أكيد وهو ان الاسبانيين غزوا عدة مرات الدواوير التي كانت استقرت بالقرب من المدينة بدون أن تخضع لسلطتهم بصورة رسمية . وكانوا يرجعون منها بالقطعان والأسرى الذين كانوا يباعون جهرا . فكان مبلغ البيع يوزع على الموظفين والجنود والسكان وفقا لقوانين مقررة . وكان جزء قليل منها فقط يدخل في خزانة الدولة .

وذكر فاليخو ان نقباء قادة جسرا بافراط ، قاموا بغزوات من هذا النوع ببواطن البلد ، أما بمعسكر المدينة أو بجنود طلبوهم من اسبانيا ، لنيل المجد أو للحصول على الغنائم أو للهجوم على اتراك الجزائر العاصمة عندما كانوا يجيئون يجبون الضرائب . ويقول في الخلاصة « فكانت النتيجة دائما منحوسة وتسفر عن قتل الآلاف من الجنود » .

وكانت وحدات عسكرية تابعة للقبائل الخاضعة للاسبانيين تساعدهم في غزواتهم . وكان جنودها يسمون موغاتاز . ان هذا الاسم المشتق من كلمة مغاطس العربية ، أطلق عليهم لأن بعضهم كانوا يخطفون الناس ويبيعونهم الى المحتلين . وعلى حسب عبد القادر مشرفي الذي خصص ملخصا للقبائل التي خضعت للسلطة الاسبانية كان اعضاء قبيلة كريستال وصلوا الى ان غطسوا امامهم في الوقت الذي كان لا يأخذ حذره ، وباعوه الى المحتلين .

وان فقدت وهران جزءا من نشاطها الاقتصادي ، فكان نشاطها العلمي منخفضا أكثر . من الجانب الإسباني ، أهم المؤلفات هي : «تاريخ» دياق سوارز ودرامان مؤرخين لسرفانتس ولوب ده فيقا .

كان دياق سوارز جنديا قضى ثلاثين سنة بوهران . فيعطينا معلومات ثمينة عن وهران والمرسى الكبير أثناء الثلثين الأولين للقرن السادس عشر .

فيروي لنا سرفانتس في كتابه « الاسباني الشجاع » ولوب ده فيقا في « حصار وهران » ، حصار حسن باشا لوهران .

كما احتفظنا ببعض الرسائل التي تبادلها ملك اسبانيا وولاة وهران وشيوخ القبائل التي خضعت للسلطة الاسبانية وملك تلمسان .

ومن الجانب العربي ، لانعرف إلا قصيدتين نظمهما عبد الرحمن بن محمد بن موسى : احداهما لتسلية حسن باشا من فشله في هجومه الأول على حصن القديس سوفر والثانية لتهنيته على احتلاله وعكس الجانب الأدبي ، كان النشاط المعماري قويا لأن الاسبانيين ، الذين كانوا محاصرين باستمرار من طرف الاتراك ، اضطروا الى تشييد عدد كبير من الحصون .

إن أهم بناء عسكري لهذه الفترة هو البرج الأحمر الذي كان بناه السلطان المريني أبو الحسن قبل غزوه لافريقية . فاعاد الاسبانيون بناءه والقوا عليه اسم روزالكازار المشتق من العبارة العربية رأس القصر ، لأنه كان مشيدا في الجهة الامامية للميناء .

وفي شمالي المدينة كانت توجد القصبة ، وهي القصبة الإسلامية التي تشرف على المدينة كلها فكانت تحتوي على برجين ودار الوالي ومعبد وسجون ومخازن البارود والذخائر الحربية وثكنة . فكان أحد أبراجها مربعا وغليظا ويطل على الفناء المسمي بفناء العرب وكان الآخر مستديرا ويسمى الكامبانة (الجرس) .

وعلى السفح الشمالي لجبل مرجاجو الذي كان الاسبانيون يسمونه سيلا ( السرج ) نظرا لشكله أسس برج هاشوا (الرصد) في مكان برج إسلامي قديم . فزيد فيه ووضع فيه دون الونسوده كوردوبا ، مدافع في سنتي 1559 ـ 1560 .

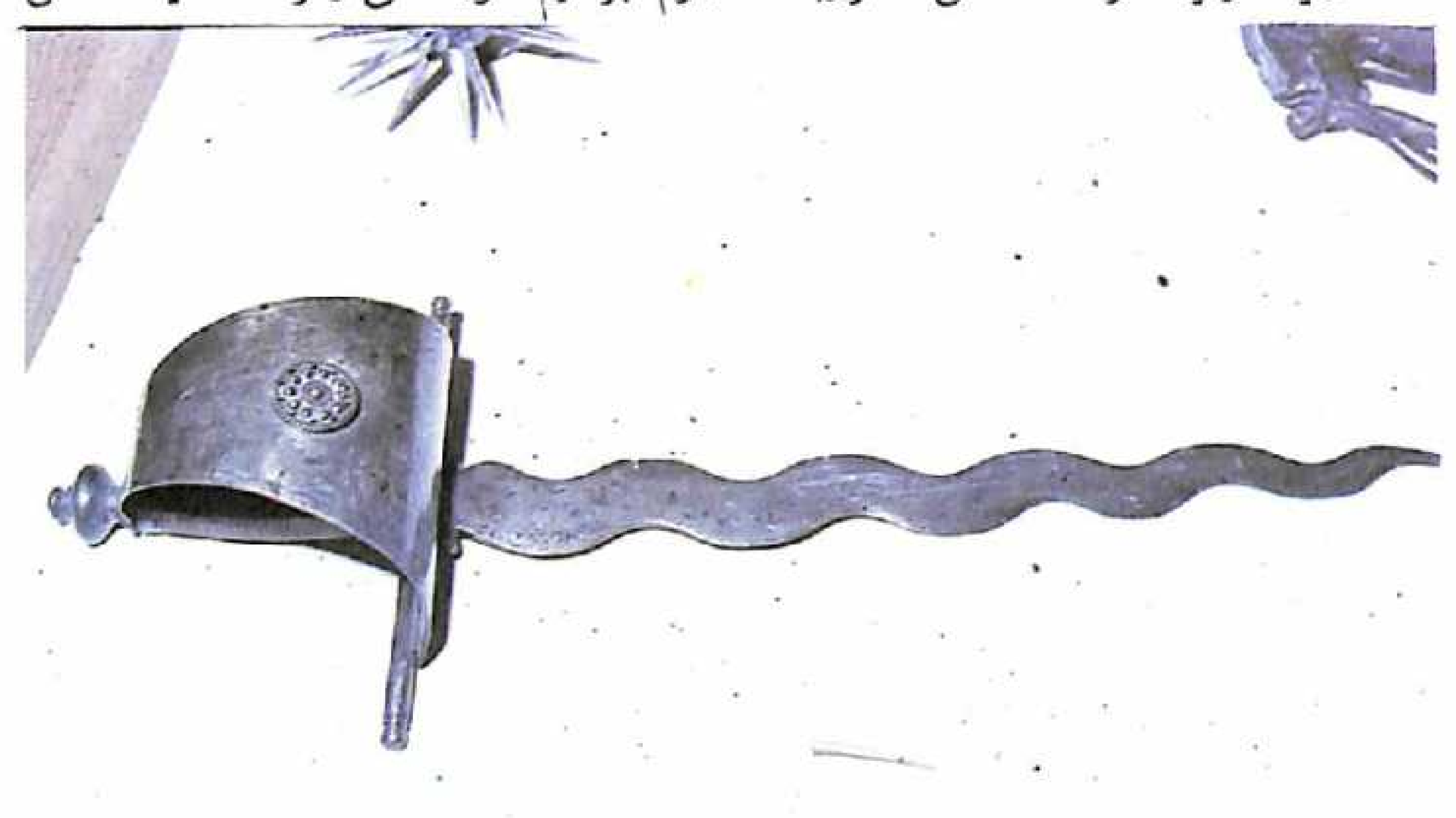
ذكر سواريز ان هذه المباني الدفاعية الثلاثة كانت تدافع عن وهران كما تدافع الدجاجة على فراخها وما كان يستطيع أحد أن يتقرب اليها بدون أن تصيبه نيران مدافعها . هناك حصون أخرى قام المركيز كومارس بتشييدها الحصن الأول هو كاستيو ده لا مونة ( حصن القردة ) الذي القي عليه هذا الاسم نظرا للعدد الكبير من القرود التي كانت موجودة في هذه الناحية . فسماه الفرنسيون قصر لامون والعرب "برج اليهودي ذكرى لخيانة يهودي سلم وهران للاسبانيين في 1509 . فكانت توجد فوق باب ملجأ هذا الحصن ، كتابة تحمل تاريخ 1563 وهو بدون شك تاريخ اصلاح هذا البناء .

أما الحصن الثاني فهو كاستيو ده لوس سانتوس ( حصن القديسين ) . فكان يطل على تلل وأودية وهران . وفي مكانه سيبني حصن القديس فيليب .

أما الحصن الثالث فهو حصن القديسة تيريز الذي شيد شرقي الحصن السابق ذكره ، لمراقبة هضاب كارغنتاه .

وكان الحصن الرابع : حصن القديس فرديناد المسمي بالعربية برج بوبنيقة أو برج رأس العين فكان يحرس ناحية عيون الوادي وكان يقع أمام حصن القديس فيليب .

وفي حوالي القرن السادس عشروبعد هجوم ابراهيم خوجة على وهران ، شيد حصن





خنجران اسبانيان

سانتا كروز ( الصليب المقدس ) الذي يحتل موقعا استراتيجيا كما بينه هونتابات في التقرير الذي قدمه يوم 31 ديسمبر 1772 . فقال : « إن هذا الحصن له أهمية كبيرة بحيث أنه استعمل كمرصد يرى منه سعة البحر وانعطافات الساحل الى المدينة وجزء من ايقواد والمرسى الكبير . فيمكن المدينة من الاتصال بالغرب ويدافع عن حصن القديس غريغوار الذي لا يستطيع أن يقاوم بدونه ويغطي حي الملاحة كله ويضمن العلاقات مع المرسى الكبير . )

وفي سنة 1588 ، شيد الوالي دون بيدرو ده باديًا في مكان برج هاشو حصن القديس غريغوار . وبعد سنة ، قام بأعمال بالقصبة كما تؤكده الكتابة التالية الموضوعة بمدخل القصبة :

«في عام 1589 ، أمر دون بيدرو ده باديا بتشييد هذا البناء بدون أن ينفق عليه جلالة الملك نفقات ما عدا قيمة الخشب . »

وفي أواخر القرن السادس عشر ، جهزت المدينة من جهة الشمال بسور سميك بني ليكون حائطا بين حيطين ودعامة لاتربة الهضاب المقطوع عموديا . ففصل هذا السور بوضوح المدينة عن حيٍّ الملاحة والميناء .

أما المدينة في حدّذاتها ، فكانت تقع تحت القصبة وكانت محاطة بسور ولايدخلونها الا من بابين : باب كاناستل جنوبا وباب تلمسان شمالا .

وكما ذكرناه فيما سبق ، حالما دخل الكردينال كسيمنس في المدينة أمر بتحويل المساجد الى كنائس . فأخذت اثنتان منها اسمي كنيسة سيدة الانتصار وكنيسة القديس يعقوب . .

وما كان برج المرسى الكبير سوى البرج الذ ي بناه أبو الحسن المريني . فاكتفى الاسبانيون باصلاحه .

فكان مستطيل الشكل ومجهزا بخمسة أبراج ضخمة : ثلاثة أبراج مربعة كانت تقابل الميناء وبرج رابع اسطواني ، يسمى برج الجرس ، بالطرف الشرقي ، وبرج الخيانة من جهة البحر . وفي الوسط ، كان يوجد القصر وكنيسة القديس ميخائيل وحوالي ثلاثين بيتا . .

وفي سنة 1563 ، شيد الاسبانيون حصن القديس سالفادور ( القديس سوفر ) . فكان الحصنان مجهزين باثنين وثلاثين مدفعا .

# القسم الرابع

# الوجود العثماني الأول والإحتلال الأسباني الثاني

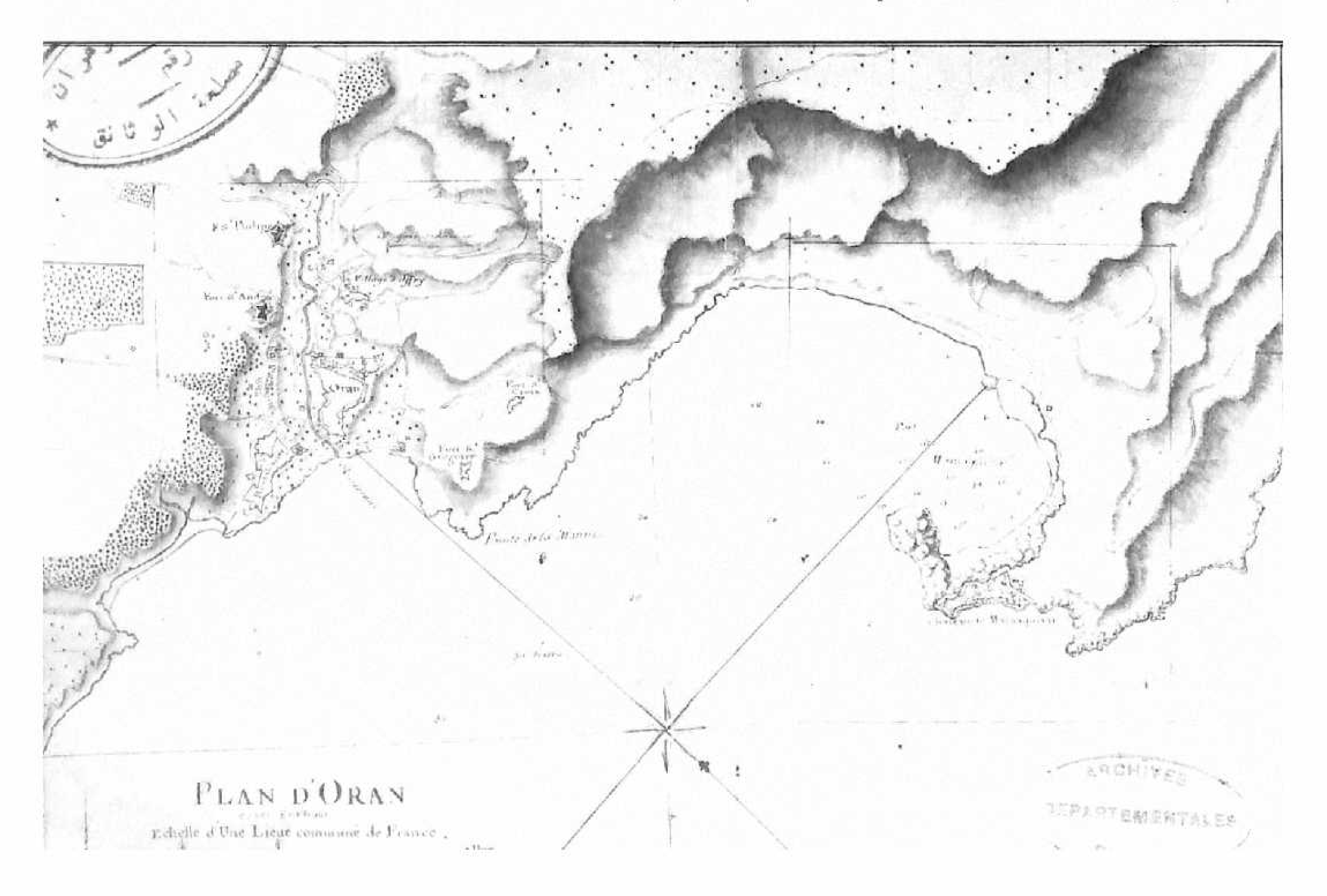
# التاريخ السياسي

بدأ الحكم العثماني الأول لمدينة وهران في عهد داي الجزائر محمد بكداش الذي كان قد غادر مسقط رأسه ، تركيا ، في سنة 1086 / 1675 ورحل الى الجزائر العاصمة حيث دخل في صفوف الجيش الانكشاري . فعين كعلام في سنة 1107 / 1695 ، وكمقتصد في سنة 1112 / 1700 وكرئيس ديوان الانشاء في سنة 1117/ 1705 وكداي في السنة التالية .

وابتداء من السنة الأولى من حكمه قرر محمد بكداش اخراج الاسبانيين من وهران . ويذكر ابن ميمون أن ابن اقوجيل ، احد طلبة الجزائر ، المشهور ايضا كشاعر ، كان وراء اتخاذ الداي لهذا القرار .

فقسم الجيش المكلف بحصار وهران على قسمين : طالعة مكلفة بقطع مواصلات معسكر وهران مع حلفائه الموجودين في بواطن البلد ، انطلقت في أول صفر 1118 / 15 ماي 1706 ، ومعظم الجيش المصحوب باعتدة الحصار ، تحت قيادة خليفة الداي ، أوزن حسن ، الذي غادر الجزائر في 13 محرم 1119 / 17 أفريل 1707 .

أما الداي فرافق الجيش الثاني لبعض الفراسخ ثم خاطبه قائلا : « هذا خليفتي عليكم في كل حال ، فخيرته للنيابة عني في تدبيركم والقيام بالدقيق والجليل من



أموركم وقد رسمت له من وجوه الذب والحماية معالم الرفق والرعاية ما التزم الاستفاء به ، والوقوف بجده عند حده والمسؤول في عونه من لا عون الا من عنده ، ولم اعرفكم من حميد خصاله ، وسديد فعاله الا بما سيبد وللعيان و يزكو مع الامتحان ، و يفشو من قبيلكم ـ إن شاء الله ـ على كل لسان ، وقد امرته ان يكون لنا شئكم أبا ولكهلكم اخا والذي التقويس والكبرابنا ، ما اعتنموه على هذا المراد ، ولزوم الانقياد . وأما من شق العصا ، وبان عن الطاعة وعصى ، فهو القاصي ، ولو مت اليه بالرحم الداني ، فكونوا له خير رعية بالسمع والطاعة في جميع الأحوال يكون لكم بالبر والموالاة خير وال » .

عند ذلك هللت الفرق العسكرية وتوجه الجيش الى وهران . فهجم هجومه الأول على برج العيون ، برج سان فرناندو الاسباني . يوم 14 ربيع الأول 1119/ عند طلوع الشمس وهم يكبرون. فقاوم المعسكر الاسباني مقاومة شديدة لمدة اثنين وسبعين يوما وما استسلم الا بعد ما نسف حسن الاسوار بالمواد المتفجرة . وأسر من الاسبان 545 جنديا .

وبعد تحرير برج العيون ، نقلوا مدفعيتهم الى هضبة سانتون (الولي) للهجوم على برج سانتا غروز وهو برج جبل المائدة المعروف ببرج مرجاجو ، الذي افتتح يوم 27 جمادى الثانية / 25 سبتمبر بعد هجوم واحد لرداءة دفاعه وأسر 106 جندى .

أما الحصن الثالث الذي هوجم ، فهو برج القديس قروقري ( غريغوار ) وهوبرج ابن زهوة الذي قاوم اثناء سبعة وثلاثين يوما وردّ الهجومات العثمانية المستمرة التي اسفرت عن قتل عدد كبير من جنود الجمعين . لأن هذا الحصن كان مجهزا بعدد كبير من المدافع . ومثل حصن القديس فرد يناند ما فتح الا بعد ما لغمه حسن وفتح فيه ثغرة واسعة ، في 15 شعبان / 12 اكتوبر.

ثم هجم الجيش على حصن لامون (حصن القردة ) وفتحوه بعد ثلاثة أيام .

وبعد ما احتل حسن اوزن الحصون الرئيسية التي كانت تدافع عن وهران ، هاجم المدينة نفسها . فهجم هجومه الأول على الأسوار الشمالية . ففشل . فقام حسن أوزن فورا بهجوم ثان وأمر برفع الأعلام وضرب الطبول ووضع السلالم على الأسوار ومع نيران مدفعية العدو هجم جنوده على المدينة واحتلوها في شوال 1111 / يناير 1708 . فاخمد فتح وهران معنويات الاسبانيين . واستسلم قائد القصبة هو وجنوده الذين كان يبلغ عددهم 560 .

ثم كان دور البرج الأحمر (روز الكازار) الذي استسلم بعدما نفدت ذخيرته الحربية . فأسر جميع جنود المعسكر البالغ عددهم 540 .

أما حصن المرسى الكبير ، فهجم عليه برًا وبحرا ، ووضع المحاصرون أربعة الغام . وفتحوا ثغرة هجم منها الجنود . وفقد الاسبانيون فيه ثلاثة آلاف جندي .

تلك هي المراحل الرئسية لفتح وهران من طرف حسن اوزن الذي ساهم معه في هذا الغزو باي معسكر ، مصطفى المعروف ببوشلاغم عند العرب ، وبيغوتيوس

(شارب قصير) عند المسيحيين .

وبعد فتح وهران ادخلت هذه المدينة في بايلك الغرب الجزائري واصبحت عاصمة . بعدما تولى بوشلاغم على هذه المدينة رفض أن يسير الى الجزائر ليسلم الدنوش وهو الضريبة التي كان يدفعها عادة بايات بواطن البلد مرة كل ثلاث سنين وذلك رغم أوامر الداي المكررة . فلم يتجرأ الداي على أن يجبره قهرا على زيارته بحيث ان الضريبة كانت تسلم بانتظام من طرف خليفة الباي .

استطاع بوشلاغم أن يحافظ على منصبه أثناء أربعة وعشرين سنة الى ان طرده الاسبانيون . قلنا من قبل انه ليست لدينا إلا معلومات قليلة عن الاحداث السياسية التي عاشتها وهران خلال الفتح العثماني الأول . ولنا ، من حسن حظنا ، اخبارا كثيرة عن الاحداث التي وقعت أثناء الاحتلال الاسباني الثاني الذي امتد من 1732 الى



شاهد من العهد العثماني

1771 ، وذلك بالاخص بفضل المركيز طبالوسوس الذي الّف كتابا ممتازا عن « تاريخ وهران » .

إن أول حدث هام لهذه الفترة كان ، طبعا ، احتلال وهران من طرف الجيوش التي كانت تحت قيادة الدوق ده مونتا مار في سنة 1732 .

كانت هذه الجيوش تضم 22500 راجل و 1676 فارسا و 1700 دراقون (والدراقون هو جندي راجل وفارس) وكتيبه من ادلة وهرانيي الأصل . وكان تحت تصرفها 108 مدفع و 60 مدفعا قصيرا و 12000 بندقية معدة للتغيير و 76420 قنبلة 80690 كورة للمدافع و 50000 مفرقعة يدوية و 1522 قنطارا من البارود و 1400 بغلة للمدفعية و 150 دابة و 400 بقرة و 1576 كبشا .

فكان الأسطول تحت قيادة دون فرانسوا كورنيخو الذي كان على متن « القديس فيليب » ويحتوي على 525 مركبا منها 12 سفينة حربية مجهزة بـ 720 مدفعا .

أقلع هذا الأسطول يوم 15 يونيو وما ارسى في خليج وهران الا يوم 28 . وقد وقع النزول بايقواد على نحو فرسخ واحد غربي حصن المرسى الكبير . فحاول بعض الجنود المسلمين ان يقاوموه . وكانت معظم الجيوش التي تدافع عن وهران تحتل قمة التل بينما كانت فصيلة مكونة من 2000 جندي تهجم على الجناح الايمن للجيش الاسباني ونزلت تلا صغيرا .

وفي صباح يوم 30 يونيو ، بدأ الأسبانيون بناء حصن بسفح جبل سانتون لحماية نزول الاعتدة الحربية وحراستها . فحاربهم المسلمون .

وفي يوم أول يوليو ، أخبر قنصل وهران الدوق مونتمار بأن الباي كان قد غادر المدينة الخالية من السكان . وفي الغد احتل المرسى الكبير . فاستسلم معسكره المكون من 100 جندي . فاستولى الاسبانيون على 138 مدفعا و 7 مدافع قصيرة وعدة سفن حربية وكمية هامة من المؤن والاعتدة الحربية ، فاحتفلت اسبانيا بفتح وهران المرسى الكبير فرحا شديدا ، وبالعكس فقد اعتبره الأتراك وسائر السكان المسلمين مصيبة شنيعة حدثنا عنها أبوراس في الابيات التالية :

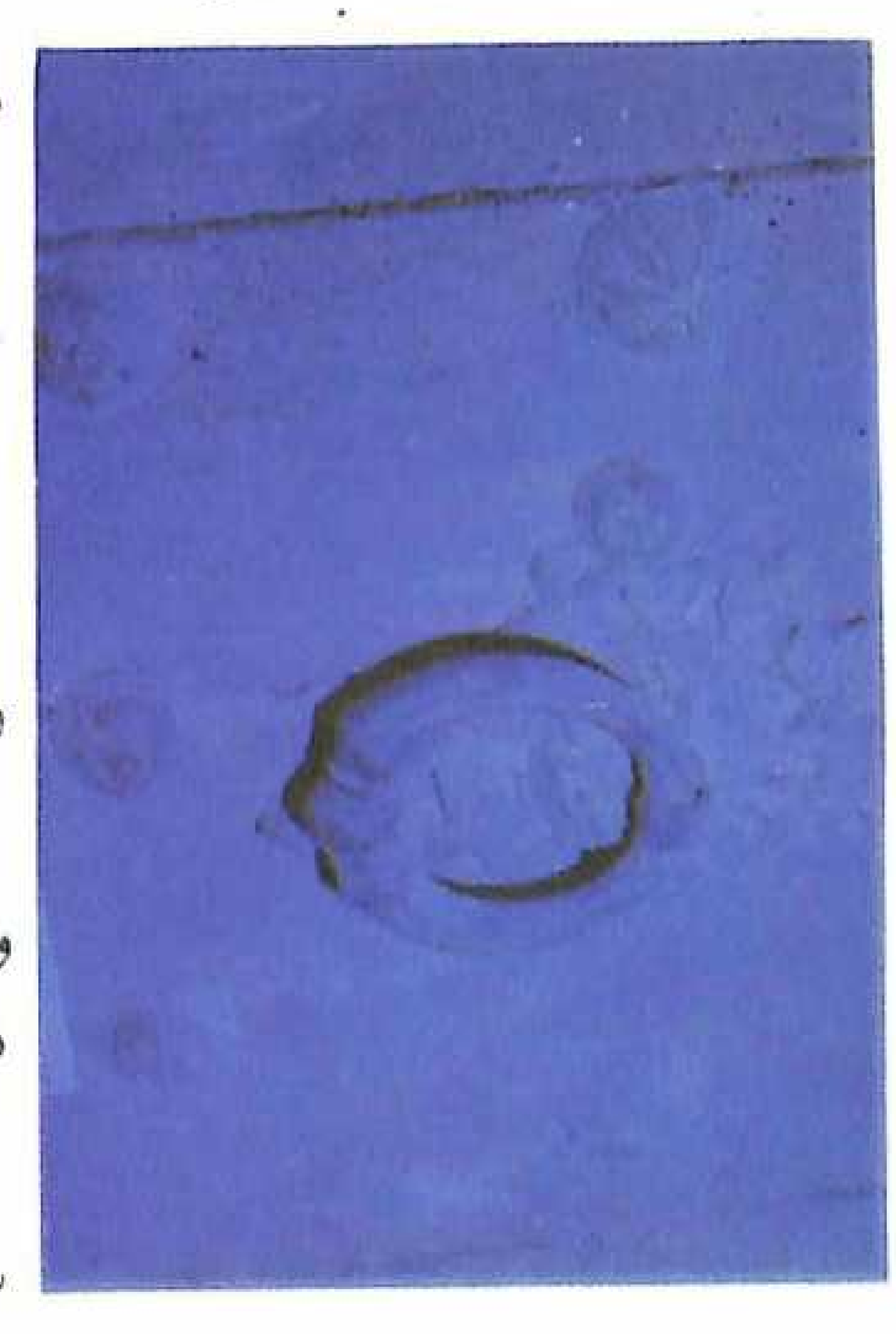
| | |
|---|---|
| « وعاث ذلك ببطحتـــها مجتلبـــا | علينـــا لم يبـــل بنا مكثر الدفـــس |
| ورج ارجـــاءهـــا لمـــا احـــاط بهـــا | فغـــادر الشـــم من اعلامهـــا طمـــس |
| كانهـــا مـــا حوت شمسا ولا قمـــرا | لم يدر في النـــاس والعالي من الندس » |

كما استطعنا أن نبين فان الاسبانيين لم يلاقوا صعوبات لفتح وهران والمرسى الكبير ولكنهم لاقوا صعوبات أكثر جمة للاحتفاظ بها .

ففي سنة النزول نفسها عاني المركيز ده سانتاكوز الامرين بعد المعارك العنيفة التي واجهها ، فحاول أن يخرج من المدينة في 700 جندي ، وضباط ممتازين ولكنه قتل . فكان للاسبانيين في ذلك اليوم 561 قتيلا و 1553 جريحا .

وفي السنة التالية فقد المركيز ده فيلا ارياس ، الذي قد كان خلف المركيز سانتا كروز في ظروف مماثلة اكثر من 800 جندي ، وعزل . لذلك اضطر نائبه دون

جزء من باب من العهد العثماني



جوزيف فاليخو الى اتخاذ قرار بعدم تعريض جنوده للخطر مهما كانت الظروف منكبا على تحصين المدينة .

واضطر خليفته دون جوزيف ده ارامبورو ، الى القيام ببعض الغزوات كللت بالنجاح ماعدا غزو ريوسالادو ( وادي الملح ) حيث قتل جنديان واسر 102 جندي من جنوده .

وفي سنة 1742 ، عين دون اسكندر ده لا موط على رأس وهران والمرسى الكبير . وبعد أربع سنين لجأ الباي أحمد موسى الربيع الى وهران حيث استقبل بإكرام كبير . ومنها ركب سفينة وتوجه الى سبتة ليطلب مساعدة باي مكناسة ثم الى قرطبة . ففشلت مساعيه ورجع الى وهران فقادته بارجتان الى الميناء الاقرب من تلمسان حيث كان له اتباع .

توفي دون اسكندر ده لا موط في يوم 31 ديسمبر 1748 . فشيعت جنازته في كنيسة وهران الكبيرة ثم نقلت جثته الى اليكانت .

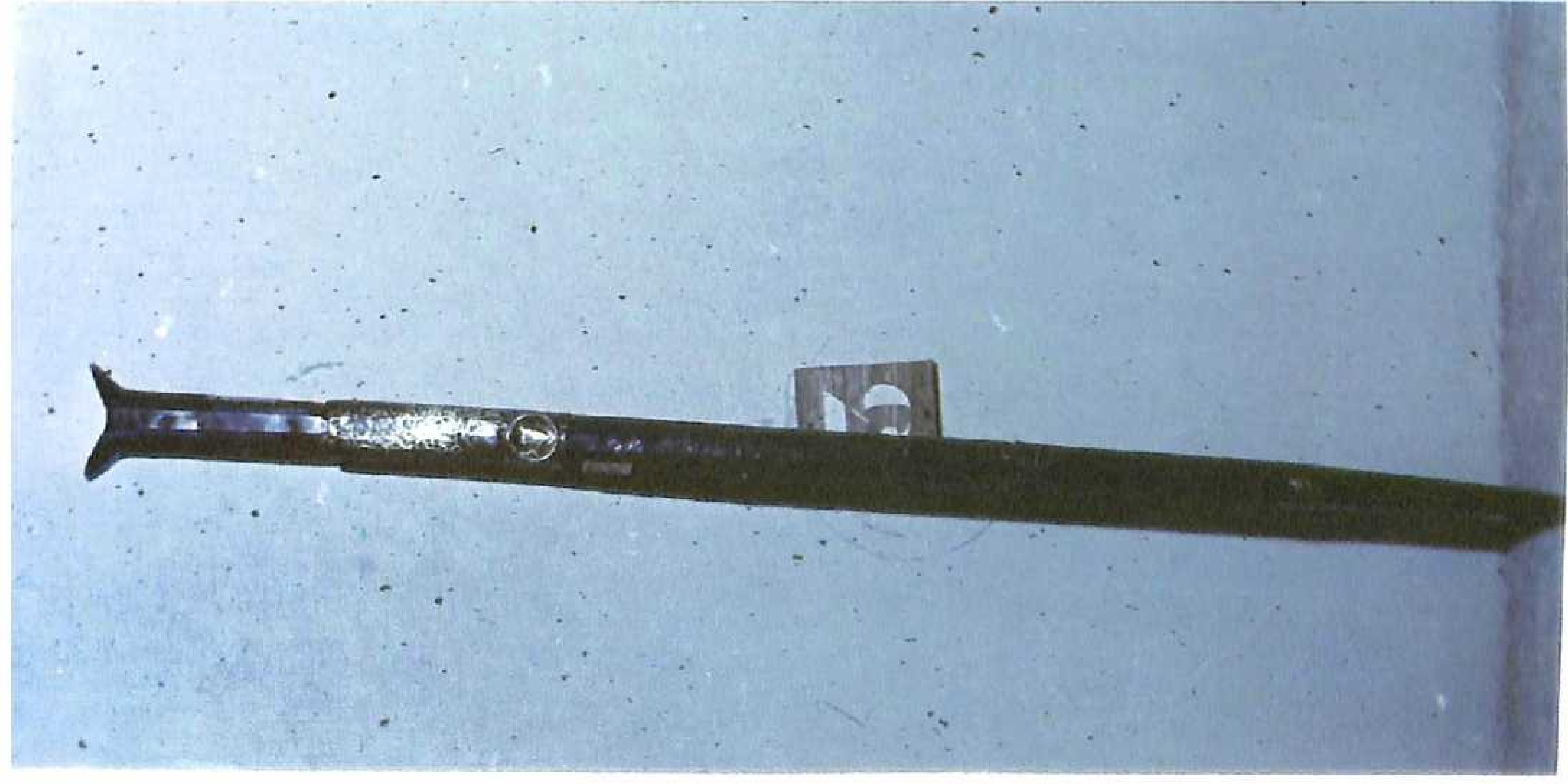
ووصل خليفته دون بيير ده ارقاين في يوم 24 فبراير 1749 الى وهران وعند وصوله أخذ اجراءات صارمة لا رجاع النظاموالتأديب ووضع حدا لهرب الجنود . ولكن لما زادت هذه القرارات الطين بلة ، أظهر دون بيير ده ارقاين لطافة كبيرة . فعفا عن الذين كان قد حكم عليهم بالاعدام ، وهذا ما أدى الى انخفاض عدد الهاربين من الجندية . وفي عهده وقعت معارك عديدة بين الاسبانيين والاتراك . ومن جهة أخرى في سنة 1751 ، منع مرسوم ملكي المنفيين الذين تمت مدة نفيهم من الاستقرار بوهران ، هذا ما اضطر عددا كبيرا من العائلات الى الرجوع الى اسبانيا .

وفي سنة 1752 ، عين دون جان اسكواقاز واليا على وهران والمرسى الكبير . وتميزت إقامته بهاتين المدينتين بوباء طاعون ومعركتين مع الاتراك واجراءات صارمة أخذت ضد السراق والهاربين من الجندية . فحكم على الاولين بالجلد بينما كان يشتري الهاربين من الأتراك ثم يشنقهم .

وقعت معارك عنيفة بين دون جان مارتين زرمنو الذي حكم وهران ابتداء من 1758 والاتراك وانتهت لفائدته . وفي عهده سلم حسن باشا ، باي الريف ، نفسه للاسبانيين لانه كان قد هدد بالموت . ومن وهران قصد اسبانيا ثم نابولي حيث ركب سفينة متوجهة الى استنبول . وهنا تجدر الملاحظة الى أنه ليس هناك قضايا هامة تذكر عن حكم كريستوف ده كوردوبا (1765 _ 1767) . عكس ما تم ، في عهد خليفته حيث وقعت معارك عديدة بين الاسبانيين والاتراك .

قام دون اوجان ده الفارادو ، الذي عين على رأس وهران والمرسى الكبير في سنة 1770 ، بتشييد عدة حصون وجهز هاتين المدينتين بدفتر تشخيص الأراضي . فاحسن اختيار مساعديه واستعمل قابلية المنفيين . فانشا مدارس لتكوين الجنود الأشبال والرقباء والعرفاء ، وحول كتائب المغاطس ، الجنود المسلمين الذين كانوا في خدمة الاسبانيين ، الى وحدات منظمة . فوقعت معارك عديدة بينه وبين الاتراك .

وفي عهد دون بازيليو قاسكون الذي سمي في 9 ماي 1790 كان الحدث



الرئيسي الزلزال الذي وقع في يومي 8 و 9 اكتوبر والذي وصفه ابن سحنون وصفا شديد التأثير : .

« وقعت الزلزلة ليلة السبت الأولى من صفر بعد مضى سبع ساعات ونصف من الليل . ولما كان الوقت المذكور ، ارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت منها البيوت واضطربت السقوف اضطرابا قويا فازعج الناس من مضاجعهم داهشين ، ودام ذلك دقائق عدة ثم انقطع نحو الساعة وعاد كذلك . واستمر الحال مرة بعد مرة فأصبح الناس من ذلك في هول عظيم واشتغلوا بالتحدث عنها وكيفية شعورهم بها وما شاهدوا من هولها ... فمادت بهم الأرض وسقطت الدور على أهلها . فخرج الاحياء منهم من بين جريح وكسير وأكثرهم عاري العورة لا يستره شيء . فاجتمعوا ببراح متسع في وسط المدينة رجالا ونساء عرايا حفاة لايعقل أحدهم جليسه من الدهش وقد مات أميرهم وأهله . فلما أصبحوا سلموا في الدور وما فيها وخرجوا جياعا الى الفضاء الذي بين الابراج حيث لابناء يخافون من سقوطه . فبقوا هنالك حيارى سكارى من الفزع والزلزلة تعتورهم مرة بعد مرة فتزايد فزعهم ودورهم مع ذلك تتناثر مرة عقب أخرى ... وقد كان أمر هذه الزلزلة بوهران وما والاها اشد منه في سائر البلاد حتى ان العيون العظام التي لم تغر قط . غارت بسببها ولم يجر ماؤها أياما عديدة ، ثم انها لما ارسلت فارت بماء أحمر على صفة الدم» غير أن الحصون والاسوار سلمت ولم تتضرر الا قليلا .

بعد هذه المصيبة ، بدأ محمد الكبير هجوماته على وهران وقد كان الزلزال عاملا مهما في استسلامها .

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية
## النشاط المعماري

يزعم فاليخو ان وهران كانت لا تحتوي أثناء الحكم العثماني الأول إلاّ على 400 بيت .

ويضيف : « زيادة على ذلك ان مدينة وهران كانت صغيرة ، ذات بيوت متدنية، وهي أقرب الى الاكواخ منها الى البيوت . ان معظمها ابناه العرب منذ عهد قريب وبمواد بناء رديئة .. لذا فنحن لا نضرب بالمدافع الا عند الحاجة تجنبا للاضرار التي يمكن ان يحدثها ضجيجها هنا وهناك . »

ولقد ازداد عدد سكان وهران خلال الاحتلال الاسباني ازديادا ملحوظا بسبب العدد الكبير من العسكر الذين كانوا يسكنونها .

وتشير الاحصائيات الى ان وهران كان يسكنها في سنة 1738 حوالي 8947 نسمة موزعين كالتالي :

1000 ساكن مدني و1635 منفيا ، و757 مسلما خاضعا للاسبانيين و5555 جنديا.

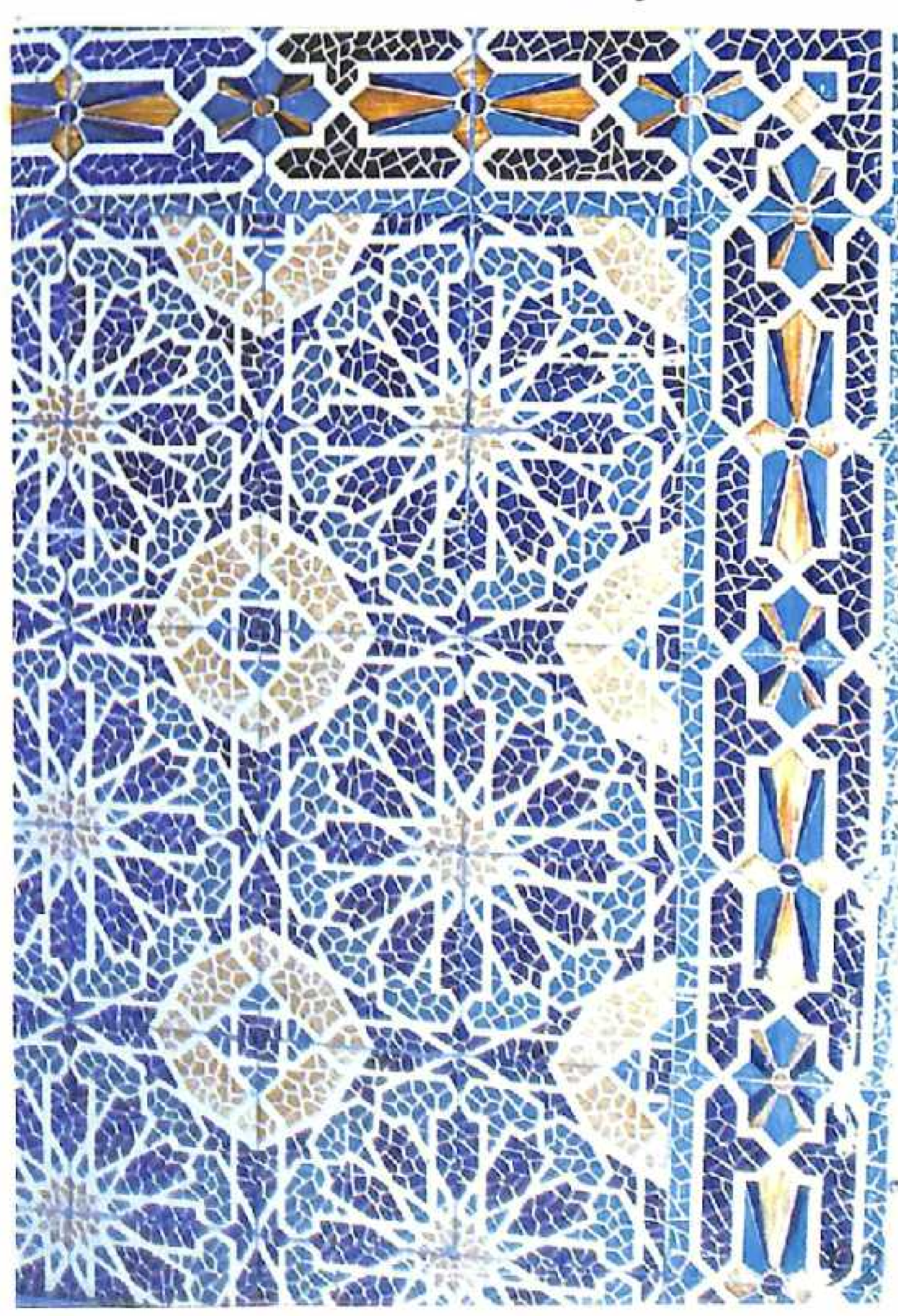
وفي سنة 1770 ، بلغ عدد السكان 9581 منهم 2377 ساكنا مدنيا و 2821 ساكنا منفيا و4383 جنديا . في هذه الفترة ، انخفضت الموارد الفلاحية كما انخفض النشاط التجاري . وبعد مافتح الاتراك وهران ، اكبوا على تنمية فلاحتها . وهكذا ، ذكر ارامبورو في تقريره ان الباي بوشلاغم احتل أرضا واقعة على فرسخين غربي المرسى الكبير ، كان صاحبها أحد سكان هذه المدينة اسمه دون خير ونيمو ، غرس فيها اشجار الزيتون مساحة يبلغ طولها نصف فرسخ وعرضها 1200 قدم لانه وجد بها عينا كانت كمية مياهها تساوي كمية مياه عين وهران . وبجانب ذلك أنشأ « من منبع العين الموجود في الوادي الذي يكون سيل هذه العين . بساتين يقرب عرضها من نصف فرسخ . غرس فيها اشجار الفواكه من كل نوع . كما حفر غدير لسقي أرض موجودة بالسهل يبلغ طول ضلعها فرسخ . حيث كان يزرع القمح والشعير .

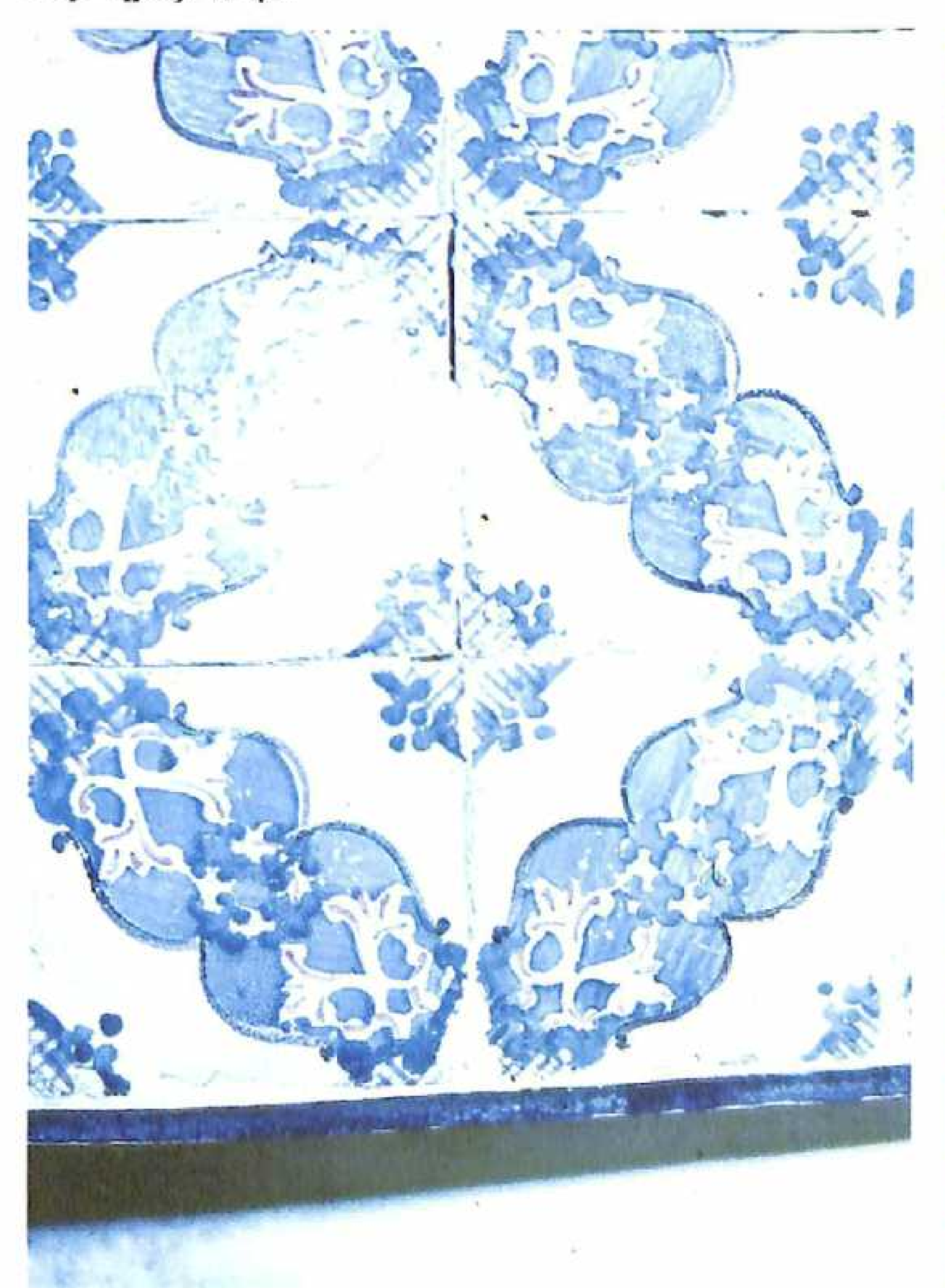



خزف من العهد العثماني



كتابة تذكر تشييد طيقان







خزف يزين جامع الباشا

ولكن أثناء الاحتلال الاسباني الثاني ، قطع الاتراك اشجار الزيتون والفواكه ليصنعوا منها خنادق .

كما تركت أراضي أخرى ، كانت من قبل مزروعة من طرف القبائل الخاضعة للاسبانيين فقد غادر قرية كا نا ستل التي كانت تحتوي على 300 بيت ، سكانها أثناء حصار سنة 1733 بأمر من الباي مصطفى بن يوسف لانه كان يظن انهم كانوا يميلون الى الاسبانيين . .

لذلك ، ما بقي لأهل وهران الا موارد المدينة نفسها .

ففي الجزء العلوي لجبل المائدة ، كانوا لايستخرجون الا كمية قليلة من الخشب والعشب . بالعكس . كانت لهم . لحسن حظهم . عين محسنة .

كانت هذه العين تنبع على مسافة كيلو متر ، بسفح برج القديس فرديناند الذي بني ، بالاخص . لحمايتها وكانت تمون بالماء المدينة كلها .

كانت تسيل في واد خاصب . ضفتاه مغطاتان بالبساتين والحدائق وكما ذكره فاليخو كانت هذه الأراضي المسقية على هذا المنوال . خصبة جدا الى ان « البقول كانت تنبت في أيام قليلة بسرعة لا تصدق وكانت جيدة . كثيرة حتى كانت تسد حاجة معسكر وهران الحفيل .

ومن جهته تأثر . شاو . الذي زار وهران في سنة 1743 . من عين وهران والوادي الذي تسقيه تأثرا كبيرا . فقال : « في أعلى الوادي وعلى ثلاثة علوات من المدينة توجد عين ماؤها عذب . يسف قطرها على قدم . ان الجدول الذي يخرج منها يسيل تابعا

لمنعطف الوادي مارا تحت أسوار المدينة ويمونها بمياه كثيرة . وهذا الوادي ملآن باشياء فاتنة مثل الهوى المكونة من الصخور حيث تسيل نطاف ، والزارع المغروسة باشجار البرتقال الخ ... التي تكون منظرا عجيبا وخلوات لذيذة لبرودتها .

واخيرا كتب الكردينال سيسنيروس ، بعد احتلال وهران الى اصدقاء من طليطلة يقول : «إن المدينة التي كان فتحها بها بساتين تشابه بساتين الفردوس الارضي» وجاء في خلاصة التقرير الذي بعثه نائب القنصل ديدو . في سنة 1728 : «بالامكان ان يستخرج ومن وهران في كل سنة ، 4000 قنطار من الصوف و 300 قنطار من الشمع وبين 12000 و 15000 جلد من جلود البقر بوبرها وبين 8 و 10 شحن زورق من القمح والشعير والفول والحمص . ان باي وهران الذي يعتبر مستبدا يطالب ضريبة الخروج . أما البضائع التي يمكن حملها من البلدان المسيحية الى وهران ، فهي نفس البضائع التي تحمل الى الجزائر العاصمة وهي اجواخ مدينة البوف ونسج مدينة لا فال واقمشة ، من الحرير والكبريت والشب وقضبان الحديد وكمية قليلة من العقاقير . فيأخذ الباي ضريبة تساوي 10 / 100 على كل ما يدخل في المدينة . »

لكن الوضعية تدهورت اكثر أثناء الاحتلال الاسباني الثاني . فكتب فاليخو بعد ما بين ان السكان المسلمين الذين كانوا قاطنين حول وهران ، أصبحوا أعداء للاسبانيين :

«ولكن فلنفترض مع ان هذا قليل الاحتمال ، ان العرب يقبلون الخضوع لنا وانهم مثلما فعلوا في الماضي ، يعاهدونا بزراعة الأراضي ودفع الغرائم المناسبة والضرائب وبأن يتاجروا معنا . ان الفوائد التي نحصل عليها في هذه الحالة لا تساوي النفقات التي نحن مجبورون عليها لسد حاجة معسكر حفيل والدفاع عن قلاع المدينة والاحتفاظ بناحية من نواحي افريقيا . وذلك لان المصدرات تقتصر على طونات من الحبوب وكمية قليلة من الشمع والصوف بحيث ان معظم المنتجات توجه من طرف الاجانب الى الموانى المغربية الأخرى . ومع ذلك فعلينا أن نبقى في هذه المدينة لأن ذلك يحلو لنا ولكننا لا نحصل ابدا من هذا الفتح عن فائدة ولو صغيرة . فتبقى هذه المدينة حملا غير مفيد لمملكتنا . »

ولاحظ هونطابات من جهته :

« مادامت وهران ليس لها منتجات تصدرها ، فلا تتمتع الا بتجارة مديونة يقوم بها الاسبانيون من مالقه الى برشلونة وبعض الاجانب من مرسيليا وجبل طارق وميناء ما هون .

وفي الميدان العلمي كان أهم كتاب الف في الفترة العثمانية الأولى هو كتاب ابن ميمون الجزائري ، « التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية .

في هذا الكتاب ، بعدما ذكر المؤلف المناصب المختلفة التي شغلها محمد بكداش يحدثنا عن هيئته واخلاقه وعن التهانيء التي قدمت له بمناسبة توليته كداي الجزائر . ثم يروي لنا تاريخ وهران في عهد الاسبانيين ومراحل فتح المدينة من طرف الاتراك .

أما فترة الاحتلال الاسباني الثاني ، فيشير اليها كتاب عن تاريخ وهران ، الفه

المركيز طابا لوسوس وبيان وتقرير حررهما دون خوزيف فاليخو وتقريرين حرر احدهما دون خوزيف ده ارمبورو والآخر دون هرنالد وهو نطابات .

يحتوي الكتاب الأول على قسمين . القسم الأول الذي يمتد من 1505 الى 1708 ، قليل الفائدة بينما يفيدنا القسم الثاني بمعلومات ثمنية عن الأحداث الرئيسية التي وقعت بوهران أثناء الاحتلال الاسباني الثاني .

في بيانه عن حالة وقيمة مدينتي وهران والمرسى الكبير ، الذي كتب في بداية سنة 1734 يعطينا دون خوزيف فاليخو معلومات ممتعة عن المباني التي شيدت وعن قبائل مملكة تلمسان الرئيسية وعن العلاقات التي كانت تربط ما بين الاسبانيين والمسلمين بينما يعلمنا ، في تقريره بالتحصينات التي قام بها الاسبانيون بين 1734 و 1738 ، وبالمباني التي شيدت أو اصلحت في هذه الفترة .

ان تقرير دون خوزيف ده ارمبورو ، الذي حرر في 25 يناير 1745 يعطينا وصفا دقيقا عن بواطن البلد والقبائل التي كانت تعيش فيها .

أما تقرير دون هرنالدو ده هو نطابات ، الذي حرر في 31 ديسمبر 1772 ، فيحتوي على وصف دقيق لجميع المباني التي اصلحت أو نظمت أثناء الاحتلال الاسباني الثاني .

ولئن عرفت وهران أثناء الفترة التي ندرسها انحطاطا في الميدان الاقتصادي ، فانها بالعكس كانت مقرا لنشاط معماري كبير .

فقد شيد الباي بوشلاغم أثناء الاحتلال العثماني الأول قصرا جميلا يحتوي على سبع وثلاثين غرفة وفناء وبستان بصهريج . وقام أيضا ببناء مخزن بقيت منه الكتابة المعروضة بمتحف وإهران والتي جاء فيها .

« الحمد لله وحده أمر ببناء هذا المخزن المجاهد بن سبيل الله مصطفى باي بن يوسف عام 1133 » .

وذكر فيه ان هذه الكتابة كانت تزين أحد الجدران التي كانت تحيط بفناء من الأفنية . وهناك كتابتان اخريان نقلتا من طرفه أيضا . تذكر كلاهما بناء حمام من قبل الباي بوشلاغم . كانت الأولى تزين جدارا يحيط بفناء غير الفناء الذي سبق ذكره . وهذا نصها :

الحمد لله

ان المجاهد في سبيل الله

**السيد مصطفى باي بن يوسف**

**أمر بتشييد هذا الحمام في سنة 5 . 11**

والواقع ان هذا الباي تولى الأمر بالمدينة من 1119 / 1708 الى 1143 / 2371 ، والتاريخ المذكور في الكتابة اما 1125 / 1713 . واما 1135 / 1722 ـ 1723 .

أما الكتابة الثانية فكانت تزين أحد الجدران التي كانت تحيط بفناء ثالث

وجاء فيها :

الحمد لله

ان المجاهد في سبيل الله

السيد مصطفى باي بن يوسف

أمر ببناء هذا الحمام في

شوال من سنة 11.3

والتاريخ المذكور في هذه الكتابة هو اما 1123 / 1711 واما 1133 / 1720 فكان النشاط المعماري أقوى أثناء الاحتلال الاسباني الثاني . وهذا راجع الى الازدياد الملحوظ لسكان المدينة والى هجومات الاتراك المستمرة .

فارتفع عدد البيوت من 400 الى 532 وبلغ عدد المباني العمومية 42 .

وعلى قول هو نطابات كان الثغر يحتوي على القصبة والمدينة نفسها وربض الملاحة . كانت القصبة مقرا لقائد المدينة والموظفين . فكنا نجد فيها ، بجانب قصر القائد ، بيوت وزير الجمارك ومراقب المالية وأمين المال ومصلحة المدفعية والمعبد الملكي ومخزن الاسلحة ومخازن المؤن والاعتدة الحربية ومخزن الدقيق وصيدلية الملك ، ومسجداً قديما وتكنتين كانتا تستطيعان أن تستقبلا فيلقين من الجنود الرحالة الاوهما : ثكنة الملك وثكنة القديس يعقوب .

وكانت المدينة نفسها منظمة حول ميدان لتمرين الجنود ، الواقع في مكان مقهى اللؤلؤة الحالي حيث كنا نجد حرس القصر وجزارات جميلة ومحالات تجارية ودار ادارة التبغ ودار مراقب المدفعية وأمين المال ومخبز الجنود الذي كان يحتوي على ثلاثة افران لخبز خبز الجنود المحكوم عليهم ، والمستشفى الملكي الذي كان يحتوي على 50 سريرًا وثكنات خصصت ست منها للمنفيين .

وفي ربض الملاحة كان المخزن الرئيسي للمؤن ومخزن التبن ومخزن الملح ومصلحة الجمرك الصغيرة حيث كان يوجد الجابي ومخزن نقيب الميناء ومخزن ملابس الملاحة ومخزن القديس سيباستيان للشعير ، ومخزنين للزيت وكنيسة الملاحة ومحط الخشب ومعمل القرميد الملكي ومحرس رصيف الميناء ، ومحل لوازم البناء الذي كان يشتمل على فرن للجير وفرن للجص ، ودار حارس محال الملك ومحرس المخازن ومحلين للخشب وأربعة مطاحن خاصة بطحن حبوب الملك : المطحنة الصغير في طرف وادي العين والمطحنة الكبيرة بجانب المطحنة السابق ذكرها ومطحنة الوادي بمنتصف المسافة الموجودة بين جسر كانا ستل والبحر ومطحنة كانا ستل بالغرب من جسر كاناستل . وكنا نجد زيادة على ذلك مطحنتين اصحابهما افراد ومحبسة لقديس روك والدواوير الملكية الاربعة التي كانت تحتوي على افنية فيها اكواخ مسقفة بالقصب أجرها بعض المسلمين الخاضعين للاسبانيين .

ولم يكتف الاسبانيون ببناء عدد كبير من المباني بل اكبوا على تحسين ظروف حياة مواطنيهم وذلك بتبليط جميع شوارع المدينة والساحة الرئيسية . وتزويد كنيسة القديس برناردين بساعة اشترت من لندن ، واصلاح جسري تلمسان وكاناستل ، وبناء قناة

يبلغ عرضها ستة اقدام لجمع مياه الامطار وقناتين كبيرتين حيث كانت تفرغ اقذار الشوارع والبيوت . كما بنوا مسرحا كان يستعمل أيضا كقاعة للرقص ، وزينوا الميدان لتمرن الجنود باروقة ونصبوا تمثالا على شرف ملكهم شارل الثالث . ان ثلاث كتابات تذكر بناء هذين البنائين الأخيرين . فجاء في احدهما وهي معروضة في متحف وهران :

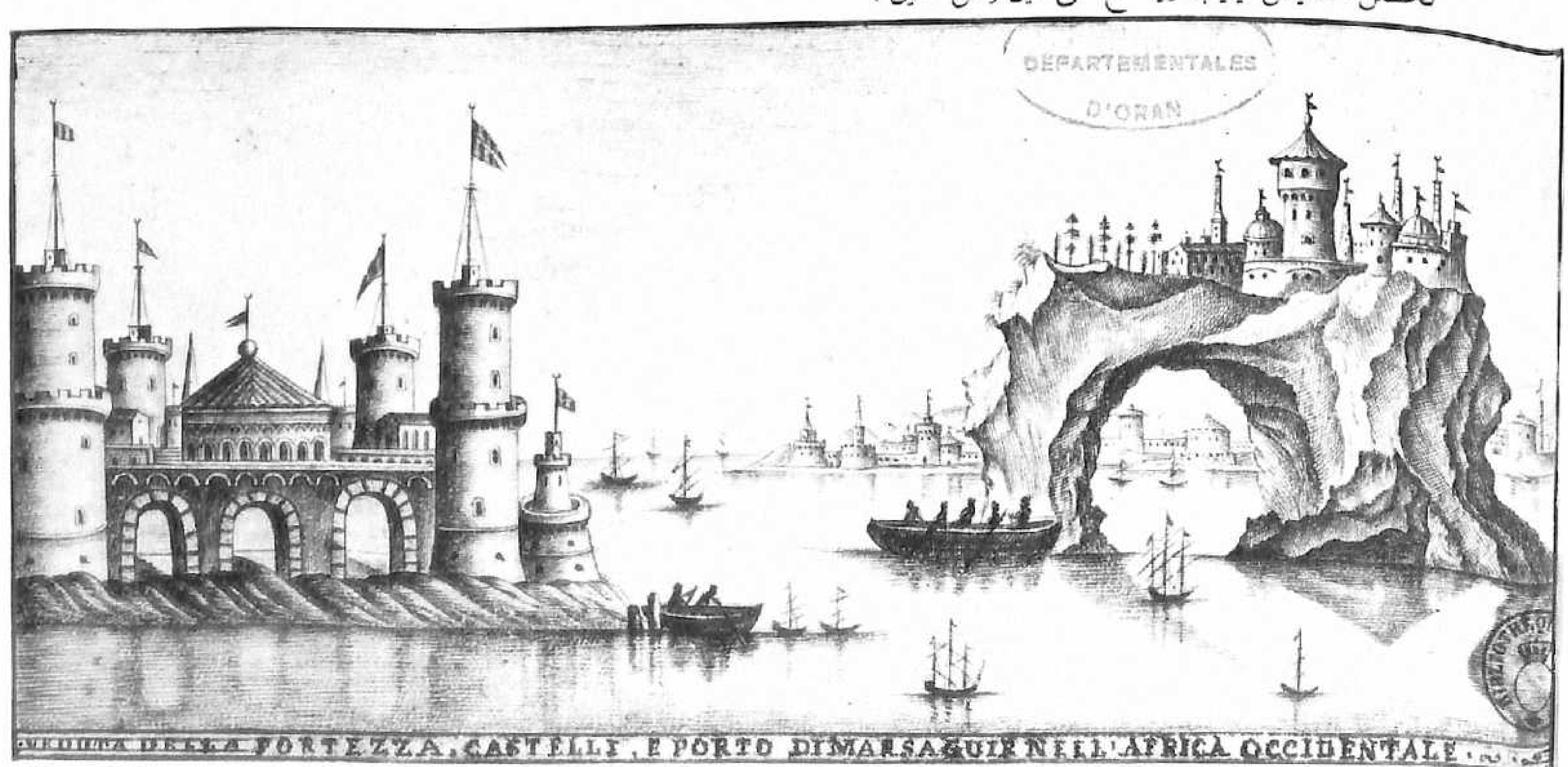
« لشارل الثالث ملك اسبانيا ، ابن الملك التقي فيليب الخامس ، الذي اغتصب وهران من المسلمين بسلاحه ، في عام 1732 ، السيد الفارادو ، فارس في جمعية القديس يعقوب مارشال الجيوش الملكية ووال عام لهذه الموريطانيا ، شيد هذا البناء في سنة 1772 . »

ان المباني التي شيدها الاسبانيون والتي سبق ذكرها ، لاتمثل الا جزءا صغيرا من نشاطهم المعماري الذي اعتني خصوصا ببناء واصلاح عدد كبير من المباني العسكرية .

فابتداء من سنة 1734 ، اكب دون خوزيف فاليخو على تحسين النظام الدفاعي للمدينة . فاعيد بناء سور وهران في الاماكن التي كانت مهدومة وجهز بحواجز . فبنيت سبعة عشر مركزا للحراسة مجهزة بجميع المرافق ونظفت الخنادق والسور الخارجي ورفعت أبواب كاناستل التي كانت واطئة .

كما اكب فاليخو على بناء حصون القديس فرديناند والقديس شارل والقديس بطرس والقديس لويس والقديسة بارب وعلى اصلاح حصون روز الكازار ( البرج الأحمر ) والقديس فيليب وسانتا كروز والقديسة تيريز .

فبني حصن القديس فرديناند بالحجر وجهزه بالأقبية لسكنى الجنود ومخازن البارود ودور المياه ومطبخ وخندق واسع وعميق . حصن طرفاه بحاكات مزدوجة وحواجز وجسر يرتفع وينحدر : فقد هذا الحصن الذي كان موجودا بسفح البروز الجنوبي لحصن القديس فيليب ويدافع على عين رأس العين .



VEDUTA DELLA FORTEZZA, CASTELLI, E PORTO DI MARSAQUIR NELL'AFRICA OCCIDENTALE

أما حصن القديس شارل الذي كان تابعا لحصن القديس فيليب فقد بني بالصخر الجليل ابتداء من الأسس فكان مجهزا باقبية لسكني الجنود ومخازن البارود وخنادق واسعة وعميقة وحباكات وأبواب زلاقة في أطراف الخنادق . وكان يقع هذا الحصن على مستوى البروز الجنوبي لحصن القديس فيليب . فكنا نجد فيه الكتابة التالية :

«لانتشار الدين المسيحي وفي عهد فيليب الخامس ، بينما كانت الجيوش الكاثوليكية تقاوم هجومات الهمج ، في هذه المدينة المنيعة ، وفي عهد الفارس في جمعية القديس يعقوب العسكرية وضع الملازم القائد جوزيف فاليخو ، هذا الحصن تحت حماية القديس يعقوب في سنة الخلاص 1734 . »

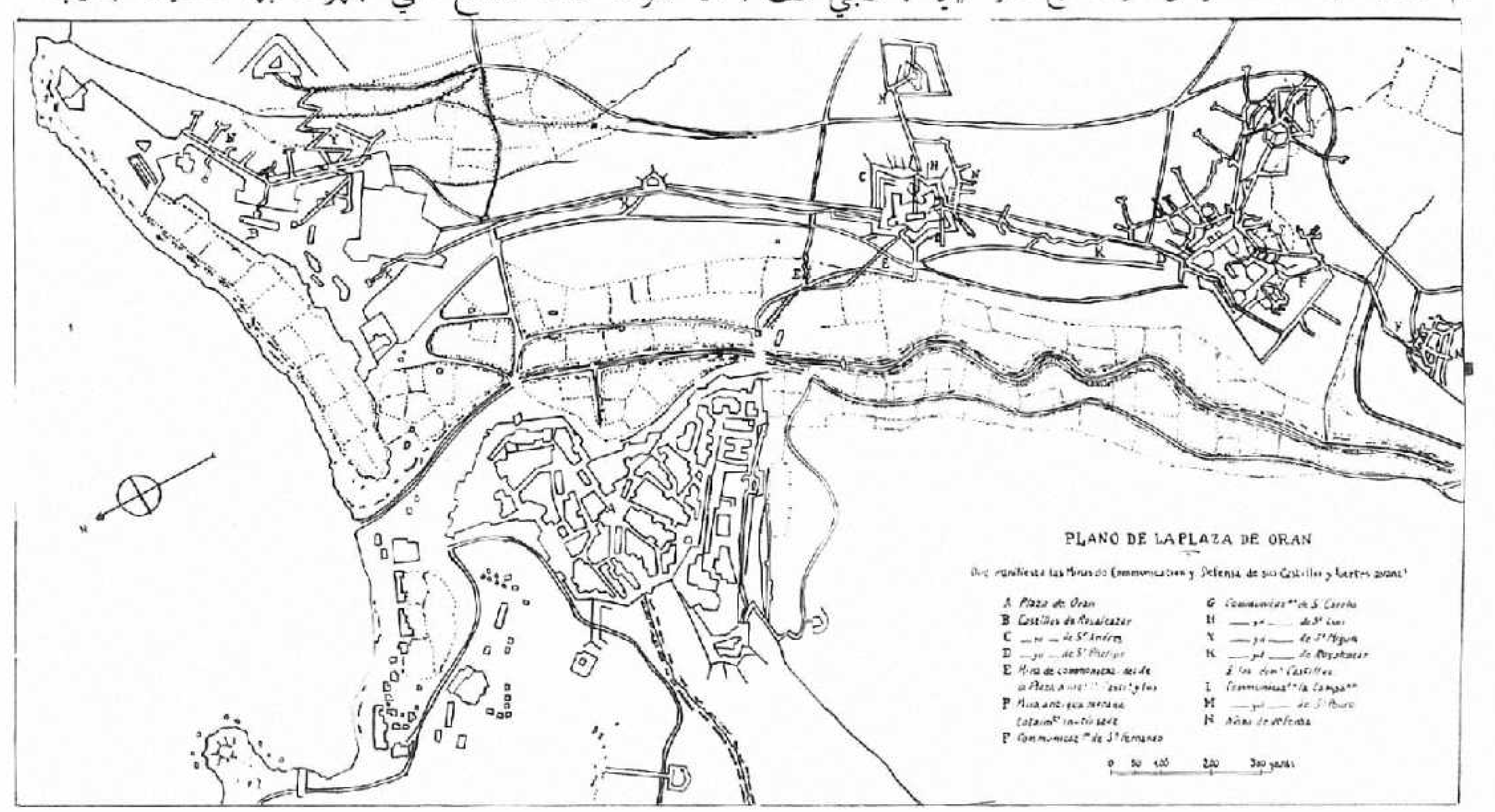
شيد حصن القديس بطرس بين قرية يفرتي وابناء المحصن المسمى بالجرس . فجهز باقبية منيعة ومخازن للاعتدة العسكرية ودور المياه وخندق واسع وعميق كما جهز بجسر يرتفع وينحدر . فكانت آثار هذا الحصن تظهر بسفح حي بلانتور .

وبني حصن القديس لويس لحماية المواصلات بين حصن القديس فيليب وحصن القديس اندراوس وحصن القديسة تيريز . فكان تابعا لهذا الحصن الأخير ويقع شرقبه ويحتوي على المباني التي كانت تحتوي عليها الحصون التي سبق ذكرها وعلى خندق واسع وعميق وجسر يرتفع وينحدر .

شيد حصن القديسة بارب لحماية المواصلات بين حصن القديس اندراوس وحصن القديسة تيريز . فكان تابعا لهذا الحصن الأخير ويقع بزاوية السور الذي هدم في سنة 1868 ، في شارع فيينا ، وكان على شكل الحصون السابق ذكرها . وفوق باب خلوة هذا الحصن كنا نستطيع أن نقرأ :

«يا ، همجي قف . الا تعرف عدد المدافع التي جهزت بها القديسة بارب

تصميم ثغر وهران في النصف الثاني من القرن السابع عشر



هذا الحصن في عهد فيليب الخامس القهار وأثناء حكم دون جوزيف فاليخو ، الفارس في جمعية القديس يعقوب ، ملازم قائد للجيوش الملكية في سنة 1734 . »

إن اصلاحات هامة ادخلت في حصن روز الكازار ( البرج الأحمر ) . فبنيت حواجز من الحجر وعرة المنحدر في الوجه الذي كان يطل على البحر بينما جهز الوجه المطل على الريف بحواجز من التراب وحزم من الحطب كما نظفت الخنادق وبنيت ثلاث ثكنات كانت تسع 500 جندي وسويت الأرض الموجودة داخل الحصن وبنيت محارس بين البابين . واعيد بناء حصن القديس فيليب بصخر جليل جميل . فكان يحتوي على ساحة واسعة لتمرين الجنود ومساكن مجهزة بجميع المرافق للوالي والضباط و23 قبوا تقاوم القنابل . كانت تسع 500 جندي و26 مدفعا موضوعة على مسطح مبني بالحجر . فكان خندقه واسعا وعميقا .

فاصلح حصن سانتا كروز ، مثل الحصن الذي سبق ذكره ، اصلاحا كاملا وجهز باثنين وعشرين قبوا منيعا كانت تسع 500 جندي و18 مدفعا . وبعد الهجوم الذي شنه الاتراك عليه في سنة 1732 ، أمر فاليخو بحفر خندق من جهة الجبل يبلغ عرضه ما يقرب من 8 م وعمقه 10 م . فنستطيع أن نقرأ بهذا الحصن الكتابة التالية :

« في عهد فيليب الخامس المنتصر والقهار ، دون جوزيف فاليخو فارس في جمعية القديس يعقوب وملازم قائد للجيوش الملكية ، الذي كان يحكم باسمه لما طرد الاتراك بعد حصار طويل ، وفقدوا املهم القديم في ادخال هذه المدينة في مملكتهم ، وضع هذا الحصن المصلح تحت حماية القديس فيليب ، في سنة المسيح المخلص



كتابة تذكر تشييد بناء مخزن بأمر من الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم

« . 1736

كما واصل فاليخو الأعمال التي كانت قد بدأت بقصر القديسة تيريز من طرف الدوق ده كانزانو وجهزه بالمرافق الموجودة بالحصون السابق ذكرها .

وقام خليفته دون جوزيف بازيل ارمبورو بتشييد حصن القديس ميخائيل ولا بونتا لا مونة كما قام باصلاحات عديدة بالحصون الموجودة .

وكان حصن القديس ميخائيل حصنا مقدما يبلغ عرض وجهه 60 م . فكان يحتوي على ثلاثة أقبية منيعة ومطبخ ومخزن البارود وكان يستطيع أن يسع 200 جندي و18 مدفعا .

وفي حصن لا مون كنا نستطيع أن نقرأ الكتابة التالية :

«بينما كان اسبانيا تحت أمر فيليب الخامس وكانت هاتان المدينتان تحت قيادة دون جوزيف ده ارمبورو ملازم قائد الجيوش الملكية ونقيب احدى كتائب الحرس الاسبانية ، بنيت هذه البطارية ، وفتحت هذه الطريق انطلاقا من الرصيف في أرض منيعة لمواجهة غارات الاعداء وتسهيل المواصلات مع مدينة المرسى الكبير . وكانت نهاية جميع الأعمال في عام 1742 . »

كما أتم جوزيف ده ارمبورو الطريق المغطاة التي تؤدي الى البرج الأحمر وفتح متارس أمام حصني القديس يعقوب والقديس يوسف وأمام باب تلمسان .

وأمر دون اسكندر ده لا موط بتشييد الجدار الضخم للميناء وثكنة الملاحة . وأعاد بناء حصن القديس بطرس ووضع بندقيات بحصن القديس اندراوس وبدأ تنظيم بطاريات فوق سانتا كروز لحماية الريف واصلح المستشفى وشارع برج الجرس .

وأسس دون بيير ده ارقاين مستشفى القديس برناردين الذي كان يستطيع أن يستقبل من 12 الى 15 مريضا ونظم العين المعدنية التي كانت تنبع بالقرب من حصن

رسم المنظور لمدينة وهران عن صورة اسبانية يرجع تاريخها لسنة 1732



القديس قروقري وكانت هذه العين تشفي من أمراض الجلد .

وشيد خليفته دون جان مارتين زرمنو مخزن المؤن أمام الميناء وأمر بوضع كور بقمة سانتا كروز لتخبر بالمراكب واشارات للإعلان عن وصول الاعداء وأبواق لانذار جيوش المدينة بالخطر . وأعاد بناء البرج الأحمر كما تدل على ذلك الكتابة التالية :

«بينما كان صاحب الجلالة كارلوس الثالث يحكم في اسبانيا وكان الملازم القائد دون مارتين زرمنو ، مفتش الفيلق القار وحاكم هاتين المدينتين ، صنع هذا الباب وبنيت الاقبية لسكني جيوش المعسكر واعيد بناء الحصن من جهة البحر في عام 1760»

وشيد دون الفارادو هو رتاد والمركز الأمامي دون اوجان لحماية الجنود الذين كانوا يرعون بالقطعان ، وأمر بحفر المكان الذي كان يربط ما بين المائدة وسانتا كروز لحماية هذا الحصن من الضرب بالقنابل مثلما وقع في سنة 1732 . كما قام ببناء سجن عام حيث وضعت أيضا وثائق المحكمة العادية وبطارية بالقرب من برج العين .

تلك هي الحصون الرئيسية التي شيدت أو اصلحت من طرف الاسبانيين أثناء احتلالهم الثاني لوهران . فأنفقوا مالا كثيرا لاداء مهمتهم بصورة حسنة بحيث استطاع فاليخو أن يقول : «نستطيع ان نؤكد ان اسبانيا تركت هنا اكواما من الذهب بجبل من الحجر .»

هناك اثار أخرى يرجع تاريخها الى الاحتلال الاسباني الأول أو الثاني . فهي معروضة بمتحفي وهران وتلمسان فمن التحف الموجودة بمتحف وهران نذكر مدفعا ورشاشة وثلاثة سيوف وخناجر وخوذة وقداحتين وحلقة حمالة ومفتاحا وفاسا وقفلة مدفعي وكور المدافع .

ويستعمل المدفع في الجبال . يبلغ قطره 50 سم وطوله 75 سم عثر عليه على مسافة 9 كلم غربي مستغانم على طريق وهران وهو بدون شك قد تركه الاسبانيون أثناء غزو مستغانم الذي قاده الكونت دالكودات في سنة 1558 .

أما الرشاشة فلها عدة أنابيب وهي موضوعة على عجلتين ، وهو ما يسهل نقلها من مكان الى آخر . للسيف الأول نصل مستقيم وشفرتان . يبلغ طوله 88 سم وهو مزين بكتابتين تجريان على وجهي النصل . جاء في احداها : « الصليب القدوس » وفي الأخرى « هو دليلي » للسيف الثاني نصل منحن . يساوي طوله 75 سم وكتب على ظهره : « طليطلة » .

أما السيف الثالث فله نصل مستقيم . وهو مزين بكتابتين . جاء في الأولى : « للملك كارلوس الثالث » وفي الثانية : « دراقونس ت . 1796 » .

ولاحد الخناجر نصل منحن وللثاني نصل لهبي الشكل وللثالث نصل مثلث .

اما الخوذة التي اكتشفت بوهران فهي خوذة ثقيلة وسميكة جدا كانت تستعمل لحماية الجندي المكلف بالحفر أمام العدو . ولهذه الخوذة عشرة مسامير من النحاس تزين حافتها وغطاء الرقبة .

أما القداحتان فتشبهان مفتاحين ضخمين .

أما حلقة الحمالة فمصنوعة من النحاس . واكتشفت بحصن القديس غريغوار . والمفتاح مصنوع من الحديد . عثر عليه بقليعة القديس لويس بحصن القديس أندراوس . أما الفأس فوجدت بوادي روينة . وهي الأخرى مصنوعة من الحديد . صنعت قفلة المدفعي من النحاس . مزينة بمدفعين يشكلان صليباً .

أما كور المدافع فهي من الحجر أو من الحديد وذات أبعاد مختلفة .

كما نشاهد بمتحف تلمسان مدفعا وكورا من الحديد أو من الحجر مختلفة الأبعاد ، يرجع تاريخها بدون شك إلى الإحتلال الاسباني الأول .



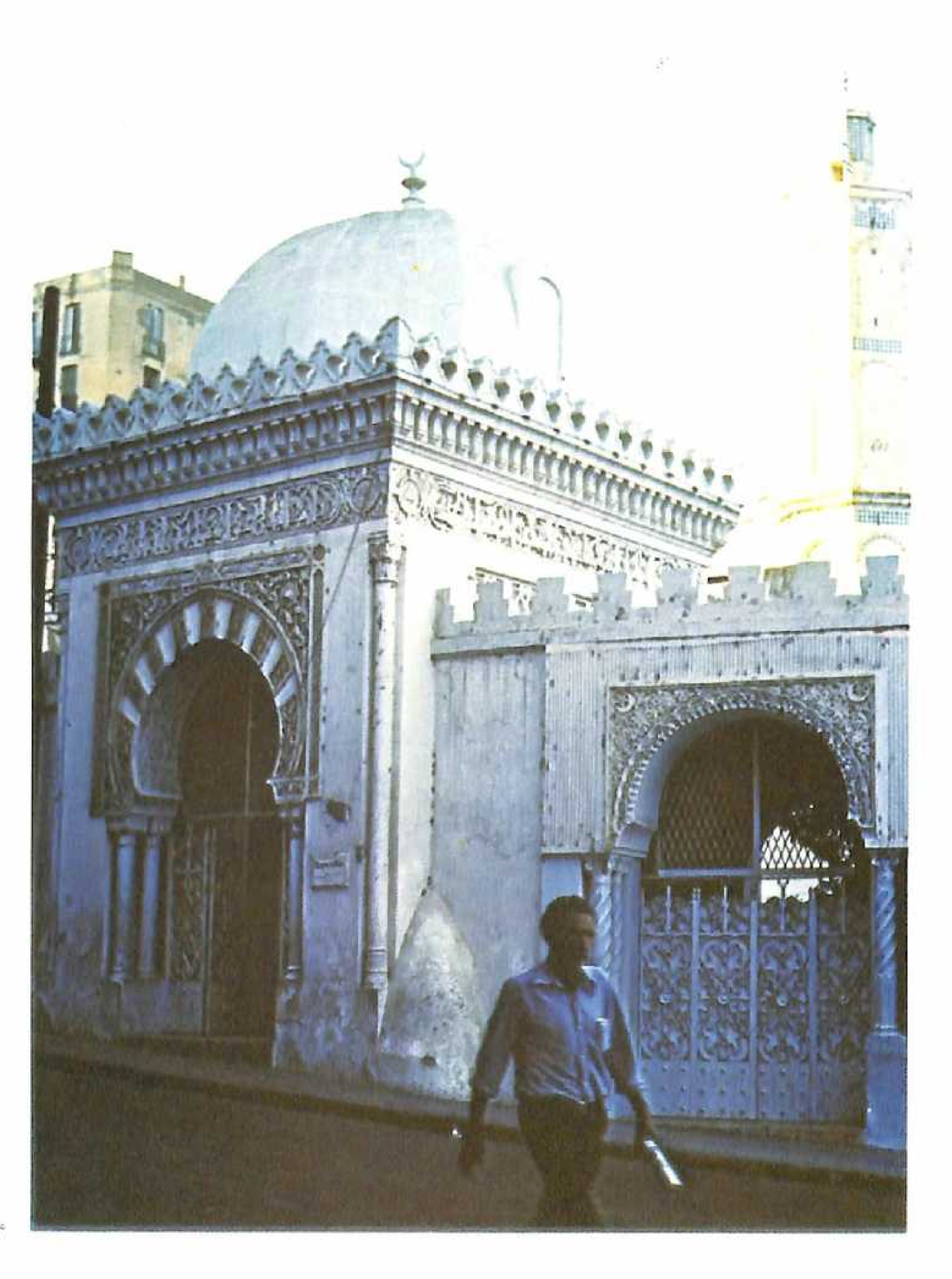
# القسم الخامس

# الوجود العثماني الثاني

# التاريخ السياسي

إن محمد الكبير الذي ساهم في فتح وهران بهجوماته المستمرة ، هو ابن عثمان الكردي ، باي تيطري سابقا . وبعد وفاة أبيه ، أصبح تحت حماية ابراهيم ، باي تيطري الجديد ، الذي زوجه ببنته بعدما تبين انه يتمتع بفضائل قائد حقيقي . وفي سنة 1173 / هـ 1759 م عندما عين كباي الغرب ، أخذه معه وسماه قائد قبيلة فليتة . وفي سنة 1182 / هـ 1768 م ، اختاره كخليفة ثم كلفه بادارة شرق الناحية .

وبعد وفاة ابراهيم في سنة 1193 ـ 1779م . عين محمد ، اذ ذاك ، كباي معسكر ، وامتاز بشجاعته وكرمه . وفي سنة 1205 / 1770 ، كاتب داي الجزائر ليطلب منه الإذن بالشروع في الجهاد .

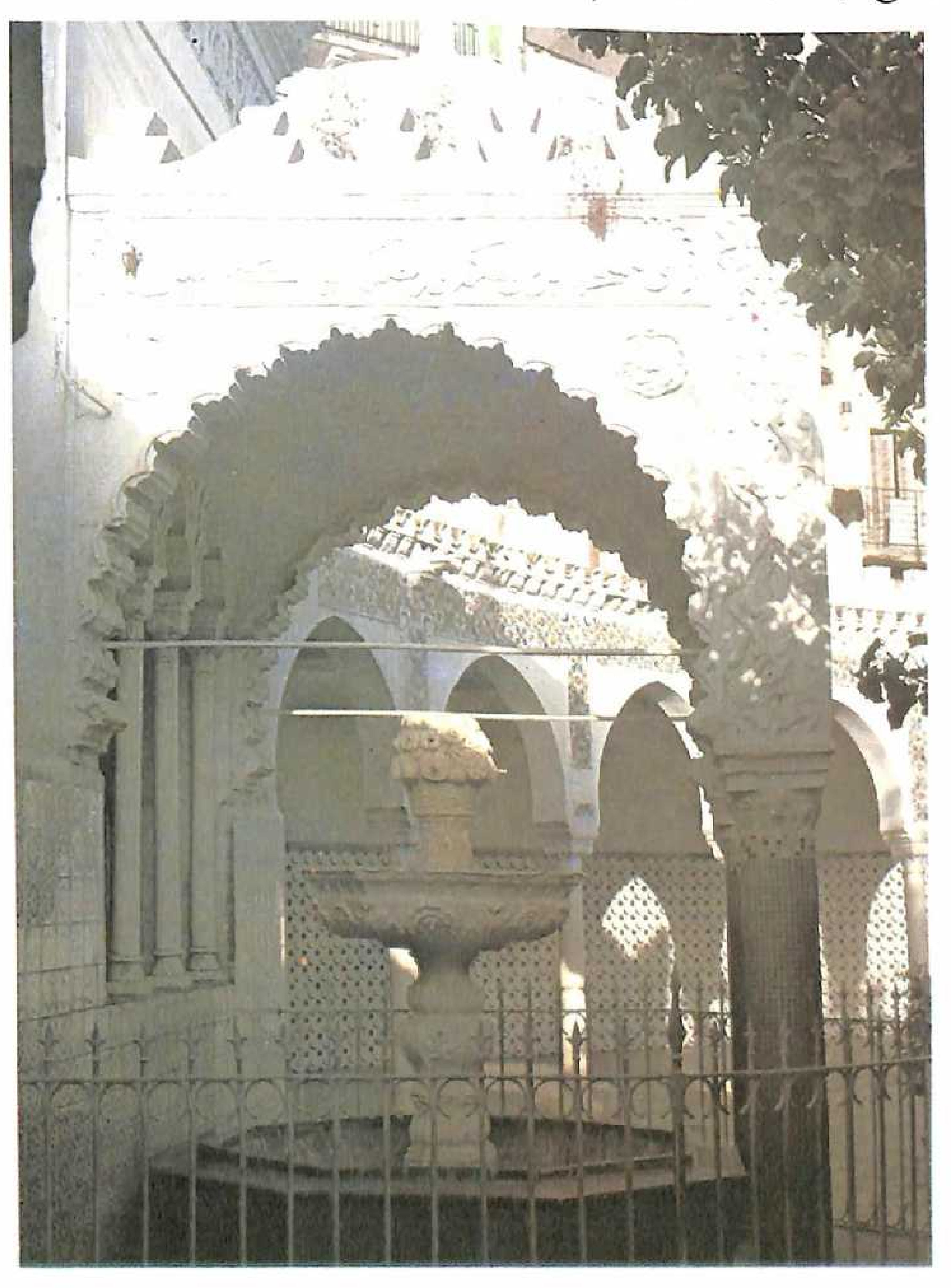


مدخل جامع الباشا

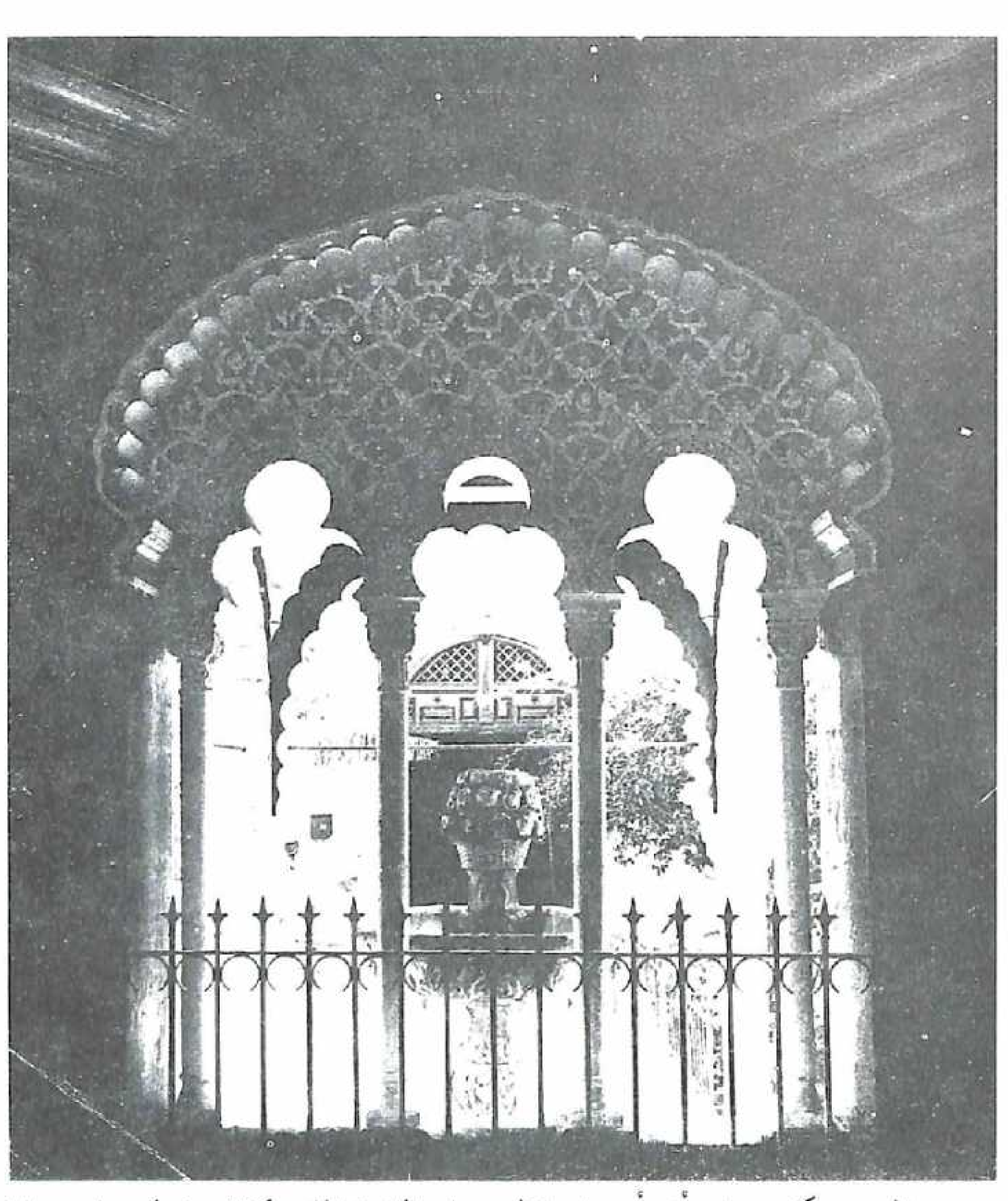
وعندما علم بالاضرار التي سببتها الزلزلة بوهران ، ذهب الى نفس المكان واستطاع أن يجمع أكثر من خمسين الف جندي في أسبوع . فقسم جيشه على ثلاثة أقسام . وأبقى معظم الجيش تحت أمره ، وقاد ابنه عثمان أهل تلمسان وفليتة وقبائل مجاورة لها . وترأس محمد بن ابراهيم عساكر مزونة ومستغانم والقلعة وقبائل الشرق

وفي يوم الخميس 13 صفر ، أمر الباي بهجوم عام على الحصون واستطاع جنوده أن يستولوا على برج العين . ولكن لما ابتعد عنه الجنود لجمع الخشب الغليظ ، الذي كان محمد الكبير يشتريه بثمن عال ، هجم عليهم الاسبانيون وقتلوا منهم عددا كبيرا واستولوا على الحصن من جديد . فسمي ببرج بني زروال ، وهو اسم القبيلة التي كانت استولت عليه .

وفي الغد ، فشل هجوم آخر . فوضع الباي مدفعيته على جبل المائدة ، جبل سانتون ، وضرب المدينة بالكور وحاول أن يهدم برج مرجاجو (سانتا كروز) ولكن لم ينجح في عمليته . حينئذ فهم ان وهران لا تفتح الا بوسائل قوية . فترك مراكزه



جوسق جامع الباشا



صحن جامع الباشا

ورجع الى معسكر ، غير أنه أمر باحتلال جبل المائدة الذي كان يشرف على وهران والمرسى الكبير في نفس الوقت . فاحتله طلبة ووضع تحت أمر سيدي محمد بن عبد الله الجيلالي وقاضي معسكر .

فوزع هؤلاء الطلبة على فرق تضم كل واحدة منها 25 جنديا . فبلغ عددهم . 2000 في شهر شعبان وأول معركة وقعت بينهم وبين الاسبانيين كان سببها هروب ثلاثة جنود مسيحيين من الجندية . إن احدهم ذهب الى يفري ، وكان قد أعلن عن هروب الاثنين الآخرين . فأخذ الطلبة يبحثون عنهما ولاقوا الاسبانيين الذين كانوا قد تبعوا الهاربين . فتحارب الجمعان . وفقد الطلبة عددا كبيرا من اصحابهم ولكن لم يخمد ذلك شجاعتهم وأخذوا ينكدون الاسبانيين بدون انقطاع . فلنسمع أبا رأس يتغنى بمآثرهم :

« وقد ظهر بوهران لهم في الشجاعة أمور غريبة واقدامات عجيبة وصبر خرج من المعتاد ، يهون دونه خرط القتاد فلاهم من العدو يفرحون ولا من صواعق البونبة يتضعضعون وهم مع ذلك لهجعون تلاوة القرآن المجيد يداومون على ذكره بترتيل وتجويد تطوى لنشره نفحات الازهار وتقرر من عذوبته جاريات الانهار وتعتل من لطفه نسمات الاسحار بينهم على فنائهم بواد وهران كل يوم ارجه وتشرق على رجائهم كل

وقت سرجة فسماعه انكى الكفرة من ضرب الحسام واسرع اليهم من نضح النبال والسهام . »

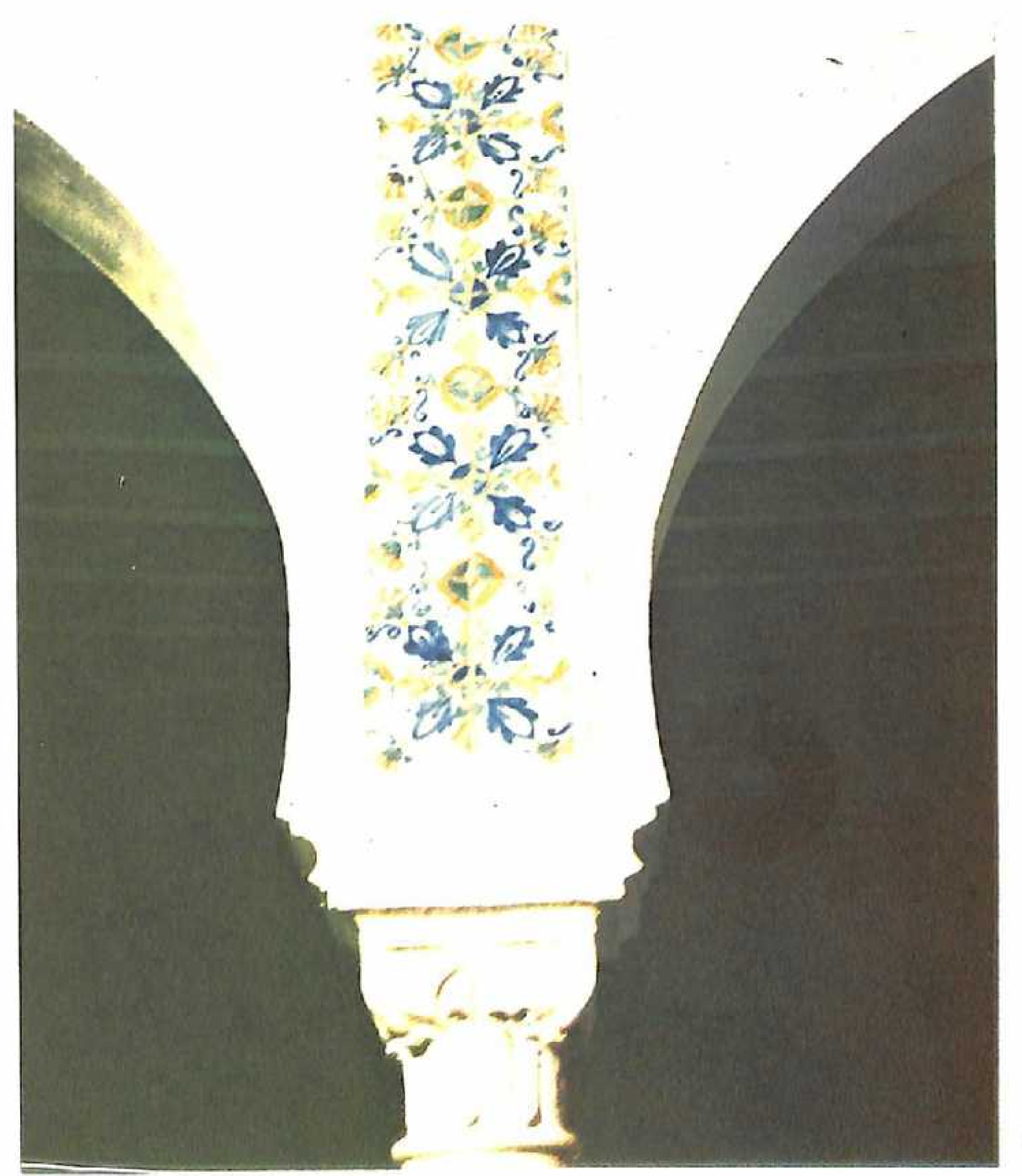
وبعد ما نظم محمد الكبير الطلبة رجع الى معسكر . وأول عمل قام به هو الاتصال بالأنجليزيين ليشتري منهم مدافع ومدافع قصيرة وكورا وقنابل . وبعث أيضا رسلا الى المغرب الأقصى وجبل طارق ليشتروا الاسلحة والاعتدة الحربية وجعل من بطانته حدادين ونجارين وصناع النيران الصناعية . وجاء بناس من ناحية فيقيق متخصصين في وضع الالغام وأمر بتنظيم الطريق التي تربط ما بين معسكر ووهران حتى تستطيع المدفعية الثقيلة أن تمر بها

وبعد خمسة أشهر من الاستعدادات ، غادر محمد الكبير معسكر في 8 رجب 1205 / 4 مارس 1791 ، وسط جمهور متحمس .

عندما ورد هذا الخبر على الاسبانيين ، شرعوا في المفاوضات بالجزائر وطلبوا هدنة امتدت الى 22 شعبان / 22 أفريل . فاغتنم باي معسكر هذه الفرصة ليسير الى مستغانم ليجلب المدفعية الثقيلة التي كانت موجودة بها ويسير بها الى حصن السيق .

ولما كان الاسبانيون قد رفضوا الاستسلام التام ، عاد القتال بمبادرة من الطلبة .

وفي 3 رمضان / 7 ماي ، غادر السيق متوجها الى تليلات ، على 14 كلم جنوبي



تاج من التيجان التي تزين رواق جامع الباشا

شرقي وهران . ومنها ، زار الطلبة بيفري ونظم فرقة مكونة من نخبة الجنود تضم 500 جندي كلفهم بحماية الجنود الذين يضعون الالغام .

وفي 18 رمضان / 22 ماي وصلت عساكر القبائل والمتطوعين الذين تمركزوا مع جيوش الباي ازاء الطريق التي تؤدي الى يفري . وبعد أيام ، نزلت محلة الداي التي كانت جاءت من الجزائر العاصمة على ميلين من مركز الباي ، تنتظر ان يسير اليها ليفتشها على حسب العادات الجارية .

وفعلا ، في الغد ، سار الباي في موكب غفير الى ملاقاتها . وأما الاتراك الذين سمعوا بوصوله ، فقد اصطفوا على صفين طول الطريق التي كان من المفروض أن يسلكها ليصل اليهم . وكان الباي يسير وامامه فرسانه الذين كانوا يتنزهون على شرف القادمين . وبعد اللقاء سارت المحلة العثمانية الى معسكر الباي . وهناك ، جلس الباي على عرشه واستقبل ضباط المحلة العثمانية الذين كانوا قد جاؤوا يقدمون له احتراماتهم ويسمعوا منه تثبيتهم في الرتب التي كانت حددت لهم في الجزائر ، ويتسلمون أوامره .

وفي 24 رمضان / 28 ماي . نقل محمد الكبير المدفعية الى جبل المائدة بينما كان ابنه عثمان يحتل مركزا يسمح له بمراقبة المرسى الكبير .

فأمر الباي ببناء خمسة متارس لحماية مدفعية المائدة من نار الاسبانيين . وكان المتراس الأكبر يقابل برج العيون ( حصن القديس فيليب ) . وحالما تم بناؤها القى المدفعيون الاتراك 70 كرة على هذا الحصن . فجاوبهم الاسبانيون بسبعمئة قذيفة .

وفي 2 شوال 5 يونيو تواصلت حرب المدفعية . فبعث الاتراك 304 كرة . ومن الجانب الاسباني ، أطلق الأسطول النار على مراكز العدو والقى برج مرجاجو ( وسانتا كروز ) وحده ، 160 قذيفة و10 قنابل و30 مفرقعة .

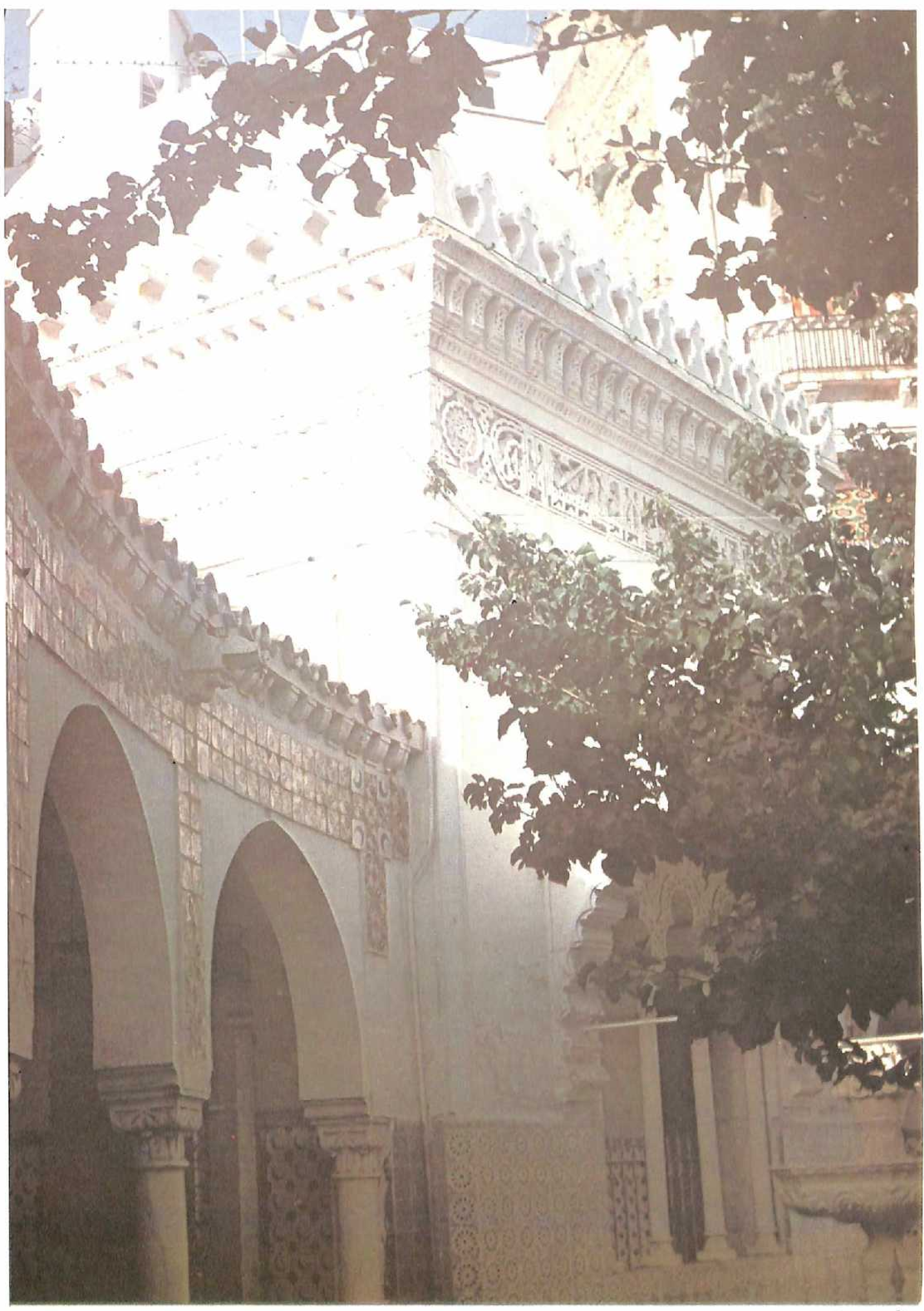
وفي نفس اليوم ، هجم 1400 اسباني على جيش الطلبة فجأة ، اثر خيانة احدهم ، وهدم عمل الجنود المكلفين بوضع الألغام .

وفي 5 شوال / 8 يونيو ، استطاع الاتراك ان يخربوا اسوار برج سانتا كروز ولكن المعسكر واصل المقاومة . وبعد تسعة أيام ، نظم محمد الكبير مدفعيته في السهل وتمركز عثمان بين الطريق التي تؤدي الى يفري ومحلة ابيه .

وفي 29 شوال / 2يوليو ، سقطت قنبلة تركية على بيت اسباني مغطى بالتبن وانتشر الحريق الى البيوت الأخرى بينما نسفت قنبلة ثانية دار البارود الموجودة ازاء برج العيون وقتلت عددا كبيرا من الجنود . فاغتنم محمد الكبير فرصة التشوش الذي أصاب الاسبانيين بعد هاتين المصيبتين واستطاع أن ينسف باب برج بني زروال وكان مستعدا للهجوم عليه واذا به بلغه الأمر بوقف النار من الداي .

وفي 12 سبتمبر 1791 ، اثر مفاوضات صعبة ، تعاقد الاتراك والاسبانيون . فجاء في الاتفاق المبرم :

1) يأذن الداي للإسبانيين بتأسيس وكالة تجارية بالمرسى الكبير تشابه الجمعية الفرنسية القديمة التي كانت موجودة بالقالة ، مقابل دفع مئة وسبعة آلاف ريال



رواق جامع الباشا

صغير سنويا .

2) يأذن لهم بصيد المرجان على طول الساحل الغربي .

3) يكون الحق للإسبانيين في اشتراء الف حملة من القمح سنويا بالسعر الجاري في البلد بدون رفع الثمن وبدون ان يستطيع الباي أن يغير سعر هذه السلعة .

4) على كل سفينة اسبانية ترسو بالمرسى الكبير ووهران أن تدفع ضريبة يساوي مبلغها خمسة وخمسين ريالا .

5) بإذن خاص ، يستطيع التجار الاسبانيون ان يدخلوا المرسى الكبير باستثناء تجار الدول الأخرى .

6) على الجيوش الاسلامية ان توقف النار وترفع حصار المدينة

7) تسلم مدينتا وهران والمرسى الكبير فورا بعد امضاء العقد في الحالة التي كانتا عليها في سنة 1732 ، أي بالحصون التي كانت موجودة انذاك وبالمدافع التي كان عددها ينيف على المئة وجميع المدافع الحديدية .



اقواس رواق جامع الباشا

8) يستطيع الاسبانيون ، ان ارادوا ذلك ، ان يهدموا جميع المباني الدفاعية التي بنيت بعد 1732 .

9) على الاسبانيين أن يغادروا المدينتين قبل يناير 1792 .

تسلم محمد الكبير تأكيد العقد في 19 مارس / 18 سبتمبر .

فاحتفل بهذا الحدث باعياد عمومية دامت خمسة أيام .

سار محمد الكبير الى الجزائر مدة قليلة قبل مغادرة المدينة من طرف الاسبانيين . فاستقبله الداي بحفاوة وقلده نيشان الريشة الخاص بالمنتصرين على الكفرة واخبره جهارا ان مدينتي وهران والمرسى الكبير تكونان في المستقبل تحت امره وقلده وظيفة باي وهران وقال له : « هي بلدك فتحتها بجدك واجتهادك وأعدتها للإسلام بجهادك فأمرها موكول لأمرك . لا يتقدم فيها نظر على نظرك » .

كما جازى الداي ابني الباي . فعين الأول ، عثمان ، كخليفة على ناحية الغرب والثاني ، قائد فليتة وعندما اتى الجلاء ، بعث الباي صهره الى وهران ليتصل بالاسبانيين . فاستقبله هولاء الاخيرين باكرام كبير فلاحظ ان الاسبانيين كانوا يحضرون جلاءهم بنشاط ولكن لما كان الطقس لا يناسب ركوب البحر ، استمهلوا الاتراك . فامهلوهم .

وفي 2 جمادى الثاني 1206 / 27 يناير 1792 ، غادر محمد الكبير معسكر قاصدا الهبرة . ومنها ، بعث ابنه عثمان الى وهران ليرى الى أي درجة بلغ الجلاء . فرجع بعد أيام بمفاتيح المدينة وأواني ملآنة بمياه اخذت من جميع العيون الموجودة بها . فبعثت المفاتيح الى الجزائر ومنها الى استنبول وبعد تسعة أيام ، سار الباي الى السيق حيث أقام ستة أيام ومنها ، توجه الى وهران في موكب عظيم .

وفي مقدمة الموكب كانت بغلة فارهة حمل عليها صندوقان ملآنان بالكتب وبينهما أربعة رائعة فيها صحيح البخاري وغطيت بسجف حرير مغشي بلباس الكعبة المشرفة موشى احسن توشية ، مكتوب بكلمة الاخلاص .



صحن مسجد الباشا

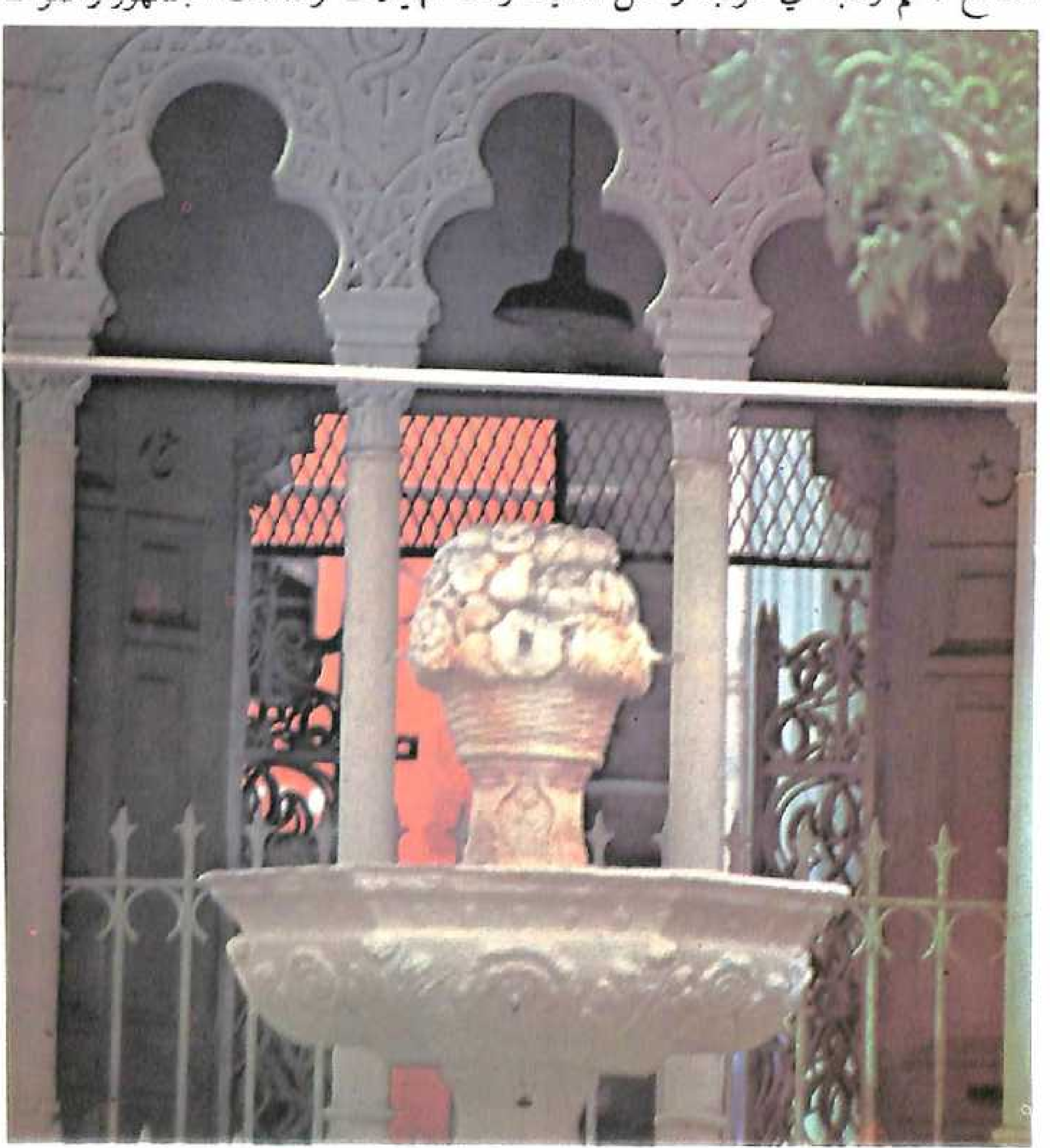
جامع الباشا : منظر داخلي

وكان جندي يحمل راية رائقة أمام قائد البغلة . وأمر العلماء أن يسيروا وراءه يقرؤون البردة . وسائر الامداح النبوية . فساروا كذلك والناس يلعبون أمامهم على الخيل العتاق بالبارود . فتزلزلت الجبال بأصوات البارود وكما جاء في كتاب «الجماني» « حضرت الملائكة الاعلام فرحا بجنود الاسلام ، باسطة اجنحتها للمصلين على النبي عليه الصلاة والسلام » .

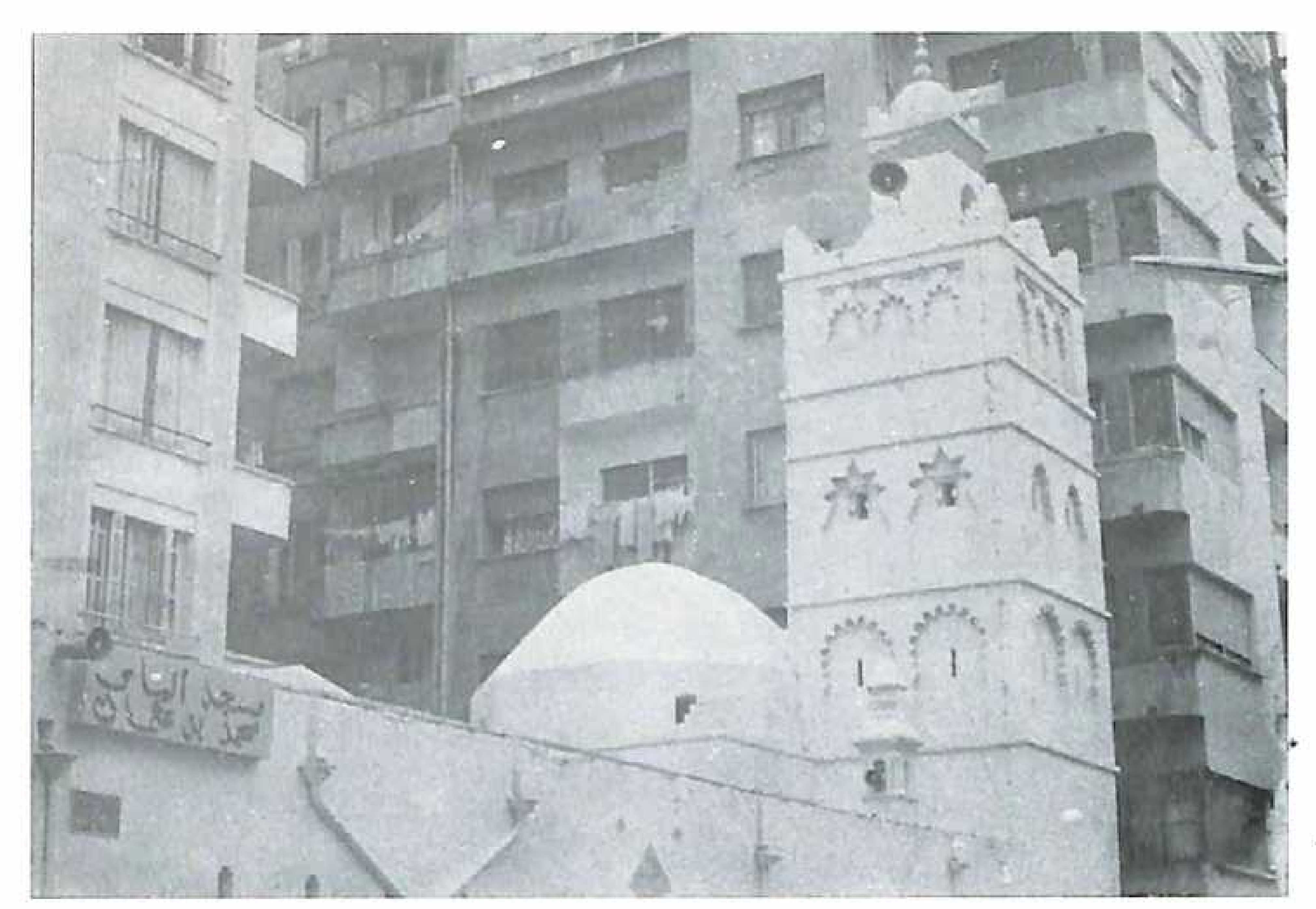
وفي 21 جمادى / 15 فبراير ، نزل باي وهران بمرأى من ضريح سيدي الشحمي حيث جاء ضابط اسباني يقدم له تحياته ويسلم له ماكولات . فاثابهم الباي باحد وسبعين ثورا ومئة شاة وخمسة . ووعدهم بأن يأذن للمسلمين بالبيع والشراء معهم لينتفعوا ويستريحوا من سجن ضيقهم واظهر كرما كبيرا بحيث انه طلب من المسلمين الذين كانوا ينقلون امتعة المستشفى أن يخفضوا الاسعار التي كانوا يطلبونها منهم بالنصف ، قائلا لهم : «إن المسيحيين مغلوبون ، كما كانوا اشقياء كونوا محسنين لهم . »

وبعد خمسة أيام ، عين المسلمين الذين يسكنون وهران تلبية لرغبتهم واذن لهم بفتح سوق بالمرسى الكبير وبيع كمية معينة من القمح للاسبانيين وحدد سعرها .

وفي أول رجب / 24 فبراير ، نزل بوادي رأس العين تحت المقبرة المسيحية وبعد ثلاثة أيام ، استطاع أن يرى الاسبانيين يغادرون المدينة ويتوجهون الى المراكب . في الحين ، أمر بنصب الأعلام الاسلامية على الاسوار والحصون . فنصبت . واطلقت المدافع . ثم ركب في موكبه ودخل المدينة وسط تهليلات وهتافات الجمهور وأصوات



الفوارة




مسجد الباي محمد الكبير .
المئذنة والقبة

البارود والطبول ، ونزل البرج الأحمر وأول عمل قام به هو ان صلى ركعتين شكرا لله تعالى . فضربت مدافع التهنئة وطبولها . وبعد الصلاة ، دخل عليه الناس يهنؤونه أفواجا أفواجا . وانشد ابن سحنون قصيدة على شرف منتصر وهران . فجازاه جراء جزيلا .

فكتبت رسالة الى الدّاي ليشنف بهذه البشائر مسامعه ومعها مفتاحان من خالص الذهب في زينة مفاتيح وهران وعلى صفتها . وكتبت رسائل البشائر الى الآفاق القريبة والشاسعة .

ولنا كتابة وقصيدة تذكاريتان لهذا الانتصار الذي حصل عليه الاتراك .

الكتابة مرصعة في أعلى باب القصر الجديد وجاء فيها : « الحمد لله وحده . فتحت وهران رجعها الله للمسلمين واخرج منها الكفرة مهانين مذلولين ، في عصر السلطان الاكبر ، الملك الا مجد ، السيد سليم ، اعانه الله ، وفي عهد الاجل ، الا على الشجاع ، الانفع ، السيد حسن ، ايده الله — على يد محيي الجهاد ، ناقض الشعوب والطغيان والفساد ، السيد محمد باي ، ابن عثمان باي ، حماه الله . في تاريخ يوم الاثنين 4 من شهر رجب من سنة 1206 » .

اما القصيدة فنظمها ابوراس . وهذا جزء منها :

« فها هي وهران العدا صفت لنا ... وفي كل عورة لها لنا مرصد
كأن لم تكن بالامس ترمي صواعقا ... علينا بمزجر عتلية صلد
تقتني من النار الجحيم بنفسها ... فيا عجبا لي كيف تجتمع الضد .
بتذكارهم عمت وجمت همومنا ... الى ان نفي الاكدار قوم ممجد
بفتحه لوهران وسطة عقدهم ... بها طال ملكهم قديما ممدد
زهت به مصرا ثم انجدا وشامنا ... يضر بهم بها غريض ومعبد » .

بقي محمد الكبير أربع سنين على رأس ناحية وهران . فحظي عند الوهرانيين لأنه كان سديد الرأي وكريما .



بيت صلاة جامع الباشا

وفي سنة 1793 ، اصيبت المدينة بمجاعة مفزعة الى أن اضطر السكان الى أكل لحم الانسان والدم ولحم الخنزير . فأمر محمد الكبير باشتراء القمح من ايطاليا وفرنسا واسبانيا وبيعه في أسواق الناحية بدون دفع ضريبة 10 / 100 .

وفي العام التالي ، خرب الطاعون المدينة . وكان الحجيج قد جاؤوا به من مكة . فأصبحت وهران خالية أوكادت . فنزل الباي وعائلته وبطانته العسكرية بسهل ملطة وأقاموا به ثلاثة أشهر .

توفي محمد الكبير في سنة 1213 / 1798 ـ 1799 ، أثناء رجوعه من الجزائر حيث كان قد زار الداي ان هذا الأخيركان يغير من شعبية محمد الكبير وأمر بسمه لأنه كان يخشى أن يستقل . فخلفه ابنه عثمان وما بقي الا ثلاثة سنين على رأس ناحية الغرب . فعزله داي الجزائر لأنه كان فاسقا ولا يعتني إلا قليلا بادارة وهران . فعلم عثمان بالقرار الذي كان أخذ ضده . فجمع جميع أمواله بحصن القديسة تيريز واتصل برئيس سفينة انجليزية ناويا مغادرة المدينة . ولكن العاصفة التي كانت تعصف خيبته فسمعت اخت عثمان بمشروعه واخبرت الاغا التركي الذي كان يحكم بالمرسى الكبير . فدخل هذا الاخير وهران في منتصف الليل وسار الى القصر الجديد والقى القبض على الباي وسجنه في أحد سجون القصبة .

وأمر داي الجزائر بأن يقاد عثمان الى الجزائر ليقتل . ولكن باي وهران عرف كيف يدافع عن نفسه بصورة جيدة حتى اكتفى الداي بنفيه الى البليدة .

وبعد مدة قصيرة عين عثمان على رأس ناحية قسنطينة ومات وهويحارب ابن حراش. فخلفه مصطفى المنزلي الذي تولى الأمر بايلك وهران من 1802 الى 1805 وأثناء هذه الفترة ، حاصر ابن شريف ، خليفة ابن حراش ، الذي كان قد احتل مليانة وتنس ومعسكر وتلمسان وكان قد قضى على الجنود الاتراك الذين كانوا معسكرين بهذه المدن .

تاج من تيجان دكة جامع الباشا



كان مصطفى المنزلي قليل الشجاعة . فأمر بسد أبواب المدينة ونهى عن الخروج فكدر هذا القرار السكان . فاحترس الباي بالقصبة وهدد السكان بضرب المدينة بالمدافع اذا فتحوا الابواب فوقعت معركة بينهم وبين جيوش مصطفى المنزلي فاضطرت الى الرجوع الى ثكناتها . فوفد الاعيان الى الباي وطلبوا منه اتخاذ اجراءات صارمة . فرفض ، واضطر السكان الى الحكم الذاتي ، ولما انهزم خليفة الباي الذي كان يجول بالظهرة أمام القبائل الثائرة ، خاف داي الجزائر أن يفقد الناحية . فعزل مصطفى المنزلي وعوضه بمحمد مقالش ، ابن محمد الكبير ، وقال له : « أعينك بايا على بايلك يجب عليك أن تحتله كاملا بالتقريب . »

ركب مقالش سفينة متوجهة الى وهران ، مصحوب بمئة وخمسين خيمة تركية وعند وصوله ، القى القبض على الباي السابق وركبه في السفينة التي كان سافر على متنها ثم أمر بفتح أبواب المدينة وخرج في جميع الجيوش التي كانت تحت تصرفه واستطاع أن يبعد العدو عن السور،وحمل على المحاصرين بثلاثة مدافع تجر باليد وفرق شملهم . فبعث اذ ذاك عدة اعلانات الى القبائل الثائرة . وبعدما هزم الجيوش

التي رفضت أن تخضع له ، ارجع الهدوء الى جميع الناحية . ولكن ، بعد ثلاث سنين ظهر ابن شريف وابن حراش من جديد ودخل بنو عامر في صفوفهما . فجمع الباي جميع جيوشه وحمل على بني عامر وحاصرهم وقتل ستمئة جندي منهم بجنوبي سبخة وهران . فهرب المرابطان وبعد محاولة ثالثة فاشلة ، لجأ الى المغرب الأقصى .

فاستقبل مقالش استقبالا حارا بوهران ولكنه مالبث ان سقط في الفسق وركب الشطط بعد ارجاع السلم .

فتسلم أحمد باشا ، داي الجزائر ، شكوى من طرف أعيان المدينة . فبعث الاغا عمر الدلجي لمراقبة حسابات البايلك واحصاء الخزينة وقتل مقالش .

فكان هذا الأخير في الريف وعندما دخل المدينة أمر عمر الدلجي بتعذيبه ليجبره على ذكر المكان الذي كان قد خزن فيه ثرواته ولما قال مقالش انه انفقها ، أمر عمر الدلجي بخنقه .

ان مصطفى المنزلي الذي حكم في وهران من قبل بين 1802 و 1805 خلف مقالش في سنة 1807 . فأظهر فضائل ادارية كبيرة حتى عينه داي الجزائر كأمين المال للوصاية بعد أشهر قليلة من تعيينه على رأس ناحية الغرب . فعوضه محمد الرقيق ، الملقب ببوكابوس لأنه كان قد قتل بمسدسه شيخا عربيا جاء يقدم له اعتذاراته .

وبعد قمع الثورة التي احدثها المرابط المغربي بوترفاس . صهر ابن شريف ، في الغرب الجزائري ، في سنة 1226 / 1812 ، رفض بوكابوس ان يبعث الجيوش التي كان طلبها منه داي الجزائر لمحاربة وصاية تونس وأمر بسجن جميع القادة الاتراك الموجودين بتنس وتلمسان ومعسكر ومستغانم . فغضب عليه داي الجزائر وسير اليه عمر اغا عن طريق البر ومولى أحمد عن طريق البحر . فرجع بوكابوس بسرعة الى وهران ولما كان رسول الداي موجودا بها ، لجأ الى البرج الأحمر وهدد الوهرانيين بنسف مخازن البارود الموجودة بالقصر الجديد ، إن لم يجبروا مبعوث داي الجزائر على ركوب البحر .

وبفضل تدخل كاتبه ، مصطفى بن جلول ، لم ينفذ تهديداته وعبر عن ندامته العميقة وطالب بالحاح أن ينجوه من الموت . فطلب منه المفاوض في اجابته أن يستغفر الله . وبعد مدة قصيرة القى القبض عليه وعذب وضربت عنقه .

وكان خليفته علي قرا بغلي صهر محمد الكبير قد عاش وسط العلماء والناس المخلصين وأمر باصلاحات نافعة الى ان مالت اليه قلوب سكان ناحية وهران ولما كانت سيرته تختلف تماما عن سيرة داي الجزائر الذي كان ظالما وفاسقا ، غار هذا الاخير من شعبيته وأمر بقتله بالقرب من مليانة ، بينما كان في طريق العودة الى وهران ، بعدما دفع الدنوش أي الضريبة .

وكان حسن ، آخر باي لوهران ، في أول الأمر ، يخدم الباي عثمان كحارس ثم كطباخ . ثم أصبح صاحب دكان يبيع فيه التبغ والغلايين وعددا قليلا من التحف الشرقية الثمينة . فتأثر الباي بوكابوس من ذكائه وآدابه واستخدمه وزوجه بنته بدرة فامتاز حسن بفضائله الإدارية وفي عهد قرا بغلي لم يقم بعمل يستحق الذكر ولكن

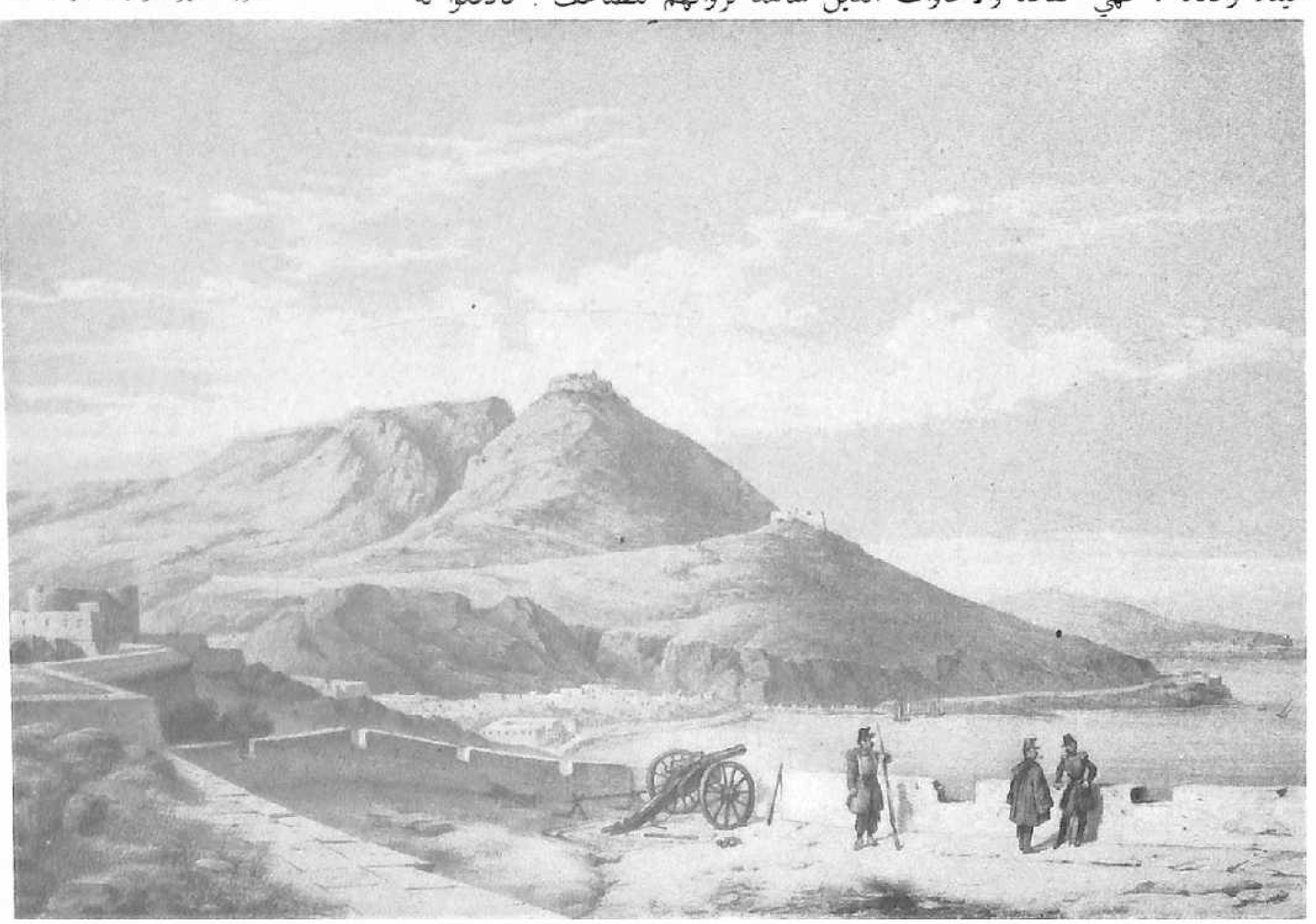
بعد موت هذا الأخير ، اقترح نفسه لخلافته . فاستقبل داي الجزائر طلبه بتلطف وعينه على رأس ناحية الغرب ، وكان تعيينه في الوقت الذي انتهى فيه القحط الذي اصاب وهران . فاستقبله سكان وهران بحسن الالتفات .

وبعدما تبوأ الحكم ، قمع حسن الثورات التي كان أثارها الحاج محي الدين وتجيني وابن القندوز . فبعث الأول الى وهران وما نجا الا بفضل تدخل زوجة حسن واعتقل بوهران . وحوصر الثاني بعين ماضي وقبل أن يدفع الضريبة . ثم تحالف مع قبيلة هاشم وزحف الى معسكر حيث استطاع الباي أن يتغلب عليه في سنة 1242 / 1826 _ 1827 . أما الشيخ ابن القندوز ، فانهزم وقتل مشنوقا في نفس السنة .

وبعدما ركّز حسن سلطته ، تغيرت طبيعته فأصبح حريصا على المال وقاسيا ومستبدا . فضعف الغرائم وطلب ممن يريدون احتلال المناصب أموالا كثيرة وكلما توّفي شخص وترك الأموال والدراهم ، وضع نفسه من بين الورثاء . الحاصل ، كان يستعمل جميع الوسائل لجمع الأموال كما تبينه لنا هذه الحكاية التي رواها كاتبه المزاري .

« في يوم من الأيام ، اعتبر حسن فقر رعيته وغنى الاغاوات والقادة والموظفين . فدعا هؤلاء وقال لهم : «أيها السادة السامون المحيطون بي ، أطرح عليكم هذا اللغز : « ضعفت من رجلي ويدي وسمنت من اذني وعيني » . فأخذ كل واحد منهم يفكر لحل اللغز ثم ، في الاخير ، قال محمد المزاري : « يا حضرة السادة ، أن سيدنا عندما يتحدث عن رجليه ويديه ، يعني رعيته التي شاهد فقرها بنفسه . أما عيناه واذناه ، فهي القادة والاغاوات الذين شاهد ثرواتهم تتضاعف . فادفعوا له

وهران في سنة 1831 . أمام الصورة تظهر اسوار القصر الجديد .



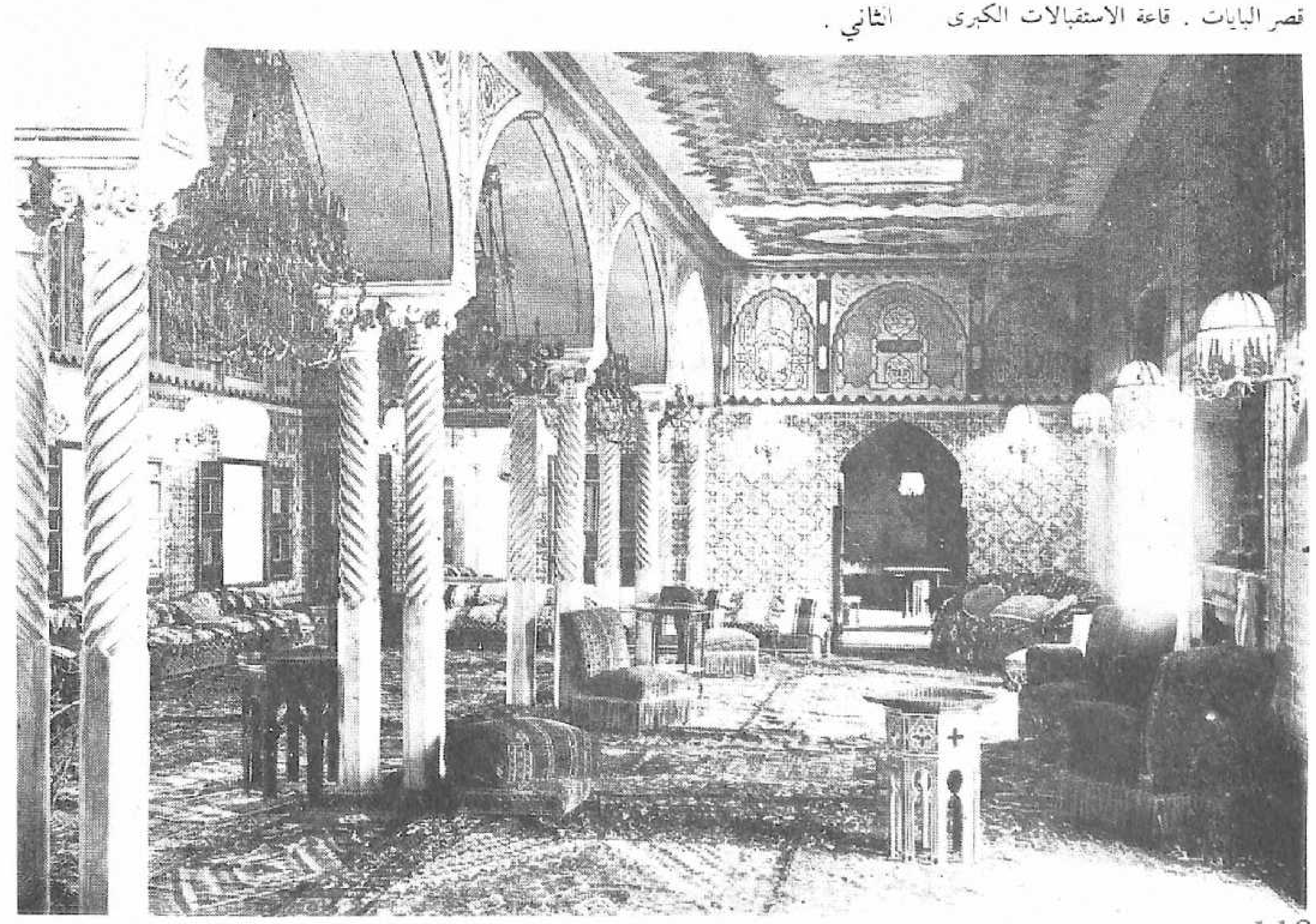
أموالا حتى لا يصبح كل واحد منكم في حالة سيئة . ثم دنا فورا من الباي وسلم له صكا عاهده فيه على دفع مبلغ يرضيه وقال له : «هذه الاجابة عن لغزكم . إني احدى عينيكم واحدى اذنيكم» . فقال الباي : «والله تحسن حل الالغاز» . وفي الحين ، دفع كل واحد من الاعيان ما استطاع . فسر الباي بذلك وأصبح يعزّ المزاري . »

إن قساوة حسن ادته الى قتل عدد كبير من رعيته الذين كانوا يربونه . ولكن ما اعجب سخرية القدر ، هو الذي كان يرجف منه جميع سكان ناحية وهران ، كان يخاف من زوجته خوفا شديدا كما نراه عبر النص التالي الذي اقتبسناه من كتاب والسين استرهازي :

«كان حسن ، كما ذكرناه ، تزوج ببنت الباي بوكابوس ، المسماة ببدرة . فكانت ورثت التكبر من ابيها وكان زوجها يخاف منها خوفا مفرطا . وقيل إنها كانت دائما تمشي حاملة ياتاغانا من الذهب ومسدسين في نطاقها . وحكي انها قتلت بياتاغانها وفي سرير زوجها أمة كان اشتراها هذا الأخير . كما كانت تأخذ من ثمن قنادير القادة الذين كان تم تعيينهم مبلغا يساوي الف ريال بوجو . غير انها كانت تنفق هذه الأموال باكرام وكانت تحسن الى الفقراء وكثيرا ما تبعث الهدايا الثمينة الى حريم الباشا » .

وفي عهد هذا الباي الذي كان لا يحكم في بيته انتهى الحكم العثماني الثاني .

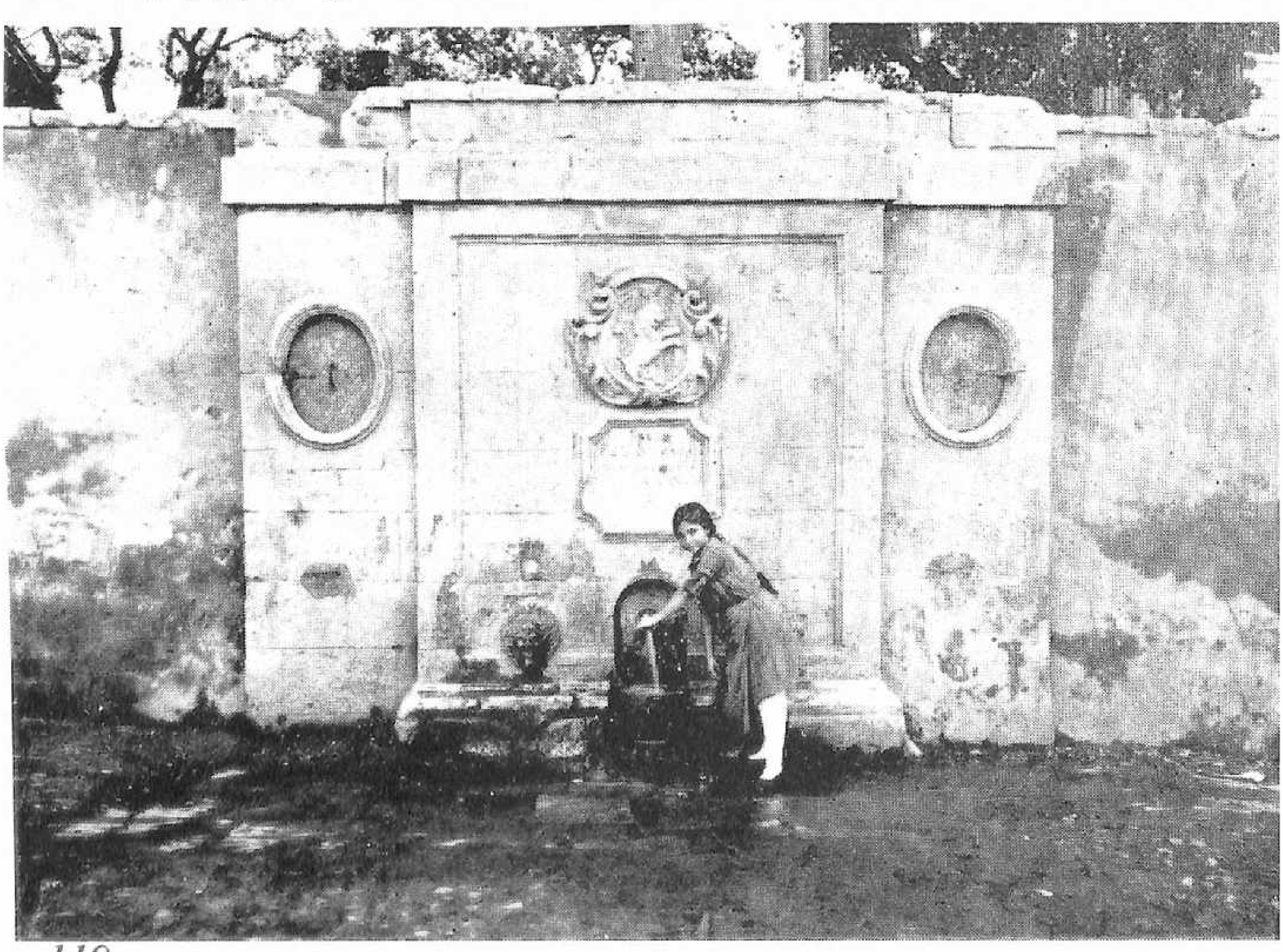
قصر البايات . قاعة الاستقبالات الكبرى



بالفعل ، بعد دخول الفرنسيين الى الجزائر ، حوصرت وهران من طرف القبائل العربية للناحية ، فعزم حسن على مغادرة المدينة واللجوء الى معسكر . فعارض الوهرانيون مشروعه . فطلب حماية الجيش الفرنسي وعاهده بتسليم وهران وبروجها له ، ان سمح له بالسير الى حلب ، بالشام .

فلبى الفرنسيون طلبه واستطاعوا أن يحتلوا المرسى الكبير ولكنهم غادروه بعد ثورة يوليو . فاحتلوا هذا الميناء من جديد في 13 ديسمبر 1830 ، تلبية لطلب الباي حسن ، ودخلوا وهران في 4 يناير 1831 .

العين القديمة ( الموجودة في ساحة دورليون )



الولاية القديمة


باب الخندق

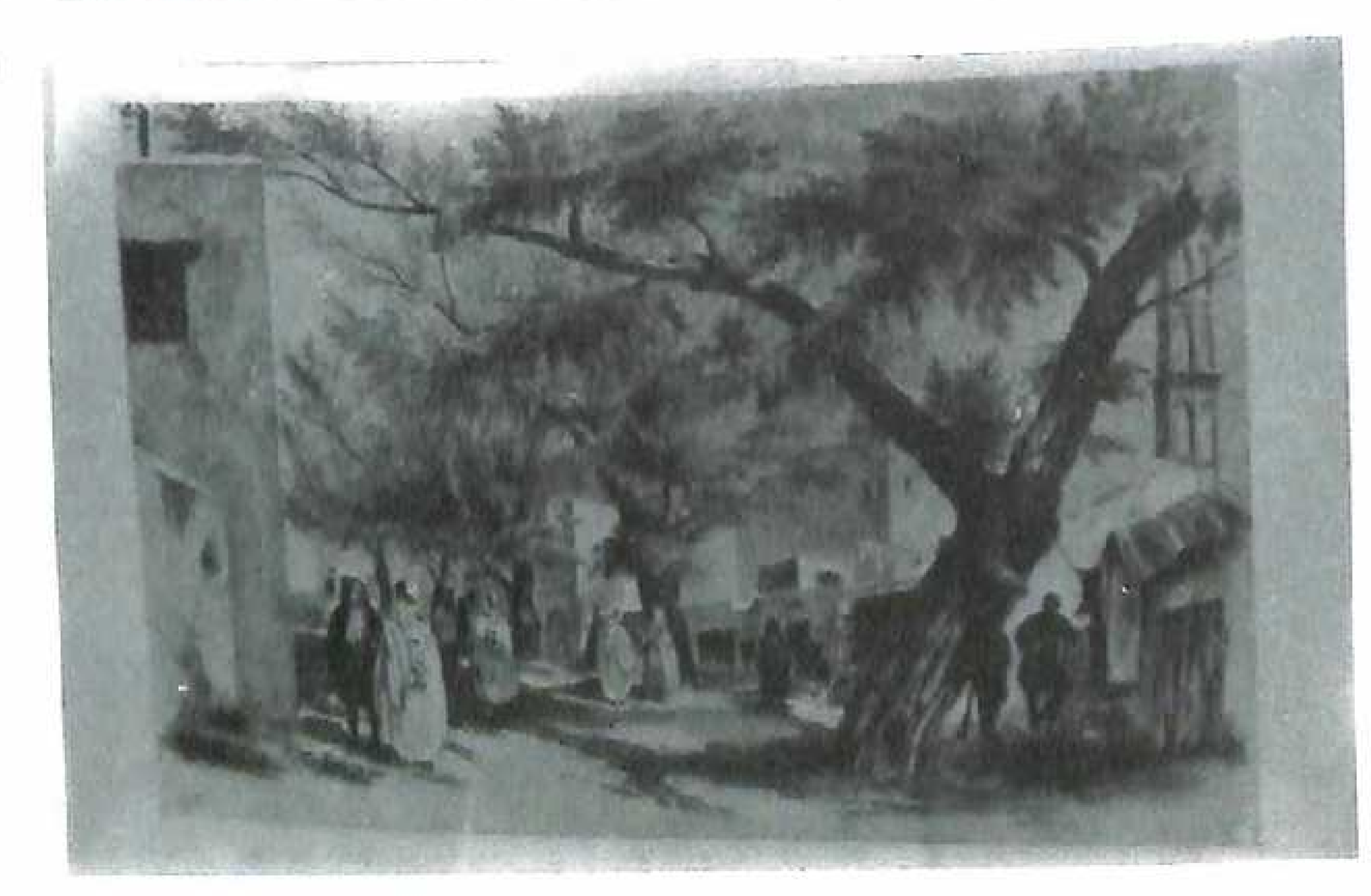


# الحياة الإقتصادية والإجتماعية
# النظام الإداري والعسكري

بذل محمد الكبير كل جهوده لتنشيط اقتصاد عاصمته الجديدة ، بعد تعيينه مباشرة كباي وهران . فاعتنى في أول الأمر بتعميرها ، ولذلك وجه نداء الى سكان المدية ومليانة وتلمسان ومعسكر ، لتعمير وهران ، كما سمح لبعض العائلات الاسبانية بالبقاء بالمدينة ولكن هذه الاخيرة طلبت بعد مدة قصيرة الرجوع الى وطنها وهكذا لم يبق بوهران إلا أوربي واحد هو دومينيك قالاردو الذي اسلم وأصبح صائغ الباي ..



وهران في سنة 1832 . مطحنة بوادي وهران . شارع فيليب (رسوم)



وأخيرا ، أذن للمسلمين الذين كانوا قد ساعدوا الاسبانيين ، بالاستقرار بوهران وعاهدهم بانه لن يعاقبهم على الاعمال الجنائية التي ارتكبوها قبل ذهاب الاسبانيين .

وحتى ينشط التجارة ، باع بثمن قليل جدا ، أراضي موجودة بين القصر الجديد وبرج القديس اندراوس ، بشرط واحد وهو أن تبنى المباني في أماكن معينة وسلمها ليهود من ندرومة ومستغانم وتلمسان ومعسكر .

أما فيما يخص الاملاك الخاصة التي تركها الاسبانيون ، فباع الباي البعض منها واهدى الباقي باحكام صدرت منه ، كتبها خوجته وختمت بخاتمة .

وفي نفس الوقت الذي عمر فيه مدينته ونشط تجارتها ، اعطاها نظاما اداريا وعسكريا يسمح لها بأن تلعب دورها كعاصمة ناحية الغرب الجزائري بصورة حسنة .



برج سانتا كروز وخندق امر بحفره فاليخو



الميناء في سنة 1951 . منظر عام



كنيسة سانتاكروز

فكان على رأس هذه الناحية الباي الذي يساعده خليفتان وله حاشية عسكرية ومكاحلية وشواش وسيار وعلامين وغناؤون زبنطوط ونوبة ووكيل يمثله لدى داي الجزائر .

كانت الحاشية العسكرية تضم خمسين فارسا تركيا يرافقون الباي كلما خرج وكانوا مكلفين بجباية الغرائم التي كان فرضها الباي على القبائل . كما كانوا مكلفين بجمع العشور في البايلك كله والسير بها الى المرسى الكبير حيث كانوا يسلمونها لقائد المرسى .

أما المكاحلية فيبلغ عددهم خمسة عشر وكان على رأسهم قائد . وهم مكلفون بحراسة خزينة الباي وبمساهمة الشواش بحراسة خيمته .

وكان عدد الشواش يساوي خمسة عشر هو الآخر من بينهم خمسة شواش أتراك على رأسهم باش شاوش وعشرة شواش عرب من قبائل المخزن .

وكان السيار مكلفين بتسليم رسائل الباي للداي وبالرسائل الشفاهية . فكانوا مسؤولين عن الاسرار التي كانت تسار اليهم . وكان فرسان قبائل المخزن مكلفين بنقل

الأوامر الى مدن البايلك .

وكان على رأس علامي الباي السبعة ، باش علام بينما كان على رأس الغنائين باش غياط،له تحت تصرفه باش زرناجي قائد الزرناجية وباش أولاجي قائد الطبالين .

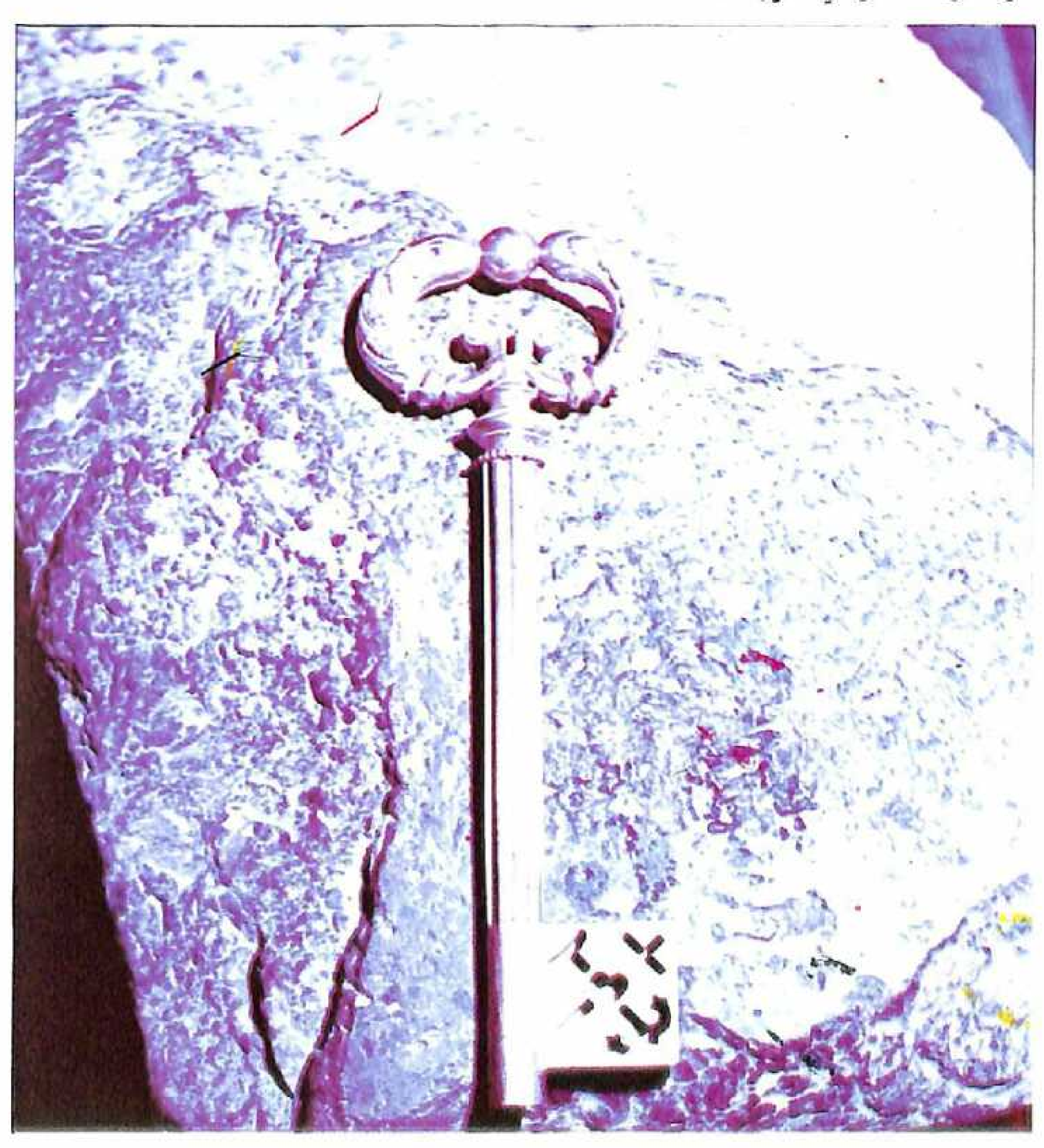
وكان جميع هؤلاء الموظفين وخدام الباي يتسلمون العوائد من أيدي القادة العرب عند توليتهم أما الزبنطوط الذين سموا بهذا الاسم لأنهم غير متزوجين فيكونون القوة التركية العظيمة التي يضعها الباي في المقدمة أثناء الغزوات والحملات .

فكان الزبنطوط جيشا ممتازا مكونا من خمسة خيم ، أي 115 جنديا . وكان اغاهم خليفة الكرسي للباي ، وكانت تسلم بغلة لكل واحد منهم ، على نفقة البايلك ، يقودها سائس عربي يؤجر من طرف أمين المال للباي .

وكان الزبنطوط يركبون البغلات ويصلون بدون تعب الى ميدان القتال ، بينما كان الشواش يمشون وراءهم على اقدامهم .

وكان كل زبنطوط يتسلم عشرة ريالات بوجو من غنائم الحرب وان كانت الغنائم قليلة كان يتسلم ثلاثة ريالات .

وحتى يشجعهم الباي ، كان يعاهدهم بجزاء يقيمون له وزنا كبيرا وهو تسيير مقهى الزبنطوط الذي كان يقوم به كل سنة الزبنطوط الأربعة الممتازين . وكان لهؤلاء الزبنطوط الحق في المراباة .



مفتاح اهدته مدينة وهران نابوليون الثالث



المسرح

كانت نوبة وهران مكونة من خمسة عشر فرقة تحتوي كل واحدة منها على 23 جنديا . وكان على رأس النوبة أغا يساعده كايا نائب وودا باشي وبلوك باشي ووكيل الحرج . فكان هؤلاء الاشخاص الخمسة يكوّنون المجلس الذي يقضي في شؤون الاتراك والكلغان الذين يسكنون في المدينة كما كانت تشتمل على فرقة من البومباجية تحت أمر بومبجي وفرقة الطبجية تخضع لباش طبجي .

وكانت كل فرقة تتسلم القمح وكبشا كل خمسة أيام وعشرين رطلا من السمن وجرة زيت وخمسة وعشرين رطلا من الصابون شهريا .

أما الوكيل الذي كان في خدمة باي وهران فكان مكلفا رسميا بتقديم سيار الباي للداي . ولكن مهمته الرئيسية هي اخبار الباي بالحالة الروحية للباي والموظفين السامين واكتشاف ، عرضيا ، الدسائس التي كانت تدس عليه .

غير ان باي وهران الذي كان قائد ناحيته بلا ريب ، كان تحت أمر داي الجزائر ومجبورا على زيارته مرة كل ثلاث سنين بمناسبة دفع الدنوش أي الضريبة .

فكان الدنوش يحتوي على أربعين الف ريال بوجو وعدد كبير من العبيد والحياك وأربعين فرسا من النوع الممتاز .

كما كان مضطرا الى تقديم هدايا الى الداي والموظفين السامين والى بعث خليفته الى الجزائر كل ستة أشهر ، بدنوش يشتمل على مئة الف ريال بوجو وجلود من نوع فيلالي أحمر لصناعة السوق وعدد محدد من العبيد والاماء وحياك وبرانس سوداء وبيضاء والاحصنة والبغال .

وكان الداي من جهة أخرى يتسلم دخل زكاة وعشور الناحية كلها . فكان قمح وشعير العشور يباعان بالمرسى الكبير من طرف قائد المرسى . أما قطعان الزكاة فكانت تباع بمزاد علني من طرف عمال الخزينة . وكان مبلغها يدفع مباشرة للداي .

كما كان يتسلم اخيرا ضريبة تدفعها جميع مدن البايلك تسمى «ضيفة متاع دار السلطان أو ضيفة متاع خير الدين» ، كان مبلغها يتراوح ما بين الف وخمسمئة وثلاثة آلاف ريال .

بعدما بينا كيف كان نظام الادارة المركزية وما هي الضرائب والغرائم التي كانت تدفع لداي الجزائر ، فلنر كيف كان نظام القبائل والمدن وكيف كان البايات يضمنون امان المواصلات في بايلكهم فكانت قبائل ناحية وهران مقسمة على قبائل المخزن وقبائل الرعية .

كانت قبائل المخزن مكلفة بجباية الضرائب التي تدفعها قبائل الرعية . وما كانت تدفع الا الضرائب التي ينص عليها القرآن والتي يجب على كل مسلم دفعها وضريبة نقدية قليلة تسمى ثمن المهمز .

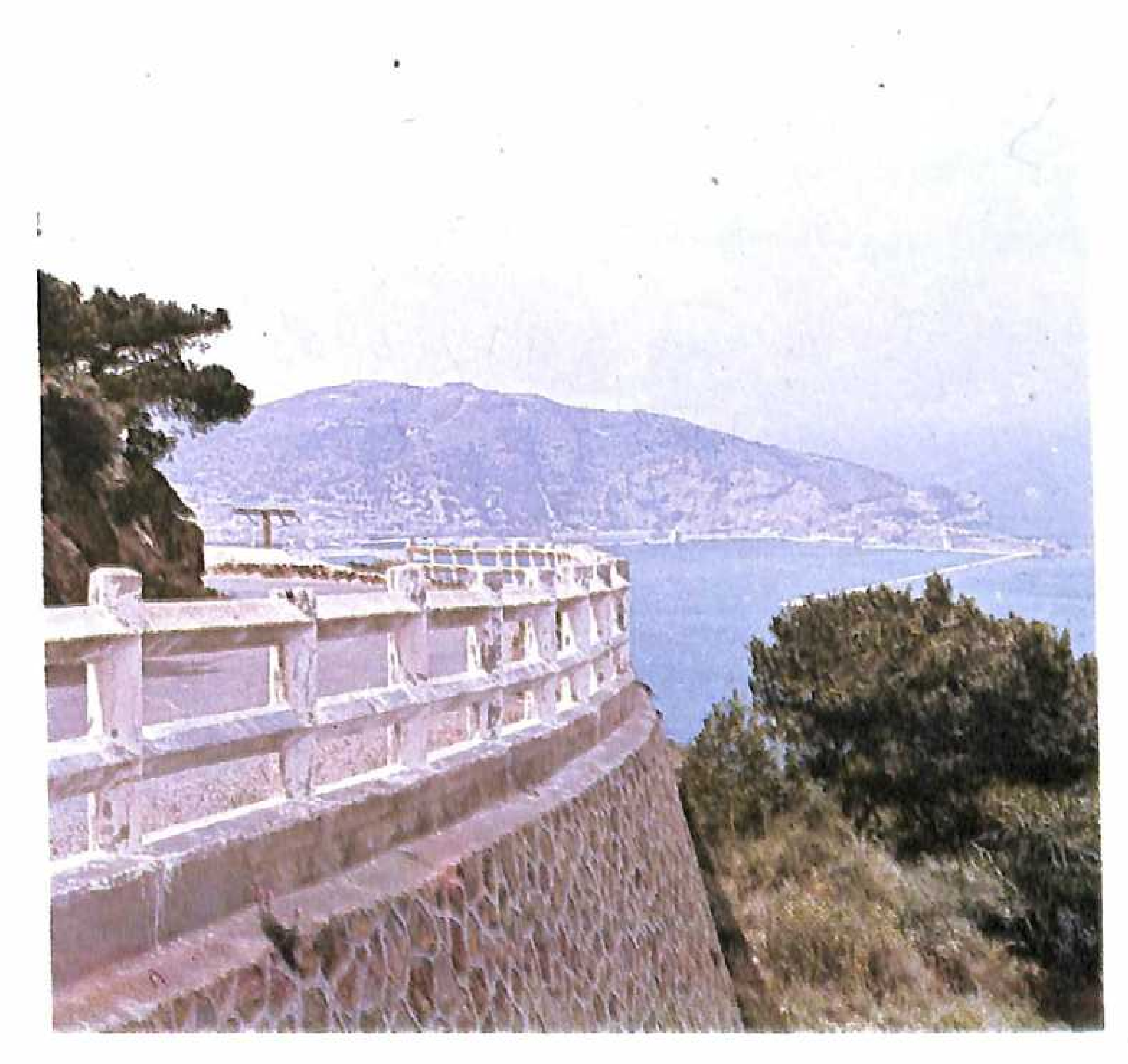
كانت قبائل المخزن الرئيسية هي قبيلة الدوائر وقبيلة الزمالة اللتان كانتا قريبتين أكثر من وهران . وكل واحدة من هاتين القبيلتين كان على رأسها اغوان معينان من طرف باي وهران وكانا يحكمان جيش قبيلتهما بالتداول مدة سنة . فكان اغوا الدوائر يدفعان

للباي أربعين الف ريال بوجوليرتديا قندورة التولية بينما كان اغوا الزمالة يدفعان عشرين الف ريال .

كما كانت قبائل المخزن مجبورة على تقديم عدد محدد من الفرسان للباي .

وكان مفروضا على قبائل الرعية دفع الضرائب القرآنية ( عشور وزكاة ) وضريبة نقدية تسمى لزمة وضريبة عينية تناسب مواردها . أما المدن . فكان على رأسها قائد معين من طرف الباي ومضطر الى دفع مبلغ يتراوح بين عشرة الاف وثلاثين الف ريال للباي عندما يرتدي برنس التولية . فكان القائد يقضي في شؤون عرب ويهود المدينة وكان صناع المدن منظمين في نقابات كان على رأس كل واحدة منها أمين يشتري منصبه من القائد . وكان العمال المسجلون عند الامين لا يدفعون الضرائب ولكن كان تسخيرهم ممكنا من طرف المصالح المختلفة للبايلك .

أما امان المواصلات بين مختلف مدن الناحية ، فكان مضمونا بوجود قناقات على رأسها شيوخ مسؤولون على امان المسافرين .



شارع على شاطيء البحر

# الحياة الدينية والفكرية

# النشاط المعماري

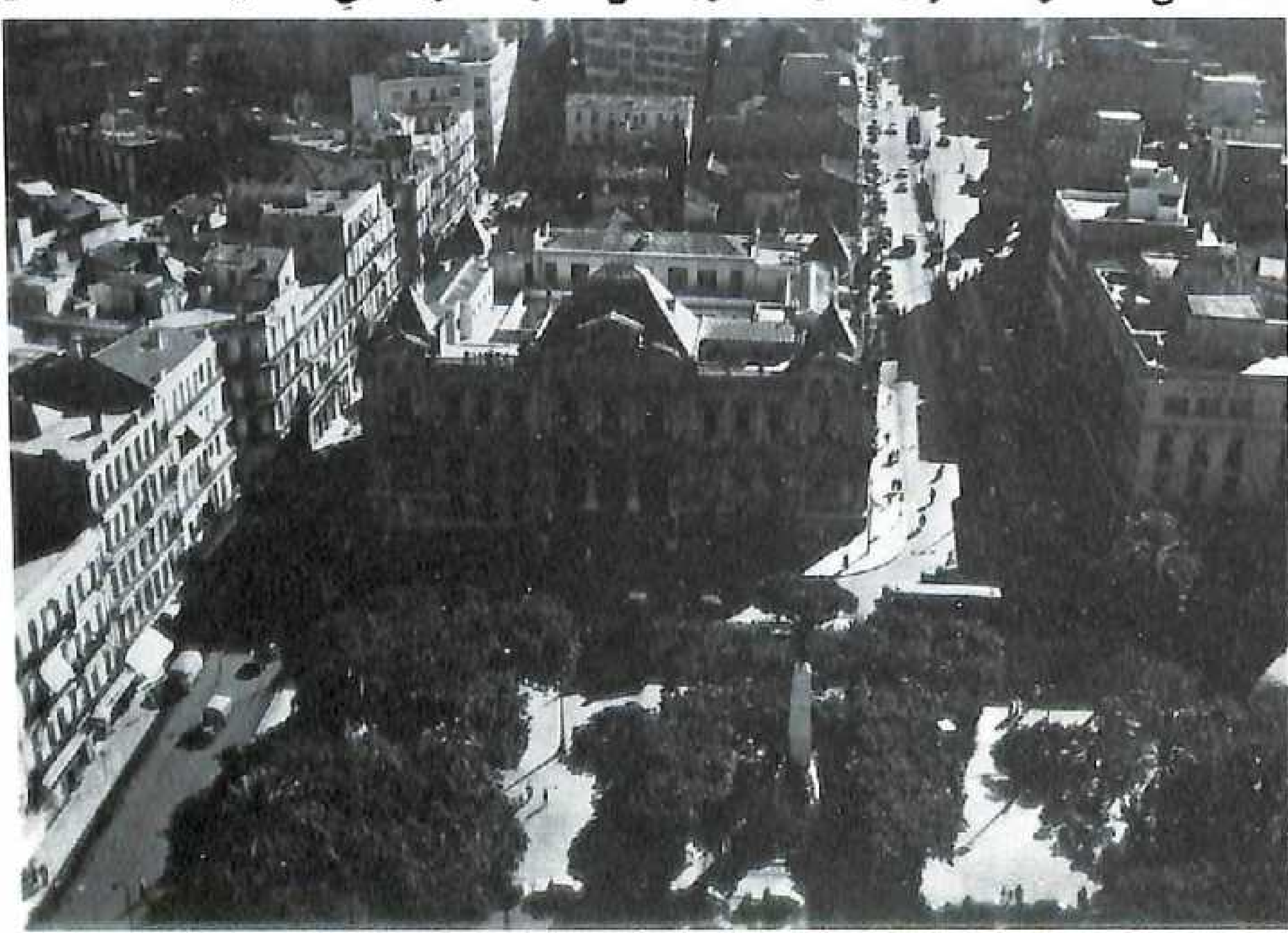
إن أشهر أولياء هذه الفترة ، هو الشيخ سحنون الذي كان يعيش في عهد الباي حسن .

فأشار نمامون الى الباي حسن ان ابن سحنون يدس عليه . فكلف كاتبه المزاري بإلقاء القبض على ابن سحنون وبالاتيان به مقيدا .

فسار المزاري الى بيت الشيخ وطلب منه ان يتبعه ولكن ابن سحنون طالبه بالتقييد كما كان قد أمر به .

عندما وصل المزاري الى وهران سلم اسيره الى الباي قائلا : « يا سيدي ، جئت بالرجل الذي أمرتني باحضاره على الشروط التي حددتها . فاطلب منك أن تعفو له ولا تأخذ بعين الاعتبار أقوال البقباقين » .

فأمر ،الباي باحضار ابن سحنون وقال له : «والآن أيها الرجل ماذا سمعنا عنك وعن الناس الذين يجتمعون حولك في جميع الأوقات وعن الوفود التي يبعثونها اليك في كل وقت ؟ » فقال ابن سحنون : « ان اخبروكم اني ضربت خيمة لاستقبال الطلبة والضيوف الذين يبعثهم الله الي ورجال المخزن عندما يتقدمون ، فقالوا لكم الحق اليقين . ولكن ان افادوكم باخبار أخرى فحاكوا العلل بحيث اني انسان خاضع لأمير المؤمنين كما أمرنا بذلك الرسول ومولانا الجليل المجيد . » . ـ فقال الباي : « اتخيل انك تكسب بعض المواهب السرية وأريد أن امتحنك ببلايا . ان كنت ممن تسلموا الأسرار الالهية تنجو بفضل القوة السرية التي تكسبها وان كنت من



بلدية وهران في سنة 1957




شارع من شوارع وهران القديمة



ساحة الأمير عبد القادر

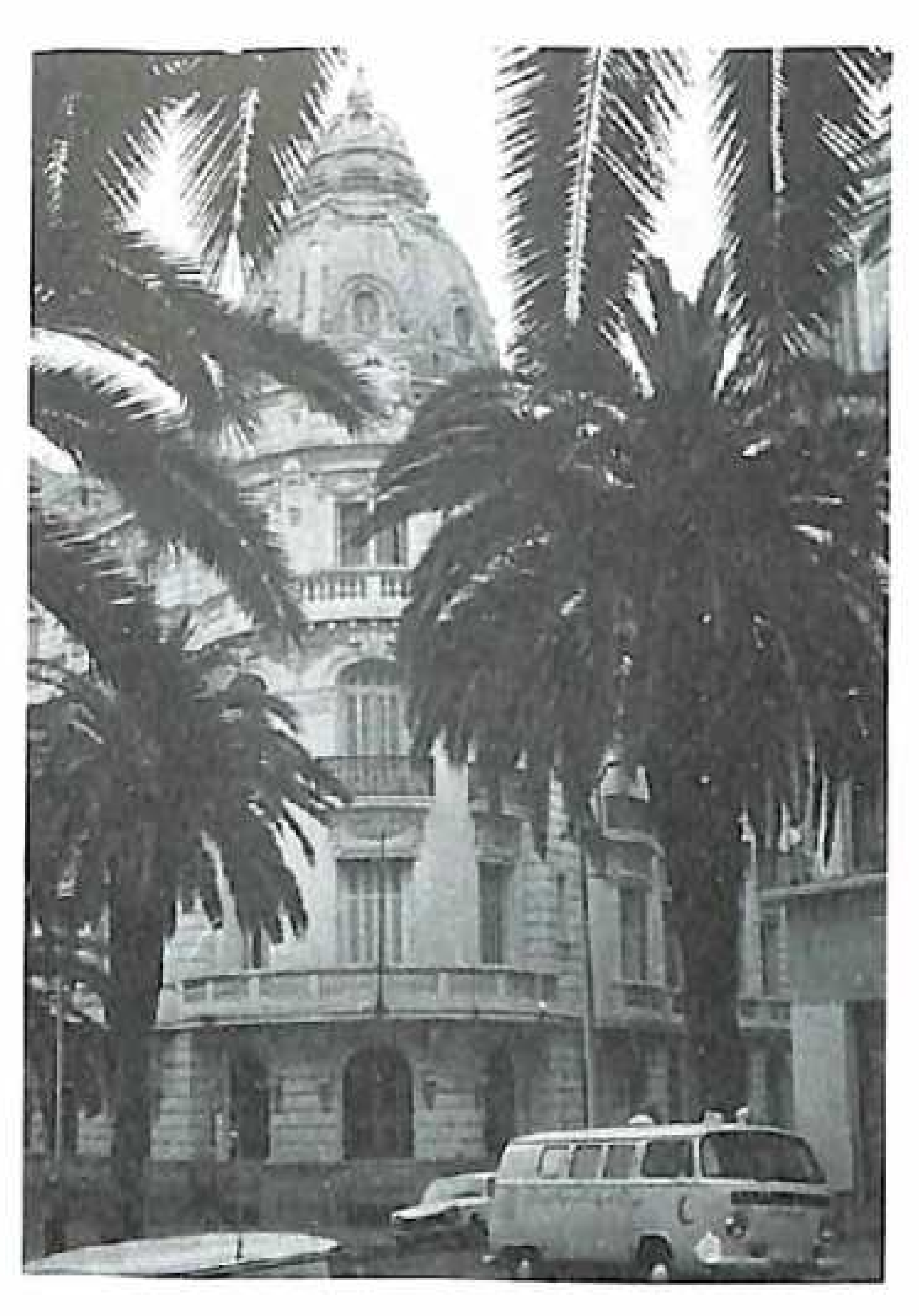
اتباع الشيطان ان هذه البلايا تقضي عليك . » فقال الوالي :« افعلوا ما تريدون ليكن كذلك لكني أقول لكم كلمة : ان قتلتموني قتلا مفجعا تموتون موتا مفجعا وان لم تؤذوني لن تؤذوا وإن طردتموني عن طريق البر ستطردون عن طريق البر وإن طردتموني عن طريق البحر ستطردون عن طريق البحر. انظروا بانفسكم ما هي الوسيلة التي تختارونها لتنجوا من الاسر . »

فأمر الباي في أول الأمر برميه على كلاليب من الحديد . فأخذ الولي يلعب على هذه الكلاليب بمحضر الباي الذي كان لم يكف عن النظر اليه . وكان العذاب الثاني الرمي به في قفص الأسود ولكن هذه الوحوش حركت اذنا بها واستقبلت الولي بخضوع . ثم أخذ ابن سحنون يركب هذه الوحوش ، وحشا بعد وحش . فتحملته بسرور وذلك أمام الباي ورجال حاشيته الذين كانوا يرافقونه . وبعد ذلك أمر الباي برميه في فرن . فانطفأت نار الفرن كأنّ الماء رمي على هذا البناء . فامتد فيه الولي طولا وعرضا ظهره مسند الى الجدار بينما كان الناس ينظرون اليه ويتناظرون متعجبين بأمر الله الواحد الخالق . وفي الأخير ، أمر الباي بإخراج ابن سحنون وبعثه الى دار المزاري قائلا : « نبعثك غدا الى بني سناسن عن طريق البحر ويلحقك أهلك عن طريق البر بسلامة وأمان » .

ان حكم العثماني الثاني شاهد انتاج خمسة كتب تاريخية وادبية .

كان الكتاب الأول : « الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني » عبارة عن قصيدة مصحوبة بتعاليق نظمها أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الشريف على شرف الباي محمد الكبير في سنة 1206 / 1791 . وهي تعطينا معلومات ثمينة عن حياة باي وهران ومآثره .. أما الكتاب الثاني فيحمل عنوان : « عجائب الأسفار في لطائف الاخبار » وهو من تأليف أبي رأس بن أحمد بن عبد القادر النصري . وهو قصيدة تحتوي على 118 بيتا مصحوبة بتعاليق تروي لنا تاريخ وهران .

أما الكتاب الثالث : « دليل الحيران وانس السهران في أخبار مدينة وهران »

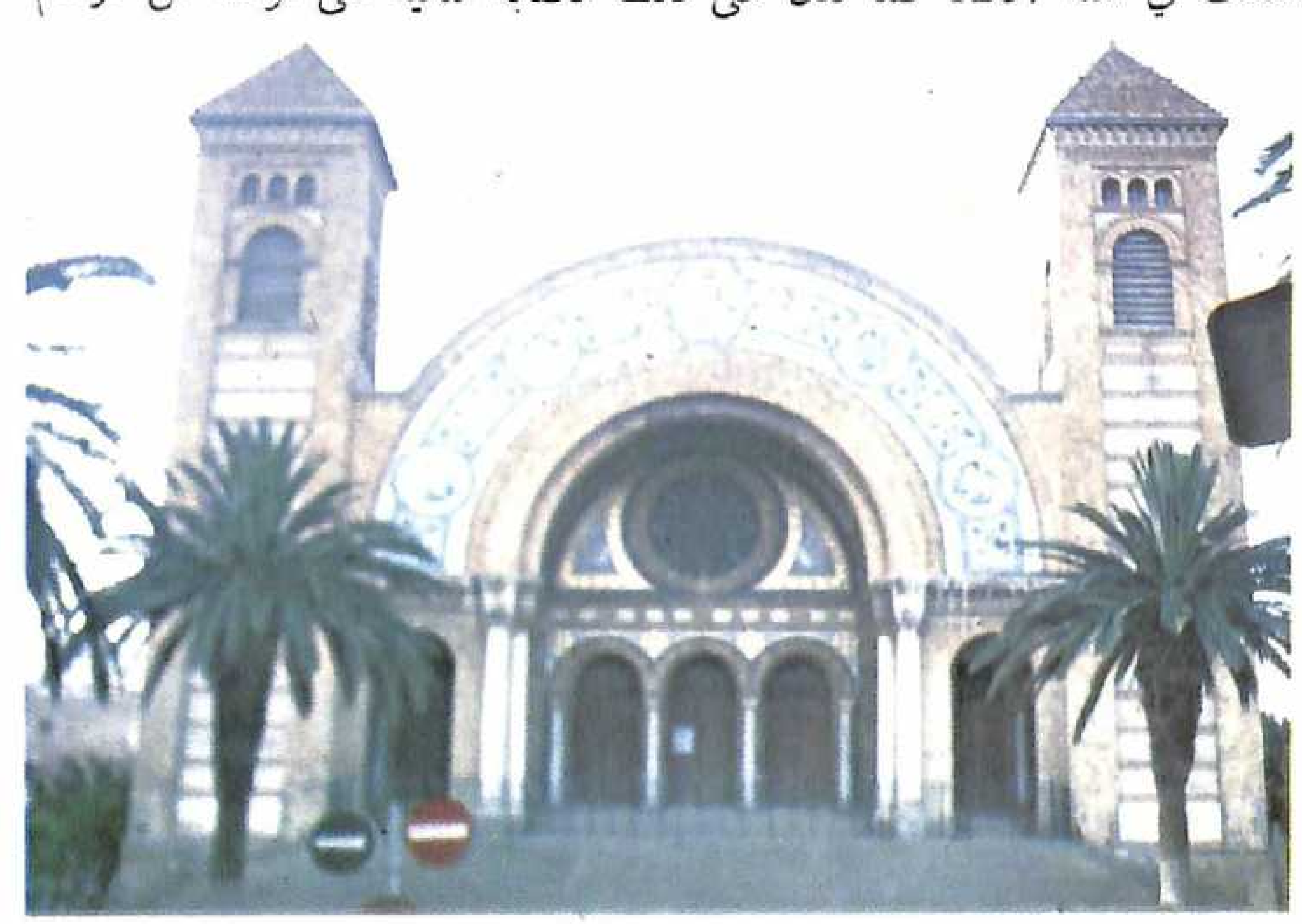




فهو من تأليف محمد بن يوسف الزياني . وكان الكتاب الرابع : « طلعة سعد السعود في اخبار مدينة وهران ومخازنها الاسود » ألفه المزاري وافادنا باخبار ممتعة عن حسن ، آخر بايات وهران .

وكان الكتاب الأخير ، الذي الفه حسن خوجة التركي ، يحمل عنوان : « در الاعيان في اخبار وهران » .

هذا بالاضافة للنشاط المعماري الكبير الذي عرفته مدينة وهران خلال هذه الفترة بحيث أمر محمد الكبير ببناء مسجدين . المسجد الأول داخل بناء المستشفى والقي عليه اسم مسجد سيدي محمد الهواري يحتوي على بيت صلاة مكونة من ثلاثة اساكيب يحددها صفان من الاعمدة المزدوجة تعتمد اليها اقواس مدببة . ومحراب بسيط جدا وله مشكاة مربعة الشكل . ويمتاز هذا المسجد خصوصا بمئذنة اسست في سنة **1207** كما تدل على ذلك الكتابة التالية على لوحة من الرخام



كاتدرائية وهران

مرصّعة في القسم السفلي للوجه الذي يقابل الصحن :

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله .

أما بعد . فقد أمر بانشاء هذه المنارة الرفيعة المأذنة

الرائقة البديعة عبد الله المجاهد في سبيل الله

السيد محمد بن عثمان

باي الايالة الغربية تلمسان

وفاتح ثغرة وهران كان الله له حيث كان سنة **1207** »

تشابه هذه المئدنة المآذن الزيانية والمرينية التلمسانية وتحتوي على برج رئيسي وبريج .

أما البرج الرئيسي فله أربعة وجوه كلها مزينة بزخرفة تحتوي على ثلاث لوحات منضدة . اللوحة السفلي مؤثثة بأقواس عديدة الفصوص ، والثانية بشبكة من المعينات والثالثة بافريز من الأقواس المفصصة . أما البريج فهو مزخرف بقوس في وجوهه الأربعة ومكلل بقبيبة .

ويحمل المسجد الثاني اسم مسجد الباي محمد بن عثمان ، أسس سنة **1799** ويمتاز بقبته وأصالة زخرفة مئذنته . وبجانب هذين المسجدين ، شيد محمد الكبير ، بالبرج الأحمر ، قاعة للاستقبالات تغني بها ابورأس كما أسس في عهده المسجد الجامع المسمي بمسجد الباشا الذي أمر بتشييده والتي داي الجزائر بالمال الصادر من بيع الأسرى المسيحيين . ان الكتابة التي تذكر تاريخ تأسيسه تعطينا قائمة حبسه مرسومة على لوحة من الرخام محفوظة بمتحف وهران .

الدخول الى هذا البناء من مدخل واجهته الخارجية المزينة بزخرفة منظمة حول قوس محدوب الشكل وتحتوي على حافة مستديرة وأربع زوايا وحافة مستطيلة وافريز كتابي ومجموعة من الحاملات الصغيرة وافريز من الشرفات .

تقع الحافة المستديرة بين القوس الافتتاحية وقوس متوازية لها . انها مزينة بسبع فقرات صغيرة على شكل مربع منحرف وفقرتين كبيرتين مؤثثتين بزخرفة نباتية .

أما الزوايا فمؤثثة بأرضية نباتية تتوسطها قفلة مقولبة بارزة على مربع ثماني الاسنان وتحتوي الحافة المستطيلة على شريطين قائمين مزينين بمشبكات هندسية وشريط





أفقي حيث تندرج كتابة بالخط اللين تجري داخل خرطوشين مثمنين محاطين بمربعين ثماني الاسنان .

ويقع الافريز الكتابي فوق الحافة المستطيلة ويمثل جزءا من الآية 75 من سورة الحج : « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم » .

أما الحاملات الصغيرة التي تعلو الافريز الذي سبق ذكره ، فمزينة بعنصر زخرفي مكون من حلقتين كبيرتين يحيطان بحلقة صغيرة .

أما الشرفات التي تكلل الواجهة ، فهي على شكل زهرة ثلاثية الفصوص .

ويتوسط داخل المدخل رواق نصف دائري يحيط بصحن من نفس الشكل . ان هذا الرواق مكون من أقواس مدببة معتمدة على اعمدة انيقة مكللة بتيجان تذكرنا بتيجان أعمدة المنصورة . وهناك جوسقا صغيرا متصلا بقاعدة قبة المدخل يعلو فسقية المعدة للوضوء . فيقدم ، في ثلاثة وجوه قوسا ذات شراشر وعلى الوجه الرابع ثلاث أقواس ثلاثية الفصوص معتمدة على أعمدة انيقة أعلى من أعمدة الرواق ، تعلوها تيجان تذكرنا بتيجان قصر الحمراء بغرناطة . ان الأقواس الثلاثية الفصوص محاطة بحنايا مؤثثة بزهور تندرج في لوحة مزينة بعناصر متكررة تشابه العناصر التي تزخرف جدران مسجد سيدي ابي الحسن ومسجد سيدي ابي مدين بتلمسان . فتكلل الجوسق قبة ذات قاعدة ثمانية الاضلاع . ووجوه هذا البناء التي تطل على الصحن مزينة باشرطة قائمة مؤثثة بمشبكات واشرطة أفقية ودوائر مزينة بكتابات .

جاء في الدوائر : « الملك لله » و« البقاء لله » وفي الاشرطة ، بداية الآية السادسة لسورة المائدة الخاصة بالوضوء : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » . . أما صحن المسجد فمبلط بقطع من الزليج على شكل مضلع سداسي الاضلاع أو مستطيلة خضراء وبيضاء . وهو مزين بجنينتين .

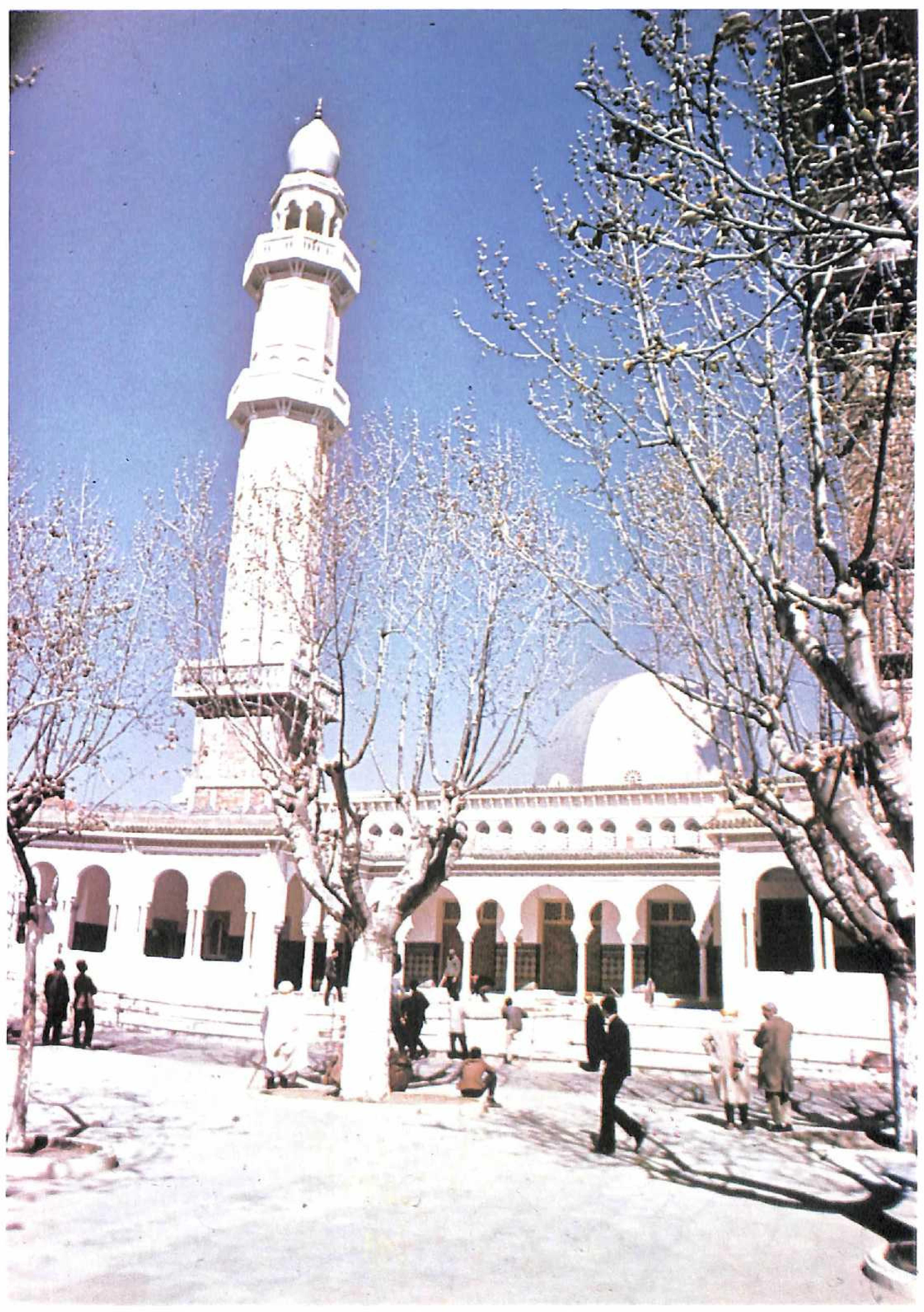
ومن الصحن ، ندخل في بيت الصلاة من باب يقابل الجوسق ويقدم زخرفة مكونة من حنية نصف دائرية وزاويتين مؤثثتين بفرش نباتي .
فترتكز الحنية على دعامتين مزخرفتين تعتمدان على قاعدتين عاليتين .

أما بيت الصلاة فهو على شكل مربع يبلغ ضلعه حوالي 50 : 27م . ودعمه التي تحتوي على دعائم ذات قاعدة ثمانية الاضلاع واعمدة مزدوجة مرتبة كالتالي :

في وسط بيت الصلاة نجد ثماني دعائم ترسم مضلعا ثماني الاضلاع وتحمل القبة المركزية الكبيرة للمسجد . وحول هذه الدعائم تقع أربع دعائم أخرى وثماني مجموعات من الأعمدة المزدوجة ترسم مربعا يندرج بدوره في مربع أكبر مكون من أربع دعائم وعشرة مجموعات من الاعمدة المزدوجة .

ان هذه الدعم تشكل سبعة اساكيب عمودية على جدار المحراب ، ان الاساكيب الثلاثة الوسطى تحتوي على بلاطتين موجودتين بين جدار المحراب والقبة





جامع مالك بن انس

وبلاطتين اخريين موجودتين بين القبة وجدار مؤخر بيت الصلاة . بينما تقع الاساكيب الأخرى على يمين ويسار الاساكيب التي سبق ذكرها وتحتوي كلها على ثماني بلاطات .

فنرى المحراب في وسط الجدار الجنوبي الشرقي لبيت الصلاة . فله مشكاة ثمانية الشكل وطنف يقسمه على قسمين : قسم علوي على شكل قبيبة وقسم سفلي مكون من خمس الواح : احداها متوازية لجدار المحراب واثنتان منها عموديتان على اللوحة المذكورة سابقا والاخريان مائلتان . وجميع هذه الالواح مزخرفة بالزليج .

ترتدي القوس الافتتاحية للمحراب شكل قوس مدببة تعتمد على عمودين ذوي قسم علوي مزين بالاخاديد وقسم سفلي ذي قاعدة على شكل مضلع ثماني الاضلاع .

والتاجان اللّذان يعلوان العمودين مزينان باكليل من أوراق الاكنتس اصبعية الشكل وحلزونيتين يقع بينهما هلال أما اطار المحراب فهو مزين بالزليج من أنواع مختلفة .

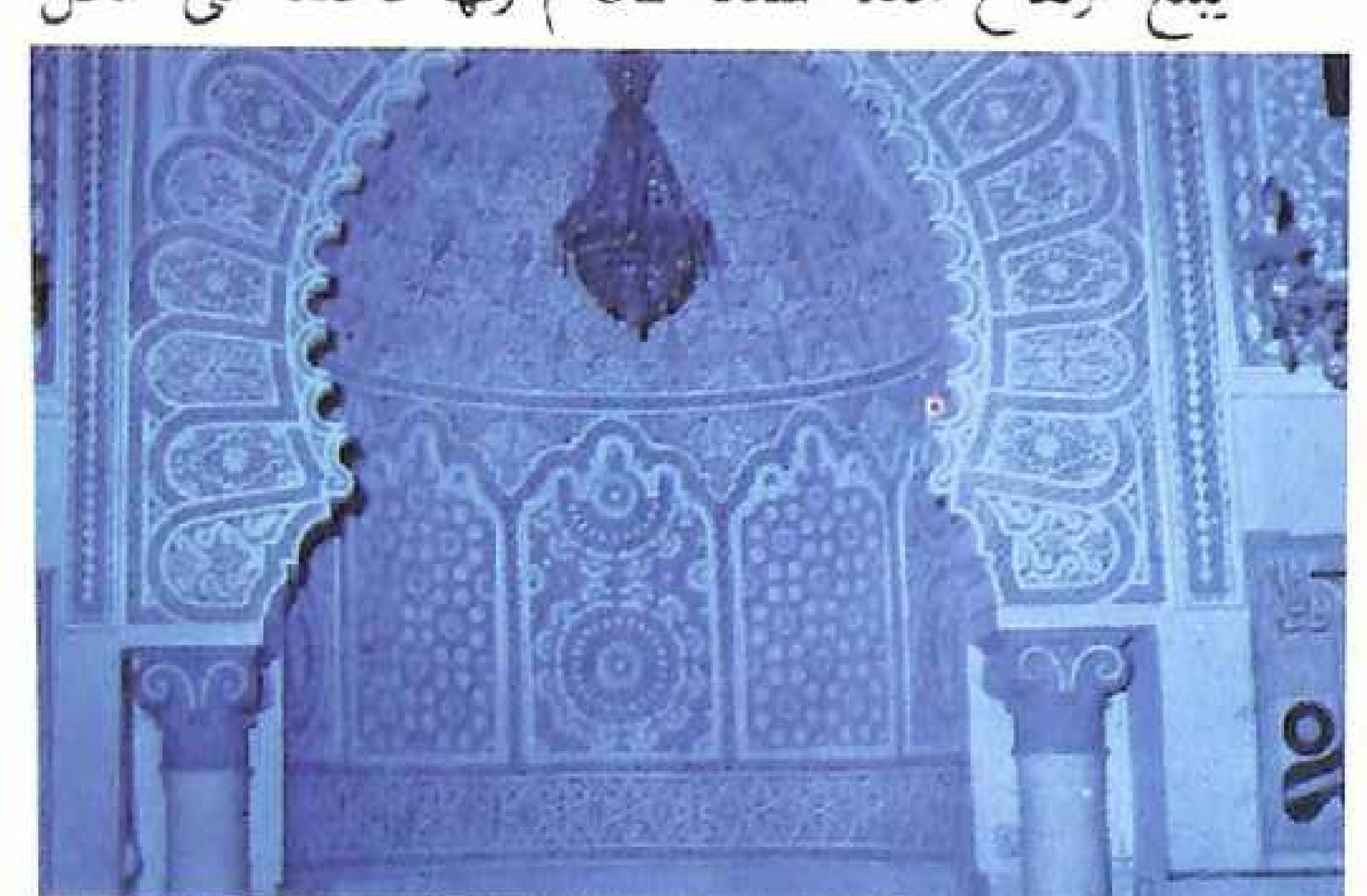
إن القبة المركزية لبيت الصلاة هي قبة ذات ثماني شقق فتحت فيها اربع نوافذ صغيرة على شكل قوس مشرعة تسمح للضوء أن يدخل في بيت الصلاة . فتقتصر الزخرفة التي تزين داخلها على نجمة ثمانية الفروع .

وتحيط هذه القبة تسع قبيبات تماثلها في الشكل ولها هي الأخرى اربع نوافذ صغيرة . ان احدى هذه القبيبات وهي القبيبة الموجودة أمام المحراب ، فقط مزينة بقطع من الزليج من نوعين مختلفين . ان بعض القطع مستطيلة الشكل ومزخرفة بمسطح متوازي الاضلاع من اللون الأخضر القاتم الذي يبرز على ارضية بيضاء . فهي مرتبة على ثمانية صفوف وترسم اشرطة على شكل تعرجات تنطلق من قمة القبيبة وتقسيمها على ثماني الواح مثلثة مؤثثة بقطع الزليج من النوع الثاني . ان هذه القطع الاخيرة مربعة ومزينة بعنصر دائري .

ونجد داخل بيت الصلاة الدكة حيث يقوم المؤذّن باقامة الصلاة . فترتكز هذه الدكّة على اربعة اعمدة تشابه عمودي المحراب .

وخارج بيت الصلاة نستطيع ان نتعجب من المئذنة الجليلة التي تذكرنا بمئذنة مسجد سيدي الأخضر بقسنطينة .

يبلغ ارتفاع هذه المئذنة 32 م ولها قاعدة على شكل مضلع ثماني الاضلاع



محراب جامع مالك بن انس

يساوي طول ضلعه 30 ، 2 م . فتحتوي على برج رئيسي وبريج . ان زخرفة البرج الرئيسي موزعة على ثلاثة الواح منضدة . أما البريج الذي له هو الآخر قاعدة مثمنة فوجوه مزينة بقطع من الزليج .

ومن بين المباني الأخرى التي يرجع تاريخها الى الحكم العثماني الثاني ، مسجد سيدي الهواري الذي بناه عثمان ، ابن محمد الكبير ، الواقع عند مدخل القصر القديم . وبه كتابة طمس على حجر مرصون في شقة جدار . هذا نصها :

أمير المؤمنين ...........

امر

ببناء هذا المسجد المبارك

.... في سنة 1213 ( 1799 ـ 1800 )

كما يرجع الى عهد عثمان تنظيم مياه رأس العين وبناء مسجد حول في العهد الفرنسي الى كنيسة القي عليها اسم القديس اندراوس . ان هذا البناء استرجع مهمته الأولى بعد الاستقلال .

ومن بين الآثار العثمانية الأخرى نذكر دار حسن باي وهران الاخير وبابا من الخشب ونصبين وكتابة عربية وبلاطتين علويتين لقبرين تركيين وسيوفا وبواريد .

يرجع تاريخ دار حسن الى الفترة التي كان فيها تاجرا صغيرا وهي تقع بالقرب من مسجد الباشا . أما الباب المصنوع من الخشب فهو باب قصر البايات الاخيرين انه مزين بمسامير ذات رؤوس نصف كروية وبمطرقة من البرنز . أما النصبين فبهما كتابة .

جاء في الكتابة التي تزين النصب الأول المصنوع من الحجر الرملي :

« هذا قبر الحرة

الجليلة الاصيلة امة الله

السيدة فاطمة بنت الطالب

الاديب السيد محمد بن عبد

الكريم توفيت بالوبا رحمة

الله عليها في شهر الله ربيع

النبوي سنة اربع عشر

جامعة العلوم والتكنولوجيا ( نموذج مصغر )



جامعة وهران



ومائتين بعد الالف » .

وعلى النصب الثاني ، المصنوع من الحجر المنضد ، الكتابة التالية :

« قبر الحرة الجليلة

امة الله تعالى الزهرة

ابنة المكرم القائد

علي قائد المرسى توفيت

رحمة الله عليها في

المستشفى الجامعي ( نموذج مصغر ) .



شهر المعظم رمضان

سنة 1217 »

ان الكتابة العربية هي كتابة تذكارية لبناء أقواس بساحة اللؤلؤة بوهران .

يرجع تاريخ البلاطتين العلويتين للقبرين التركيين الى القرن الثامن عشر . انهما مصنوعتان من الرخام ومزينتان بزخرفة نباتية .

للسيوف العثمانية المعروضة بمتحف وهران نصال منحنية . فاحتفظت احداها بغمدها المزين بزخرفة منقوشة في النحاس .

ان البواريد هي مسدسات ذات انابيب طويلة .



هانحن انتهينا من جولتنا الطويلة عبر الماضي الغني لوهران ، تلك المدينة التي ، لعبت دورا هاما في تاريخ وحضارة بلادنا بفضل موقعها الممتاز .

من فترة ما قبل التاريخ احتفظت ببعض المواقد الموجودة في العراء ومغارات عديدة حيث عثر البحاثون على هياكل عظامية بشرية وعظام الحيوانات وصدفات الرخويات وكسر من الفخار وعدة آلات من الحجر المنحوت والحجر المصقول والعظم .

ثم نسيت وهران في العصور القديمة واضطرت الى انتظار القرن العاشر الميلادي لترى موقعها معمر من جديد من طرف ملاحين اندلسيين .

وطول هذا القرن ، عرفت المدينة الحديثة التي تزاحم عليها فاطميو افريقية واموبو الاندلس ، حياة مضطربة وتعاقب الحكام . ولكن ، مع ذلك ، كانت مقرا لنشاط تجاري هام ابرزه ابن حوقل والمقدسي وأصبحت مدينة جميلة اعجبت ابن خميس .

و في عهد المرابطين الذين فتحوها في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي والموحدين الذين احتلوها في منتصف القرن الثاني عشر ، تواصل ازدهارها . فمدح البكري والادريسي مواردها الغنية المختلفة والنشاط الكبير لمينائها حيث كانت تتعاقب بدون انقطاع السفن الآتية من اسبانيا كما كانت مركزا علميا هاما حيث اشتهر عدد كبير من العلماء .

ولكن الفترة التي تمتد بين القرن الثالث عشر الميلادي والاحتلال الاسباني الأول هي الفترة التي عرفت اثناءها وهران أمجد واغنى سنين من تاريخها . فاستقبلت السلطان المريني أبا الحسن وقادة افريقية الرئيسيين الذين كانوا قد جاؤوا يقدمون له احتراماتهم قبل أن يقوم بغزو بلادهم . كما استقبلت باكرام كبير أبا حمو أشهر السلاطين الزيانيين الذي كان يتنعم بمحادثة اعيانها وعرف كيف يستميل سكانها بكرمة . ان هؤلاء الاخيرين شكروا له الصنيع وتعرضوا للموت ليدافعوا عنه عندما جاء رسول ابنه ليقتله .

وكانت وهران مدينة مضيافة الى حد بعيدوأصبحت ملجأ لديذا للمنفيين ولكن سكانها ، الذين كانوا بواذخ وحراصا على استقلالهم . لم يقبلوا باستمرار سلطة ملوك تلمسان وكثيرا ما ساعدوا الامراء الذين نافسوهم على الحكم .

في هذه الفترة الفاتنة عاش بوهران العالمان الساميان سيدي محمد الهواري مازال ضريحه يجذب عددا كبيرا من الزوار ، وتلميذه سيدي ابراهيم التازي الذي دفن بقلعة بني راشد حيث أصبح ضريحه محط احترام الجميع .

وفي نفس الفترة زار وهران سيدي احمد بن يوسف وليون الافريقي (حسن الوزاني) . فلقي بها الأول استقبالا حماسيا بينما تعجب الثاني من جمال مبانيها وحفاوة سكانها ونشاط مينائها العجيب .

ثم في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، احتل الاسبانيون وهران واستقروا بها ما يقرب من قرنين وفي هذه الفترة عرفت المدينة انخفاض مواردها وانحطاط تجارتها . كانت دائما محاصرة من طرف الاتراك أوكادت ، اصبحت مقرا لنشاط معماري كبير ورأت تشييد عدة مباني عسكرية مثل برج لامون وبرج القديسين وبرج القديسة تيريز وبرج القديس فرديناند .

ان الاتراك الذين حكموا وهران سنة 1708 ، اقاموا بها اربع وعشرين سنة ، اكب الباي بوشلاغم ، أثناءها ، على تنمية فلاحتها وتجارتها .

وبعد رجوع المسيحيين في سنة 1732 ، عرفت وهران حياة مضطربة للغاية . فانخفضت مواردها الفلاحية بسبب بغض القبائل المجاورة لها وانحطت تجارتها ولكنها عرفت نشاطا معماريا أكبر من النشاط الذي عرفته أثناء الاحتلال الاسباني الأول . فبنى فيها المحتلون الاسبانيون عددا كبيرا من البيوت والمباني العامة والمباني العسكرية ولكن الزلزلة التي وقعت في أكتوبر 1790 اضعفتهم والهجومات المستمرة التي قام بها محمد الكبير اضطرتهم الى تسليم المدينة . فعوضهم الاتراك ولم يبقوا بها الا تسع وثلاثين سنة ولكنهم استطاعوا ان يحولوها الى عاصمة بايلك الغرب الجزائري وجهزوها بنظام اداري وعسكري سمح لها بالقيام بمهمتها بصورة جيدة .

أثناء حكم الاتراك لوهران عاش الشيخ ابن سحنون ، وألفت عدة كتب مثل « عجائب الاسفار » لابي رأس و « الثغر الجماني » لابن سحنون و « دليل الحيران » للزياني و « در الاعيان » و « طلعة سعد السعود » .

وبني في عهدهم مسجد الباشا الذي يمتاز بمدخله وقبته المركزية ومئذنته الجليلة .



ان الفرنسيين الذين احتلوا وهران لمدة مئة واحدى وثلاثين سنة ، اعتنوا بتنميتها اعتناء كبيرا ويرجع الى عهدهم تأسيس شارع الساحل ودار البلدية الحالية والاوبيرا ونزهة ده ليتان ( حديقة ابن باديس الحالية ) ومحطة القطار المركزية ومعبد سانتا كروز .

فضعفت المدينة مدة بعدما غادرها معظم سكانها في سنة 1962 والمتكونين أساسا من الاروبيين ولكنها تغلبت على هذه المحنة ورأت تشييد عدة مباني أهمها مسجد مالك بن باديس والجامعتان .

# المراجع

1 . المصادر باللغة العربية

ابن خلدون ، كتاب العبر ، المجلدان السادس والسابع ، بيروت 1961

ابن مريم ، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، الجزائر ، 1908

الادريسي ، وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيريس ، الجزائر ، 1957

البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، اعتنى بنشره ده سلان ، باريس ، 1965

محمد ابوراس ، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار ، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر .

محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم ، ديبلوم الدراسات العليا ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب والعلوم الانسانية .

محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وانيس السهران في اخبار مدينة وهران تقديم وتحقيق المهدي البوعبدلي : اصدارات المكتبة الوطنية بالجزائر ، 1979

المقدسي ، كتاب احسن التقاسم في معرفة الاقاليم ، الجزائر ، 1950

2 . المراجع باللغات الاجنبية .

BASSET (R.) : Fastes chronologiques de la ville d'Oran, *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran* (*B.S.G.A.O.*), 1892.

BODIN (M.) : Notes et questions sur Sidi Ahmed ben Youssef. *Revue Africaine*, 1925.

- Notes sur les Mogatazes. *B.S.G.A.O.*, 1923.
- Brève chronique du bey Hassan, extraite et traduite de la Tal'at as Sa'd as So'oud, de Mazari, *B.S.G.A.O.*, 1924.

CAZENAVE (J.) : Cervantès à Oran, *B.S.G.A.O.*, 1923.

- Oran, cité berbère, *B.S.G.A.O.*, 1925.
- Oran, préhistorique, *B.S.G.A.O.*, 1925.
- Pierre Navarro conquérant de Velez, Oran, Bougie et Tripoli, *B.S.G.A.O.*, 1925.
- Contribution à l'histoire du Vieil Oran, *Revue Africaine*, 1925.
- Les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville, *Revue Africaine*, 1930.

DEMAEGHT : *Catalogue raisonné des objets archéologiques du Musée de la Ville d'Oran*. 2e édition, revue par M.F. Doumergue. Oran, 1932.

DESTAING (E.) : Un saint musulman, au XIe siècle, Sidi Mohammed el Houari, *Journal Asiatique*, 1906.

DOUMERGUE (F.) : Inventaire des grottes préhistoriques des environs d'Oran. *B.S.G.A.O.*, 1921.
- Le Cimetière des Escargots. *B.S.G.A.O.*, 1924.
- Contribution au préhistorique. *B.S.G.A.O.*, 1925.
- La grotte du Cuartel. *B.S.G.A.O.*, 1926.
- La grotte du Polygone. *B.S.G.A.O.*, 1927.

ELIE DE LA PRIMAUDÉE (F.) : Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1505-1574). *Revue Africaine*, 1875-1877.

FEY (L.) : *Histoire d'Oran*. Oran, 1856.

GORGUOS : Notice sur le Bey d'Oran. Mohammed el Kebir. *Revue Africaine*, 1857.

DON HARNALDO HONTABAT : Description des places d'Oran et Mers el-Kébir. Trad. J. Casenave. *B.S.G.A.O.*, 1924.

IBN HAWQAL : *Configuration de la Terre*. Introduction et traduction par J.H. Kramers.

IBN KHALDOUN : *Kitab el'Ibar*. Trad. de Slane, *Histoire des Berbères*. Paris, 1925-1956.

EL IDRISI : *Description de l'Afrique septentrionale et saharienne*, édition H. Pérès. Alger, 1957.

LÉON L'AFRICAIN : *Historiale Description de l'Afrique*. Paris, 1890 et 1896.

LESPÈS : *Oran. Etude de géographie et d'histoire urbaines*. Paris, 1938.

MARQUIS DE TABALOSOS : Histoire d'Oran. Trad. J. Cazenave. *B.S.G. A.O.*, 1930.

MECHERFI : Notice sur les tribus entrées sous la suzeraineté espagnole. *Revue Africaine*, 1924.

MOHAMMED EL KORSO et MIKEL DE EPALZA : Oran et l'Ouest algérien au 18e siècle, d'après le rapport Aramburu. *Publications de la Bibliothèque nationale d'Alger*, 1978.

MOHAMMED IBN MEIMOUN EL DJAZAIRI : Et Tohfa el Mordiyya. Présentation et étude critique par M. Ben Abdelkrim. *Mémoire de D.E.A., Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université d'Alger*.

MOHAMMED IBN YOUSSEF EZ ZEYYANI : Dalil el Hairan oua Anis es Sahran fi Akhbar Madinat Ouahran. Présentation et étude critique par El Mahdi Bouabdelli. *Publications de la Bibliothèque nationale*, 1979.

AL MUQADDASI : *Description de l'Occident musulman au IVe-Xe siècle*. Alger, 1950.

SHAW : *Travels and observations relating to several parts of Barbarie*. Oxford, 1731. Trad. française, *Voyages de M. Shaw*, La Haye, 1743. Nouvelle trad. par Mac Carthy, 1830.

VALLEJO : Mémoire sur les travaux de fortification effectués dans les places d'Oran et Mers el-Kébir. Trad. J. Cazenave. *B.S. G.A.O.*, 1926.

WALSIN ESTERHAZY : *De la domination turque dans la Régence d'Alger*. Paris, 1840.

# فهرس

## العناوين التي صدرت في سلسلة فن وثقافة

— المساجد في الجزائر (نفذ)
— الفن المعماري (نفذ)
— بجـايـة (نفذ)
— تلمســـان
— متاحف الجزائر : صور من الماضي (نفذ)
— متاحف الجزائر : الفن الجزائري الشعبي والمعاصر
— الأمير عبد القادر «محفوظ قداش»
— الجـزائـــر «سيد أحمد بغلي»
— قصبة الجزائر «علي مروك» ، 1976 . (نفذ) .
— عبد المؤمن «رشيد بوروبية» ، 1976 . (نفذ) .
— المجوهرات والحلي في الجزائر «فريدة بن ونيش» ، 1977 . (نفذ) .
— المدن القديمة في الجزائر «منير بو شناقي» ، 1978 . (نفذ) .
— قسنطينة «رشيد بوروبية» ، 1978 . (نفذ) .
— مدن مندثرة «رشيد بوروبية» ، 1979 . (نفذ) .
— وهران «رشيد بوروبية» ، 1979 .

سيصـــدر

— عنابة «سعيد دحماني» ، 1980 .

تم نشر هذا الكتاب من طرف وزارة الاعلام — الجزائر
مديرية الوثائق والمنشورات

**وهـران :**

**النصـوص :** رشيد بوروبية
**الرسـوم :** رشيد بوروبية
**الصـور :** رشيد بوروبية ووزارة الاعلام
(مديرية الوثائق والمنشورات)
**الاخـراج :** محمد كـروش .
**التـوزيع :** المديرية الفرعية للمنشورات .
(مديرية الوثائق والمنشورات — وزارة الاعلام — الجزائر) . مجانا .
**الطـبع :** المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية — وحدة الرغاية — 1983

أفـريل 1983